السنة الثامنة والعشرون - العدد 284
أكتوبر 2019 الثمن 10 جنيهات

بمعدل نمـــو 94% صافى أرباح بنك القاهرة عن النصف الأول لعام 2019 تقارب 2 مليار جنيه مصرى مقابل مليار جنيه مصري عن الفترة المماثلة لعام 2018

أسفرت نتائج أعمال بنك القاهرة عن أداء متميز للبنك مع زيادة حجم أعماله في نهاية النصف الأول لعام 2019 حيث بلغت الأرباح قبل خصم الضرائب 2.54 مليار جنيه مصري و بلغت إجمالي الإيرادات التشغيلية 4.68 مليار جنيه مصري وذلك طبقا لنتائج القوائم المالية المعتمدة من مراقبي الحسابات

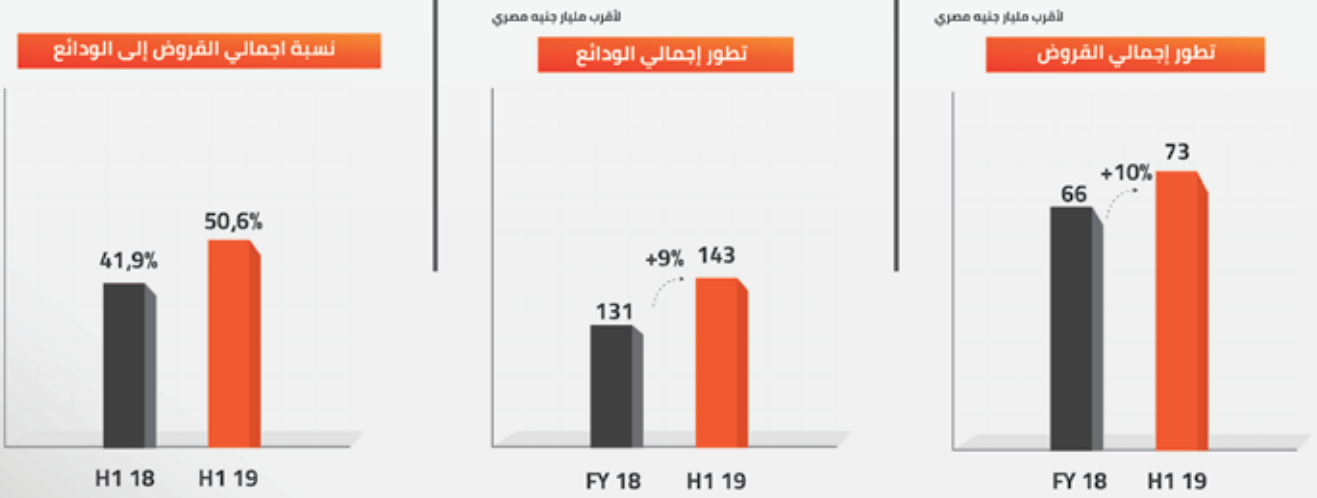

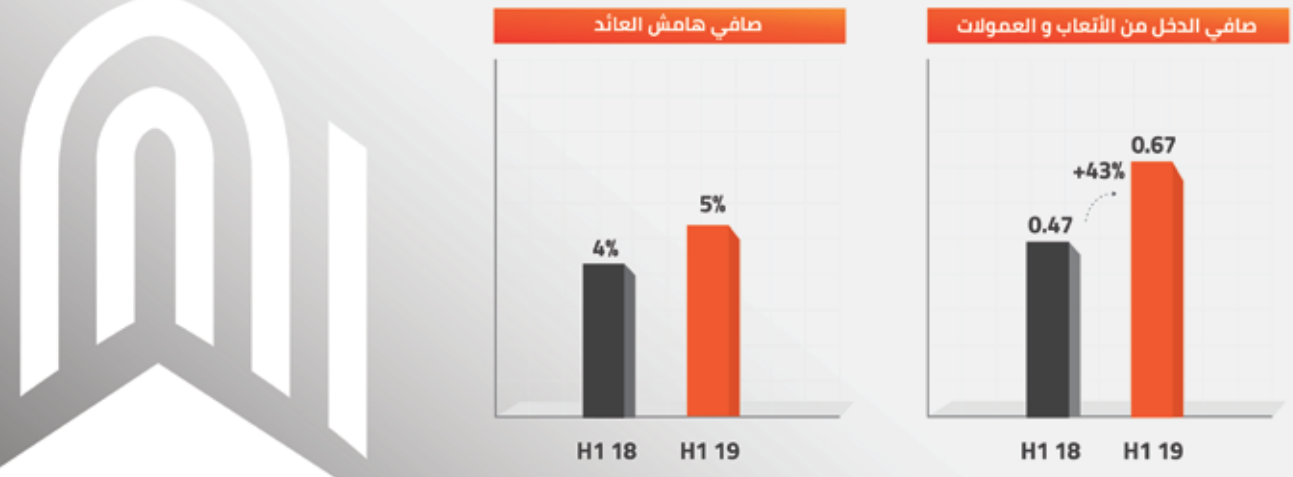

16990

www.bdc.com.eg

بنك القاهرة
Banque du Caire

فى هذا العدد

فـى ذكـرى نـصر أكـــتوبر..... بقلم السفير رضا الطـايفى	2
الحقيبة الدبلوماسية	4
كلمة الرئيس السيسى أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة	10
ذكريات انتصارات أكتوبر..... سفير جمال الدين البيومى	12
العبور إلى نصر أكتوبر المجيد .....د.هشام عبدالملك	16
6 أكتوبر فى الإستراتيجية العالمية ..... عـادل عبدالصمـــد	22
الولايات المتحدة والصين ما وراء حرب التجارة.....سفير د. عزت سعد	26
دور الثقافة فى العلاقات الدولية... سفير د. السيد أمين شلبى	30
هشام قنديل فى إسطنبول..... سفير عبد الرحمن صلاح	32
حقائق الصعود إلى الهاوية .....سفير فخرى عثمان	36
نظرة عامة على الانتخابات الإسرائيلية ونتائجها .....سفير رخا أحمد حسن	40
سبعينية الصين بين«المؤسس» و«المحدث»... سفير د وليد محمود عبد الناصر	44
جمهورية الصين فى عيدها السبعين ....سفير عبدالفتاح عزالدين	47
الأزمة الإيرانية الأمريكية وأرامكو إلى أين؟ (4) .... سفير د. يوسف الشرقاوى	50
رعاية الطفولة والانتماء الوطنى.....رجائـى عطيـــة	52
معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية ... سفير سامح أبو العينين	55
الحلم الـمـنسى ..... سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى	56
المستقبل آسيوى (1) .....سفير د. محمـد نعمان جـلال	58
يوم فى حياة فيينا .....سفير د. هادى التونسى	63
دبلوماسية الأمير عبد القادر الجزائرى .....سفير أحمد زين	64
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين .. تقدمها ناديه الريس	68
اللغة العربية بين لغات العالم فى القارة الإفريقية .. السفيرة د.عبير بسيونى	70
تـــأمـــــلات .....سفير أشرف عقل	72
مـثل إيـكـاروس.....سوسن رحمى	74
فنون تشكيلية .....سفير فخرى عثمان	76
التعليم فى مصر من نموّ الحضارة حتى عصرالإنترنيت..... د. يـوســف نـوفـل	78
نفسك أمانة لديك..... سفير د فتحى مرعى	80

الدبلوماسى

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفير أبوبكر حفنى محمود

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفيـر أشـرف عقـل
سفيـر د. يـوسف الشرقـاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثـان هنـد منـذر

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير
مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 202+

diplomatmagazine92@gmail.com

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

فى ذكرى نصر أكتوبر

رئيس التحرير
السفير رضا الطايفى
taifyreda@yahoo.com

يواكب هذا العام الذكرى السادسة والأربعين لحرب أكتوبر المجيدة التى تحتفل بها مصر فى أكتوبر من كل عام باعتبارها أعظم الانتصارات المصرية والعربية على الإطلاق والتى تجلت فيها عبقرية العسكرية المصرية وقدرتها على التخطيط والتكتيك والخداع الإستراتيجى والأداء القتالى أرضاً وبحراً وجواً.

هذه الحرب الفاصلة التى تجسدت فيها ما أصبح يعرف «روح أكتوبر» باصطفاف كل فئات الشعب المصرى حول قيادته وقواته المسلحة، والتى جسدها قوة وعزيمة وإصرار المقاتل المصرى على الثأر من العدو وتأكيد أنه خير أجناد الأرض والتضامن العربى بتوظيف البترول ليكون سلاحاً مؤازراً فى تحقيق هذه الملحمة المصرية والعربية غير المسبوقة التى أرخت لعالم جديد اختلف فيه عن عالم ما قبل أكتوبر 1973عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. ولعل التحديات التى نواجهها اليوم تفرض على الجميع استدعاء «روح أكتوبر» والتحلى والعمل بروح أكتوبر لتكون بمثابة الصخرة الصلبة التى تتهاوى أمامها كل المؤامرات والتحديات التى قد تواجه الوطن.

إن الدروس المستفادة من حرب أكتوبر وما شهدته هذه الحرب من بطولات جماعية وفردية وبما أوقعته من خسائر بشرية ومادية للعدو وبما أحدثته من هزة معنوية بين صفوف قادة جيشه وحطمت قناعات جيش الدفاع الذى لا يقهر وأكذوبة ذراعه الطويلة التى يمكن أن تصل إلى أى مكان، هذه الحرب التى روعت النخبة السياسية فى إسرائيل يجب أن تظل حاضرة فى أذهان وعقول وذاكرة كل الأجيال، وستبقى كذلك فى كل الأكاديميات ومراكز البحوث العسكرية التى تناولتها ومازالت دراسة وتمحيصاً وتدقيقاً وبحثاً عن أسرارها التى نجحت على الأرض فى تغيير معظم إن لم يكن كل ما كان قائماً فيها من ثوابت ونظريات عسكرية وأساليب قتالية.

إن الجيش المصرى الذى استعد وصمد وحارب وقاتل وانتصر فى حرب أكتوبر المجيدة ومن قبلها حرب الاستنزاف والذى أصبح يحتل مكانة متقدمة فى قائمة أقوى جيوش العالم عتاداً وتسليحاً مازال اليوم يمثل درعاً قوياً للوطن وفخراً للمواطن وهو يخوض معركته المقدسة ضد قوى الإرهاب الظلامية التى يقف وراءها أجهزة وجماعات إقليمية ودولية لا يروق لها ما تحققه مصر من إنجازات تنموية ولا يروق لها استقرار مصر وتبوؤها دورها الإقليمى عربياً وإفريقياً، كما لا يروق لهذه القوى المعادية أن ترى مصر وقد بدأت تتقدم وتقدم للعالم رسالتها الحضارية استناداً على قوتها الناعمة باعتبارها صانعة أعظم حضارات التاريخ الإنسانى ومقصداً سياحياً دولياً يفتح ذراعيه بكل دفء وترحاب لاستقبال الزائرين والسياح من كل بقاع الدنيا. إرهاب يحاول استنزاف موارد الوطن ويحاول إنهاك القوات المسلحة وتشتيتها أملاً منه فى دفعها إلى توجيه بوصلتها وعقيدتها القتالية إلى معارك فرعية بعيداً عن التحديات الأساسية الخاصة بالأمن الوطنى المصرى والأمن القومى العربى، وهى أمور تحتاج منا كل اليقظة تجاه المؤامرة التى تنسج خيوطها جماعات وعناصر وقوى خارجية مغرضة، والوقوف بكل قوة وصلابة مع المؤسسة العسكرية التى تمثل صمام الأمان لاستقرار الوطن وسلامة أراضيه ورفاهية أبنائه. وبالتوازى مع استعداده المستمر لرفع كفاءته القتالية والحرب الشرسة التى يقوم بها الجيش المصرى ضد الإرهاب، وما تبقى له من فلول تحاول القيام بعمليات إرهابية يائسة من آن لآخر تنفيذاً لأجندة

من يمـــول ومن يخطـــط للإرهاب، يســـاهم رجال القوات المسلحة فى مشاريع تنموية ترقى إلى المشاريع القومية وخاصـــة فى مجالات البنية الأساسية والأمن الغذائى وغيرها من مشروعات تؤســـس لنهضة تنموية واقتصاديـــة حقيقيـــة، فضلاً عن مشـــروعاته لتحقيق الاكتفاء الذاتى لاحتياجاتـــه المعيشـــية والغذائية والتى لطالما أرهقت ميزانية الدولة طوال سنوات ما قبل أكتوبر 1973. وهو توجه لا يمثل استحداثاً خاصاً بالقوات المســـلحة المصرية، بل إن الجيوش الحديثة وفى عدد غير قليل من الدول تقوم بدور تنموى انطلاقاً من رســـالتها فى الحفاظ على الأمن القومى لبلادها الذى يمثل الاقتصاد أحد مقوماته الأساســـية والنماذج عديدة فى هذا الشأن.

هذا وتجـــدر الإشـــارة إلى أنه وفق تصنيـــف global firepower المتخصص فى تصنيف قوة الجيوش العالمية عن عام 2019، جاءت مصر فى المرتبة الثانية عشرة عالمياً بعد كل من الولايات المتحدة التى تحتل المركـــز الأول يليها على التوالى كل من روســـيا - الصيـــن - الهند - فرنسا - اليابان - كوريا الجنوبية - بريطانيـــا - تركيـــا - ألمانيا - إيطاليا ويلى مصر فى هذا الترتيب الذى يضم 137 دولة - وفق نفس المصدر - كل من البرازيل - إيران - باكستان - إندونيسيا - إسرائيل - كوريا الشـــمالية - أســـتراليا - إسبانيا....

* ووفـــق نفس المصـــدر أيضاً تحتل مصر المرتبة الأولى عربياً من حيث قدراتها العسكرية يليها كل من الســـعودية (25 عالمياً) - الجزائر (27 عالمياً) - سوريا (50 عالمياً) - العـــراق (53 عالمياً) - المغرب (61 عالمياً) - الإمارات (62 عالمياً) - الســـودان (69 عالمياً) - اليمن (73 عالمياً) - الأردن (76 عالمياً).

وفى ذكرى نصر أكتوبر المجيد، هذا الإنجـــاز الذى حققه خير أجناد الأرض ومن خلفهم أبناء الشـــعب المصرى، نرفع تحية إجلال وتقدير لكل قادة وضبـــاط وصف ضباط وجنود القوات المســـلحة المصرية وتحية لأرواح شـــهداء مصر الأبرار الذين نالوا الشـــهادة وهم يدافعون عن كل ذرة غاليـــة من تراب وطننا الغالى.

ختاماً: 6 أكتوبر 1973

يـــوم عبورنـــا وانتصارنـــا واحتفالنا وافتخارنا
يـــوم ما خيـــر أجنـــاد بلدنا صمموا ياخدوا بتارنا
فى السماء كانوا نسورنا فى الميدان كانوا أسودنا
زلزلـــوا قلوب العـــدو بعد ما عبروا قناتنا
وكبروا رافعين راياتنا صفحة غالية من تاريخنا
أسطورة نحكيها لأولادنا

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

وزير الخارجية يُشارك فى الاجتماع الوزارى حول ليبيا فى نيويورك

على هامش أعمال الدورة الـ 74 للجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك، شارك وزير الخارجية سامح شكرى، فى الاجتماع الوزارى حول ليبيا، وذلك لاستعراض آخر مُستجدات الأوضاع الليبية، وتبادل الرؤى حول سُبل تسوية الأزمة فى ليبيا.وصرح المُستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شُكرى استعرض فى كلمته مُحددات الموقف المصرى تجاه الأزمة فى ليبيا، وعلى رأسها التنفيذ الكامل لمبادرة الأمم المتحدة التى اعتمدها مجلس الأمن فى أكتوبر ٢٠١٧ وتعالج كافة عناصر الأزمة الليبية، مؤكداً على أهمية مراعاة مبدأ الملكية الوطنية الليبية للحل السياسى وضرورة اعتماد أى حل من الممثلين المنتخبين للشعب الليبى.وفى هذا السياق، رحب الوزير شكرى بالموقف المسئول الصادر عن المشير خليفة حفتر حول استعداده للحوار والحل السياسى، ودعا سائر الأطراف للتحلى بنفس روح المسئولية وإعلاء المصلحة الليبية العليا على الحسابات الذاتية الضيقة، للوصول لتسوية تكفل الحفاظ على وحدة التراب الليبى، والعمل على استعادة دور مؤسسات الدولة الوطنية بها، بالتوازى مع دعم جهود الجيش الوطنى الليبى فى محاربة الإرهاب

شكرى يلتقى وزير خارجية روسيا على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة

التقى وزير الخارجية سامح شكرى مع وزير خارجية روسيا الاتحادية «سيرجى لافروف»، وذلك على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك، حيث تناولت مباحثات الوزيرين سبل تدعيم العلاقات المصرية الروسية والارتقاء بها فى مختلف المجالات، فضلاً عن التشاور حول القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك.

وفى تصريح للمستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أوضح أن الوزير شكرى أكد خلال اللقاء على الأهمية التى توليها مصر لدفع وتطوير العلاقات مع روسيا فى مختلف المجالات، وتكثيف التشاور السياسى إزاء التحديات الإقليمية والدولية، على ضوء الزخم الذى شهدته العلاقات خلال الفترة الماضية. كما أشار حافظ إلى أن اللقاء شهد التأكيد على أهمية اللجنة المشتركة فى تنمية وتعزيز التعاون الثنائى بين البلدين الصديقين.

هذا، وبحث الوزيران آفاق التعاون الاقتصادى، كما شدد الوزير شكرى على ضرورة مواصلة العمل نحو تطوير العلاقات السياحية بين البلدين، معرباً عن تطلع مصر لاستئناف رحلات الطيران الروسى للمقاصد السياحية المصرية فى أسرع وقت.

شكرى يلتقى وزيرى خارجية قبرص واليونان بنيويورك

على هامش انعقاد أعمال الجمعية العامة بنيويورك، التقى سامح شكرى وزير الخارجية، كلاً من «نيكوس كريستودوليديس» وزير خارجية قبرص و«نيكوس دندياس» وزير خارجية اليونان، حيث آتى اللقاء فى إطار آلية التعاون الثلاثى التى تجمع بين مصر وقبرص واليونان.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى استهل اللقاء بالتأكيد على قوة ومتانة العلاقات الاستراتيجية الراسخة التى تجمع بين القاهرة وأثينا ونيقوسيا فى جميع المجالات وعلى كافة الأصعدة، مشيداً بما شهدته تلك الروابط من زخم خلال الفترة الماضية، حيث أصبحت آلية التعاون الثلاثى بين البلدان الثلاثة تشكل نموذجاً يُحتذى به للتعاون المتميز لتعزيز السلام والمصالح الاقتصادية والحوار الثقافى بين الدول. وفى ذات السياق، أشار الوزير شكرى إلى النتائج المثمرة لزيارتيه إلى أثينا ونيقوسيا شهر يوليو الماضى، والتى استهدفت مواصلة العمل الوثيق مع البلدين من أجل تعزيز روابط التعاون، واستكشاف آفاق جديدة للشراكة الاستراتيجية التى تجمع بين الدول الثلاث.

وأضاف حافظ، أن وزراء الدول الثلاث أكدوا خلال اللقاء على التطلع لانعقاد القمة السابعة لآلية التعاون الثلاثى خلال شهر اكتوبر ٢٠١٩ بالقاهرة، حيث تم التطرق إلى الترتيبات اللازمة لعقد هذه القمة بالشكل الذى يعكس عمق وخصوصية العلاقات بين الدول الثلاث أسوة بالقمم السابقة التى تمت فى هذا الإطار، وبما يساهم فى الحفاظ على الزخم السياسى والاقتصادى الذى أولدته هذه الآلية الهامة ومواصلة تطويره

شكرى يلتقى نظيره الهندى على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة

التقى وزير الخارجية سامح شكرى نظيره الهندى «سوبرامانيام جايشانكار»، على هامش أعمال الشـــق رفيع المستوى للدورة 74 من اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك.وصرح المستشـــار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى استهل اللقاء بنقل التهنئة لنظيره الهندى على تعيينه وزيراً للشـــؤون الخارجية فى الحكومة الهندية الجديدة، والمشكلة من قبل حزب «بهاراتيا جاناتا» بقيادة رئيس الوزراء «ناريندرا مودي».

وأضاف حافظ أن اللقاء اســـتعرض أوجه العلاقات الثنائيـــة التى تجمع بين القاهرة ونيودلهى وما تشـــهده من تطورات ملموسة خلال السنوات الأخيرة توجت بزيارة للســـيد رئيس الجمهورية إلى الهند فى عام 2016، وإنعقاد اللجنة الوزارية المشتركة بنيودلهى فى عام 2018، والدورة الرابعة من اللجنة التجارية المشتركة فى الهند فى مارس الماضى، موضحاً أن وزير الخارجية أكد على أهمية الاستمرار فى دفع أطر التعاون الثنائى بين الجانبين خلال الفترة المقبلة، لا سيما الاقتصادية والاستثمارية منها، بما يحقق التوظيف الأمثل للإمكانات الكبيرة المتاحة بالبلدين، خاصة فى ظل نمو حجم التبادل التجارى وزيادة قيمة الاستثمارات الهندية بالسوق المصري

وزير الخارجية سامح شكري يستقبل رئيس لجنة الشئون الخارجية بالبوندستاج

استقبل سامح شـــكري وزير الخارجية، اليـــوم 7 أكتوبر الجـــاري، «نوربرت روتجن» رئيس لجنة الشـــئون الخارجية بالبوندستاج الألماني، حيث تناول اللقـــاء مجمل العلاقات الثنائية بين مصر وألمانيا.

وصرح المستشـــار أحمد حافظ، المتحدث الرسمي باســـم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكري اســـتهل اللقاء بالإشادة بما وصلت إليه العلاقات الثنائية من تطور وتقدم خلال الأعوام الماضية في مختلف المجالات، بما يتيح مزيداً من فـــرص تعزيز التعاون بيـــن البلدين على أساس من الشراكة والمصالح المتبادلة.

وأضاف حافظ، أن اللقاء تطرق إلى بعض التطورات التي شـــهدتها العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين، حيث استعرض شكري الإجراءات التي اتخذتها الحكومة المصرية في إطار تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي الهيكلي، معرباً عن ترحيب مصر باهتمام وزيادة إقبال الشركات الألمانية على ضخ استثمارات إضافية في مختلف القطاعـــات الاقتصادية على ضوء تحســـن مناخ الأعمال. وفي ذات السياق، أكد شـــكري على أهمية مواصلة تشـــجيع المزيد من الشـــركات على دخول الســـوق المصري للاستفادة من الفرص الاستثمارية الواعدة في مصر، وبما يعكس المستوى المتميز للعلاقات الثنائية ومكانة الاقتصاد الألماني.

ومن جانبه، ثمن المسئول الألماني مستوى العلاقات بين القاهرة وبرلين، مرحباً بتوســـيع مجالات التعاون بين البلدين.

شكرى يلتقى نظيره الفنلندى على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة

التقى وزير الخارجية سامح شكرى، مع وزير خارجية فنلندا «بيكا هافيســـتو»، على هامش أعمـــال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحـــدة المنعقدة حالياً بنيويورك. وفى تصريح للمستشـــار أحمد حافظ المتحدث الرســـمى باسم وزارة الخارجية، أشـــار إلى أن الوزير شكرى أعرب خلال اللقـــاء عن حرص مصر على تعزيز العلاقات الثنائية مع فنلندا، مثنياً على نتائج الجولة الأخيرة من المشـــاورات السياسية التى عقدت على مستوى كبار المسئولين بوزارتى الخارجية بالقاهرة فى فبراير الماضى، كما أشـــاد شكرى بقرار الجانب الفنلندى استئناف الرحلات الجوية المباشرة لشـــرم الشـــيخ اعتباراً من يناير 2019، مؤكداً على أهمية العمل خـــلال الفترة المقبلة على دفع أوجه التعاون الثنائى بين البلدين إلى آفاق أرحب، خاصة على صعيد زيادة حجم التبادل التجارى واجتذاب مزيد من الاســـتثمارات الفنلندية بالسوق المصرى وتفعيل آلية مجلس الأعمال المشـــترك.وأوضح حافظ أن وزير الخارجية نقل لنظيره الفنلندى عدم ارتياح مصر لطول أمد مفاوضات سد النهضة، موضحاً أن مصر قدمت للجانب الأثيوبى طرحاً عادلاً لقواعد ملء وتشـــغيل السد يحقق أهداف أثيوبيا فى توليد الكهرباء ويحفظ فى نفس الوقت مصالح مصر المائية، وهو طرح مبنى على المناقشـــات التـــى تمت بين البلدين، وعلى الالتزامات الواردة فى اتفاق إعلان المبادئ الموقع فى 23 مارس 2015 بالخرطوم، مشددا على ضرورة عدم إضرار السد بمصالح مصر، والتى تعتمد بشكل كامل على النيل لتلبية احتياجاتها المائية

وزير الخارجية يُشارك فى اجتماع مجلس السلم والأمن الأفريقى على المستوى الوزارى فى نيويورك

على هامش أعمال الدورة الـ ٧٤ للجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك، شارك وزير الخارجية سامح شكرى، فى اجتماع مجلس السلم والأمن الأفريقى على المستوى الوزارى، والذى عُقد تحت عنوان «التداخل بين الأمن والسلم والتنمية: نحو مشاركة جماعية للعمل».

وصرح المُستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شُكرى ألقى كلمة خلال الاجتماع أكد فيها على ارتباط تحقيق أهداف التنمية باستتباب الأمن والاستقرار فى أفريقيا، وهو الأمر الذى يحتم تضافر الجهود الأممية والإقليمية ذات الصلة، من خلال الشراكات القائمة بين المنظمات الدولية والإقليمية المختلفة، وعلى رأسها الشراكات الحالية بين الاتحاد الأفريقى والأمم المتحدة ومجلس السلم والأمن الأفريقى ومجلس الأمن الدولى، ولجنة بناء السلام.

وأوضح المتحدث باسم الخارجية، أن الوزير شكرى أشار إلى استعداد مصر حالياً لإطلاق «منتدى أسوان للسلام والتنمية المستدامة»، على مدار يومىّ ١١ و١٢ ديسمبر ٢٠١٩، والذى تتطلع مصر إلى أن يكون منصة دائمة للحوار والتفاعل بين القادة وصانعى القرار والخبراء من كافة دول القارة وخارجها، بغرض دعم جهود إحلال السلام والاستقرار والتنمية فى أفريقيا، بالإضافة إلى بحث الأطر المفاهيمية ذات الصلة، ووضع الآليات القائمة بالفعل موضع التنفيذ وتفعيلها فى السياق الأفريقي

وزير الخارجية يُشارك فى الحدث رفيع المستوى حول السودان بنيويورك

على هامش أعمال الدورة الـ ٧٤ للجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك، شارك وزير الخارجية سامح شكرى، فى الحدث رفيع المستوى حول السودان، وذلك لاستعراض سُبل دعم السودان خلال المرحلة الحالية.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شُكرى أكد حرص مصر على دعم السودان خلال المرحلة الانتقالية، وذلك فى إطار علاقات الأخوة والتعاون بين البلدين الشقيقين، مُقدماً التهنئة إلى الحكومة والشعب السودانيين على ما تحقق من استعادة الاستقرار واستكمال مؤسسات الدولة، بما يُلبى مصالح السودان ويعود به إلى موقعه الطبيعى على الساحتين الإقليمية والدولية.

وأضاف حافظ أن وزير الخارجية دعا المجتمع الدولى إلى تقديم كافة أوجه الدعم للحكومة السودانية الجديدة، مُشيراً إلى أهمية العمل على رفع السودان من قوائم الدول الراعية للإرهاب، بما يمكنها من مواجهة التحديات الاقتصادية الراهنة، ويُلبى تطلعات وآمال الشعب السودانى الشقيق

شُكرى يُشارك فى اجتماع الدورة العادية لمجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري

شارك وزير الخارجية السيد سامح شكرى، فى اجتماع الدورة العادية رقم 152 لمجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزارى، والذى تناول مناقشة عدد من القضايا ذات الاهتمام العربى المُشترك، وسُبل التعامل مع التحديات الراهنة فى المنطقة العربية.

وفى سياق متصل، صرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن النص الرسمى لكلمة مصر، والتى تم إيداعها لدى جامعة الدول العربية بمناسبة الاجتماع، تضمّن تناول التطورات والتهديدات التى تشهدها المنطقة العربية مؤخراً، والمستوى غير المسبوق من التوتر الذى تشهده منطقة الخليج على خلفية تهديدات الملاحة فى مضيق هرمز والخليج العربى، فضلاً عن حالة جمود القضية الفلسطينية وعدم تحقيق التسوية المنشودة، استناداً إلى قرارات الشرعية الدولية وحل الدولتين والمبادرة العربية للسلام وصولاً لإقامة الدولة الفلسطينية على حدود الرابع من يونيو 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

وشملت كلمة مصر التأكيد على أهمية تنفيذ المقاربة الشاملة لمكافحة الإرهاب والتطرف، والتى تضمنها القرار العربى المعنون بـ «تطوير المنظومة العربية لمكافحة الإرهاب»، والصادر عن قمة «الظهران» عام 2018 والقمم العربية المتتالية. فيما أشادت الكلمة بالتطورات الإيجابية الأخيرة فى السودان، حيث تم التأكيد على دعم مصر الكامل لجهود الحكومة السودانية الشقيقة فى مهمتها خلال المرحلة الانتقالية

وزير الخارجية سامح شكرى يقوم خلال تواجده فى نيويورك بتوقيع بروتوكول استرداد « التابوت الذهبى للكاهن نجم عنخ

فى إطار جهود مصر الحثيثة لاستعادة الآثار المصرية المهربة بالخارج وما توليه الدولة المصرية ومؤسساتها من اهتمام بالغ للحفاظ علـــى تراثها وتاريخها الحضارى، والدور الـــذى تضطلع به وزارتا الخارجية والآثار فى مجال استعادة الآثار المصرية المهربة، وفى إطار التعـــاون الثنائى مع الولايات المتحدة الأمريكية ومذكرة التفاهم المبرمة بين وزيـــريّ خارجية البلدين فى نوفمبر 2016 بشأن حماية الآثار المصرية من التهريب، فقد نجحت مصر فى استرداد القطعة الأثرية المصرية «التابوت الذهبى للكاهن المصرى نجـــم عنخ» والتى كانت معروضـــة بمتحـــف «المتروبوليتان» فى نيويورك، حيث شارك سامح شكرى، وزير الخارجية فى حفل استلام التابوت بمكتب المدعى العام الأمريكـــى بولاية نيويورك، وقام بتوقيع البروتوكول الخاص باستعادة التابـــوت مع المدعى العـــام الأمريكى فى نيويورك.هذا، وقد جاء اســـترداد التابوت الأثرى علـــى إثر التعاون بين الســـلطات المعنية المصرية والأمريكية والذى استمر لأكثر من عام، خاصة من خلال التنســـيق بيـــن القنصلية العامـــة لجمهورية مصر العربية فـــى نيويورك ومكتـــب المدعى العام الأمريكى فى نيويورك، بالتعاون مع وزارة الآثار المصرية ومكتب النائب العام المصرى، وهو التعاون الذى كشف عن عدم شرعية خروج القطعة الأثرية من مصر، ثم التحفظ على التابوت من الجانب الأمريكى لحين تسليمه للســـلطات المصرية. وفى كلمته التى ألقاها بهذه المناسبة، أكد وزير الخارجية على أن التعاون والجهد المشترك الذى بذلته ســـلطات الدولتين والذى أسفر عن استعادة القطعة الأثرية الهامة، يعكس مدى التعاون الوثيق والعلاقات القوية بين مصر والولايـــات المتحدة الأمريكية، مؤكداً حرص مصر على حمايـــة تراثها الثقافى أينما وجد، ومشدداً على ضرورة التصدى بكل حزم لحالات تهريب الآثار والمقتنيات الثقافية، مســـتعرضاً الجهد الذى تقوم به مصر فى هذا الخصوص .

"الخارجية" ترد على أكاذيب أردوغان

رداً علـــى تصريحات الرئيس التركى رجب طيب أردوغـــان خلال إحدى الفعّاليات مؤخـــراً فى نيويورك، واتصالاً بما جاء ببيانه أمـــام الجمعية العامة للأمم المتحدة من ادعاءات مرتبطة بوفاة محمد مرســـى، أعربت وزارة الخارجية، عن بالغ الاســـتغراب والاســـتهجان تجاه تصميم أردوغان على مواصلة ادعاءاته وإصداره تصريحات واهية وباطلة، ظاهرها الادعاء بالدفاع عن قِيَمْ العدالة، وباطنها مشاعر الحقد والضغينة تجاه مصر وشعبها الذى لا يكن سوى كل التقدير للشعب التركى.

وأشارت الوزارة إلى أنه من المفارقات الساخرة أن تأتى تلك الادعاءات من شخص مثـــل أردوغان، على ضوء رعايته للإرهاب فى المنطقة، فضـــلاً عما يرتكبه نظامه من انتهاكات صارخة فى حق الشعب التركى الصديق، حيث يحاول أن يجعله رهينة لحرية زائفة وعدالة مزعومة.

وأضافت «الخارجية» أن تصريحات الرئيس التركى الأخيرة ضد مصر لا تعدو كونها محاولة يائســـة منه لصرف النظر عن تدهور وضع نظامه، والخســـائر المُتتالية التى يُعانيها سواء على المستوى الحِزبى أو على الساحة الداخلية التركية والساحة الدولية.

ولعل الحقائق التالية تمثل الدليـــل على عبثية حديث أردوغان عن العدالة، فلم يعد خافياً على أحد ما يقترفه من الممارســـات، حيث تُشـــير التقديرات بشأن الجرائم التى ارتكبها ويرتكبها أردوغان ونظامه إلى ما يلى:

1 - وجود ما يزيد عن 75 ألف مُعتقل سياســـى فى تركيا بين مدنيين وعسكريين، وهو ما يُبرر التوســـع الكبير الذى يقوم به النظام الحاكم فى تركيا فى إنشاء عشرات السجون الجديدة مؤخراً.

2 - وقوع عشـــرات حالات وفاة بين المســـجونين نتيجة ظروف مشبوهة أو تحت التعذيب أو بسبب المرض نتيجة الأوضاع السيئة داخل السجون التركية.

3 - فصل أكثر من 130 ألف موظف تعسفياً من وظائفهم الحكومية.

4 - مُصادرة أكثر من 3000 جامعة ومدرســـة ومؤسســـة تعليمية مع فصل آلاف الأكاديميين.

5 - حبس وسجن المئات من الصحفيين والعاملين بالمجال الإعلامى، حيث أصبحت تركيا أكثر دول العالم سجناً للصحفيين والإعلاميين وفقاً للعديد من التقارير الدولية.

6 - فرار عشرات الآلاف من المواطنين الأتراك إلى الخارج نتيجة الحملات القمعية فى البلاد.

واتصالاً بالدور المشـــبوه فى دعم ورعاية الإرهاب فى المنطقة، أشـــارت الوزارة إلى أنه قد تعدّدت الممارســـات الخبيثة للرئيس التركى على النحو الذى يبدو جليا أمام الجميع من خلال احتضانه لجماعة الإخوان الإرهابية وعناصرها فى تركيا، وتوفير الدعم السياســـى والمنصات الإعلامية لعناصرها الإرهابيين بهدف استمرار الترويج لأفكارهم التخريبية فى مصر والمنطقة بأسرها.

كما أشـــارت وزارة الخارجية إلى رعاية أردوغان للإرهاب فى سوريا مما أسفر عن طول أمد صراع راح ضحيته مئات الآلاف من أبناء الشـــعب الســـورى الشقيق وتعمد اســـتهداف الأكراد بعينهم بالقمع والقتل والإبادة وهو ما يدخل فى مصاف الجرائم ضد الإنســـانية التى تستوجب المحاسبة والتى لا تســـقط بمرور الوقت، فضلاً عن تسهيل مرور العناصر الإرهابية والمُقاتلين الأجانب وتقديم الدعم لهم للنفاذ إلى دول المنطقة وأوروبا وأفريقيا وآســـيا لزعزعة الاســـتقرار بها والترويج للفكر المتطرف وانتشاره، واســـتخدام الإرهاب فى محاولة لتحقيق أغراضه وأحلامه الزائفة فى التوســـع وبسط النفوذ والســـيطرة خارج حدوده، كما لا يمكن إغفال مواصلته دعم الجماعات الإرهابية والمتطرفة والميليشيات المُسلحة فى ليبيا، عبر توفير كل الدعم السياسى واللوجيستى من أســـلحة ومعدات؛ كل ذلك فى سياسة مُمنهجة تنطوى على استمرار الدعم للعناصر الإرهابية بحيث امتدت إلى بقاع أُخرى فى المنطقة والعالم، ومنها عدد من مناطق القارة الأفريقية وغيرها.

وأضافت وزارة الخارجية أنه لطالما أدانت مصر استمرار الرئيس التركى، ومن خلال التواطـــؤ مع دول داعمة للإرهاب والفكر المُتطرف، فى التدخُل فى الشـــؤون الداخلية لعددٍ من دول المنطقة بهدف تهديد استقرارها الداخلى والسعى اليائس لفرض الهيمنة والنفوذ عليها.

واشنطن

حقق معرض ملكات مصر الذى أقيم بمتحف ناشـــونال جيوجرافيك بالعاصمة الأمريكية واشـــنطن خلال الفترة من 1 مارس حتى 15 سبتمبر 2019 نجاحاً لافتاً، وصرح الســـفير ياســـر رضا، سفير جمهورية مصر العربية فى واشـــنطن، أن عدد زوار المعرض تجاوز 96 ألف شخص، كما أفردت عدد من وســـائل الإعلام الأمريكية والعالميـــة مثل Washington Post - Wall Street Journal - Washington Diplomat - BBC مساحات واسعة للحديث عن المعرض الذى تناول حياة ست ملكات بمصر القديمة، موضحاً أن المعرض كشـــف عن تميز مكانة المرأة فى المجتمع المصرى القديم على نحو فاق جميع الحضارات القديمة.

وأشـــار سفير مصر فى واشنطن إلى مشـــاركة السفارة مع مؤسسة ناشونال جيوجرافيك فى تنظيم يوم عن مصر خلال شهر يوليو الماضى، لتســـليط الضوء على مختلف جوانب الثقافة المصرية. كما ثمّن الســـفير رضا تلك الفعاليات التى تسهم فى دعم مكانة مصر على خريطة السياحة العالمية.

نشاط السفارات

أوكرانيا

استجابة لاستغاثة عشرات الطلبة المصريين بالسفارة المصرية فى أوكرانيا للشكوى من تعرضهم لمشاكل وعراقيل تصل إلى حد الفصل من جامعة الدونتسك الوطنية الطبية، قام سفير مصر لدى أوكرانيا، حســـام الدين على، الخميس ١٢ سبتمبر الجارى، بزيارة للجامعة بمدينة كيرفوجراد التى تبعد ٣٥٠ كيلومترا من العاصمة كييف، لمساندة الطلاب خلال أزمتهم والوقوف على تطوراتها من إدارة الجامعة.وهدفت الزيارة إلى لقـــاء الطلاب وإدارة الجامعة ســـعياً لحل الأزمة. وكان وفداً من طلاب الجامعة قد زار السفارة للاستغاثة بالسفير يوم 3 ســـبتمبر الجارى، واجتمع بهم السفير المصرى، بينما استمر تلقى السفارة لعشرات الشكاوى من غيرهم من الطلاب.وناقش الســـفير المصرى مـــع إدارة الجامعة ما ورد للســـفارة من معلومات بشأن ممارســـات ضد الطلبة المصريين، حيث طلب من إدارة الجامعة التحـــرُك فوراً للعمل نحو حل كافة المشكلات.

أنجولا

وصلت وزيرة الثقافة الدكتورة إيناس عبد الدايم، مساء اليوم الثلاثاء، إلى العاصمة الأنجولية لواندا، ويرافقها الســـفير حمدي سند نائب وزير الخارجية للشئون الإفريقية والدكتورة رشا راغب مدير الأكاديمية الوطنية لتدريب وتأهيل الشـــباب، وذلك للمشـــاركة في فعاليات منتدي أفريقيا لثقافة السلام. وخلال الزيارة، تشهد الوزيرة الاحتفال الخاص بإطلاق النسخة الأولى من بينالي لواندا الدولي لثقافة الســـلام المقامة في الفترة من 18 حتى 22 سبتمبر. وكان في استقبالهم السفير خالد حسن ســـفير مصر بأنجولا، والدكتور تاتي أنطونيو وكيل وزارة الخارجية للتعاون الدولي ونيلســـون كوزمي الســـفير الأنجولي المرشح لتمثيل بلاده في سفارتها بمصر.

ومـــن المنتظر أن تعقد وزير الثقافة المصرية عدة لقاءات مع مســـئولي الثقافة والفنون المتواجدون بالعاصمـــة الأنجولية خلال فترة انعقاد المنتدى لطرح ودراسة العديد من المشروعات الفنية والفكرية الهادفة إلى دعم أواصر الصداقة والتعـــاون بين مصر ومختلف بلاد القارة الســـمراء من خلال القوة الناعمة باعتبارها أحد أهم وسائل التواصل بين الشعوب.

يشار إلى أن الدورة الأولى من منتدى إفريقيا لثقافة السلام تقام بحضور ثمانية رؤســـاء دول وحكومـــات يمثلون المناطق الأفريقيـــة الأربع وعدد من الشخصيات العالمية.

بريطانيا

التقى السفير طارق عادل، سفير مصر فى لندن، بـ«أندرو موريسون»، وزير الدولة البريطانى للتنمية الدولية والشرق الأوسط، حيث ناقش السفير المصرى مع الوزير البريطانى تطورات التعاون الثنائى والجهود الجارية لتعزيز العلاقات المصرية البريطانية على المستويات المختلفة.

وقد رحب الوزير «موريســـون» بالتطور الذى تشهده مجالات تعاون عدة بين البلدين، ومن بينها الصحة والتعليم، مشيداً بشكل خاص بتوقيع مذكرة تفاهم لإنشاء فرع لجامعة لندن بالعاصمة الإدارية الجديدة. كما أكد الوزير البريطانى على اهتمام بلاده بتوثيق العلاقات مع مصر خلال الفترة القادمة على مختلف الأصعدة بما يُحقق المصالح المشتركة.

وشـــهد اللقاء تباحثاً حول الموضوعات الخاصة بالعلاقات الثنائية، فضلاً عن مناقشـــة التطورات على صعيد عدد من القضايا الإقليمية. وقد أعرب السفير «طارق عادل» عن تطلعه لأن تحقق الزيارة التى سيقوم بها الوزير «موريســـون» إلى القاهرة قريباً نتائج ملموسة تساهم فى جهود تعزيز العلاقات بين البلدين

بوروندى

فى حضور السفيرة د. عبير بسيونى رضوان، سفيرة جمهورية مصر العربيـــة لدى بوروندى، وقع اليوم كل مـــن رئيس المفوضية الوطنية المستقلة لحقوق الإنســـان فى بوروندى CNIDH، وممثلة أحد شـــركات البرمجيات، عقد تطوير الموقع الإلكترونى للمفوضية البوروندية لحقوق الإنســـان، بهدف تمكينها مـــن التواصل وتقديم خدماتها المختلفة بأساليب تكنولوجية حديثة، وهو العقد الممول من «الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية» فى إطار التعاون الثنائى بين مصر وبوروندي

تقدمت الســـفيرة د. عبير بســـيونى رضوان سفيرة مصر لدى بوروندى باســـمى ايات الشـــكر على الحفاوة والتكريم الذى تلقته حرم وزير خارجية MPAWENIMANA Esperance من الســـيدة الذى تلقى غرفه (Dunamai) بوروندى وراعية المركز الطبى الخيرى عمليات للنساء والتوليد هدية من مصر (الوكالة المصرية للشراكة من اجل التنمية)، بمشاركة السيد السفير برنارد نتاهيراجا مساعد وزير Dr. HAVYARIMANA Juvenal الخارجية البورونـــدى والدكتور المدير الفنى للمركز.

اســـتضافت السيدةBintou Keita مســـاعدة أمين عام الأمم المتحدة لأفريقيا التى زارت بورونـــدى خلال الفترة من ٢٦ الى ٣١ اغسطس ٢٠١٩ لعشاء عمل للتشـــاور مع السفراء الأفارقة برئاسة الســـفيرة د. عبير بســـيونى رضوان ســـفيرة مصر لدى بوروندى تأكيدا للدور المصرى المشـــرف فى تناول القضايا الافريقية بنزاهة واستقلالية.

هنأت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان سفيرة مصر لدى يوروندى واعضاء الســـفارة والجالية المصرية التحالف المشاركة فيه الشركة المصرية اوراسكوم والشعب والحكومة البوروندية على تدشين والبدء فى أول مشروعات للشـــركة المصرية فى بوروندى وكل افريقيا فى مجال الطاقة وحيث تشـــيد الشـــركة المصرية فى اطار تحالف مع شـــركة CMCاكبر محطة طاقة كهرومائية فى بوروندى على نهري jiji وMulembweبتمويـــل من البنك الدولى والتى افتتحها الســـيد الدكتور Joseph Butoreالنائب الثانى لرئيس الجمهورية البوروندى والمهندس Come Manirakizaوزير الهيدروليكا والطاقة والتعدين البوروندى يوم الاثنين٢٣ سبتمبر ٢٠١٩.

اســـتقبال الســـيد Edouard Nduwimana «أميـــن المظالم» ombudsman للســـفيرة د. عبير بســـيونى رضـــوان فى مكتبه لمتابعة نتائج الزيارة رفيعة المستوى التى قام بها سيادته الى مصر (القاهرة، 26 - 31أغسطس 2019) بتنظيم من السفارة المصرية فى بوجمبورا وذلك بناء على دعوة من الأســـتاذ الدكتور محمد فايق رئيس المجلس القومى لحقوق الإنســـان فى مصر، شـــملت لقاءات لسيادته مع قداسة البابا تواضروس الثانى بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقســـية والدكتور محمد فايق رئيـــس المجلس القومى لحقوق الإنســـان ومقابلات بالخارجية المصرية منها لقاء ســـيادته مع السيد السفير مســـاعد وزير الخارجية لحقوق الإنسان والمسائل الاجتماعية والإنسانية.

صربيا

اختتم أوركسترا النور والأمل للفتيات الكفيفات جولة فى صربيا فى الفترة من 18 إلى 25 سبتمبر 2019 نظمتها سفارة جمهورية مصر العربية فى بلجراد، حيث شملت الجولة أربعة عروض موسيقية فى مدن «بلجراد»، و«نوفى ساد»، و«كراجيوفاتس»، و«أوجيتسا «.

وصرح الســـفير «عمرو الجويلى»، ســـفير مصر لدى صربيا، خلال حفل استقبال نظمته الســـفارة المصرية تكريماً للأوركسترا برئاسة «أمال فكرى»، وقيادة المايسترو دكتور «محمد سعد باشا»، أن الجولة التى شـــملت العاصمة وثلاث من أكبر المدن فى شمال ووســـط وغرب صربيا تحقق تواجداً للثقافة المصرية فى أوســـع قطاع ممكن من المجتمع الصربى. وقامت السفارة المصرية بعقد اجتماعات متتالية مع ممثلى البلديات، على هامش تقديم الأوركسترا لعروضه المميزة، لبحث تعزيز التعاون الثقافى والاقتصادى.

نظمت ســـفارة مصر فى بلجراد، نيابة عن مجموعة السفراء الأفارقة، مؤتمر «الفرص القارية للتجارة والاســـتثمار بين أفريقيا والبلقان: دراسة حالة صربيا»، بالتعاون مع غرفة التجارة والصناعة الصربية وبمشـــاركة وفد مصرى مكون من المهندس أسامة صالح رئيس الجانب المصرى فى مجلـــس الأعمال المصري - الصربى، وممثلى وزارتى التجارة والصناعة والاستثمار والتعاون الدولى .

وترأس الســـفير عمرو الجويلى، سفير مصر لدى صربيا، عدداً من جلســـات المؤتمر، مبرزاً فى كلمته الافتتاحيـــة أهم إنجازات منتصف المدة لرئاسة مصر الحالية للاتحاد الأفريقى..

نظمت سفارة مصر فى بلجراد لقاءات ثنائية للوفد الاقتصادى المصرى برئاسة المهندس أسامة صالح الرئيس المشارك لمجلس الأعمـــال المصري - الصربى وعدد من أعضـــاء المجلس، وممثلى وزارتى التجارة والصناعة والاســـتثمار والتعاون الدولى، مع ثلاثة نواب لرئيسة الوزراء الصربية وزراء الخارجية والتجارة والاتصالات والسياحة والاقتصاد وكبار دوائر الأعمال، على هامش المشارك فى مؤتمر «الفرص القارية للتجارة والاســـتثمار بين أفريقيا والبلقان. شارك الســـفير «عمرو الجويلى» سفير مصر فى صربيا فى افتتاح المعرض الدولى المعنون «الفن بلا حدود» المتضمن اللوحات التى تم رســـمها فى الملتقى الفنى بمقاطعة «فيليكوجراديست» شرقى بلجراد. وشمل المعرض لوحات لأربعة فنانين مصريين، حيث مَثّل كلية التربية الفنية بجامعة حلون كل من الدكتورة أمانى ســـليمان أستاذ الأشغال اليدوية، والدكتور أشرف عبد القادر أستاذ الخطوط، والدكتورة راندة سليمان أستاذ الطباعة، كما شارك الدكتور إبراهيم غزالة أستاذ التصوير بكلية الفنون الجميلة بجامعة المنيا، وقوميسير عام ملتقى الأقصر الدولى للتصوير، بلوحات تعكس البيئة المصرية للفنون، والطبيعة فى صربيا.

النص الكامل لكلمة الرئيس السيسى أمام الدورة 74 للجمعية العامة للأمم المتحدة

السيد الرئيس،

يسعدنى بداية أن أقدم لكم خالص التهنئة على توليكم رئاسة الجمعية العامة..

فى دورتها الرابعة والسبعين، وأن أعرب عن تقديرى، لجهود السيدة «ماريا اسبينوزا».. رئيسة الدورة السابقة.

يأتى جمعنا هذا العام، فى وقت ازدادت فيه جسامة التحديات التى يشهدها العالم، ما يحتم علينا جميعاً، أن نفتح نقاشاً معمقاً، حول تطوير عملنا تحت مظلة الأمم المتحدة، إعلاء للقيم السامية.. التى تم إنشاء المنظمة على أساسها، من خلال تأكيد التزامنا بنظام دولى فاعل وعادل، قوامه الحوار والتعاون.. وإعلاء ثقافة السلام والاحترام المتبادل.

ومصر، كعضو مؤسس للأمم المتحدة، ولعدد من المنظمات الإقليمية كالاتحاد الإفريقى، الذى نحظى هذا العام بشرف رئاسته، وجامعة الدول العربية.. لطالما كانت لديها رؤيتها وإسهامها.. فى مواجهة أهم التحديات التى يشهدها عالمنا.

فاسمحوا لى من هذا المنبر المهم، أن أستعرض تلك الرؤى والمساهمات.

السيد الرئيس،

إن احترام مبدأ الملكية الوطنية للحلول، هو أمر حتمى، لضمان فاعلية منظومة العمل الدولى متعدد الأطراف، وإن لمصر تجربة وطنية رائدة فى هذا الشأن، حيث أطلقت خطة طموحة للنهوض بمجتمعها على نحو شامل، بما فى ذلك التصدى الحاسم للإرهاب، أو عبر برنامج إصلاح اقتصادى، هو الأكثر طموحاً فى تاريخها الحديث، وذلك وفقاً لخطة وأولويات تبلورت وطنياً، وحظت بدعم الشعب المصرى، الذى كان له الفضل الأول فى تحمل أعبائها، وتنفيذ مراحلها الأولى بنجاح.. فاق المتوقع.

وأما على النطاق الإقليمى، فقد عملنا بحكم رئاستنا للاتحاد الإفريقى.. وبالمشاركة مع أشقائنا، على ترسيخ مبدأ «الحلول الإفريقية للمشاكل الإفريقية»، حتى يتسنى اعتماد مقاربة شاملة، تستهدف إرساء دعائم التنمية، من خلال رؤية قارية، تستند إلى مقومات التاريخ المشترك ووحدة المصير، والثقة فى قدرتنا على السير قدماً نحو الاندماج.. وإعلاء مصالح شعوبنا، وتعزيزاً لهذا التوجه، فقد تم تدشين آلية جديدة فى القاهرة لهذا الغرض، هى «مركز الاتحاد الإفريقى لإعادة الإعمار والتنمية»، الذى سيركز على إعادة بناء الدول.. فى مرحلة ما بعد النزاعات.

ولا شك أنكم جميعاً، تابعتم النتائج الناجحة لتطبيق مبدأ الملكية الوطنية، من خلال دور إفريقى فاعل، أثمر عن اتفاق السلام فى إفريقيا الوسطى، وتصور مشترك بين الأطراف المختلفة فى السودان، لإدارة المرحلة الانتقالية.

ومن هنا أؤكد، على أهمية رفع السودان من قوائم الدول الراعية للإرهاب، تقديراً للتحول الإيجابى الذى يشهده هذا البلد الشقيق، وبما يمكنه من مواجهة التحديات الاقتصادية، من خلال التفاعل مع المؤسسات الاقتصادية الدولية، تلبية لآمال شعبه، وأن يأخذ المكانة التى يستحقها ضمن الأسرة الدولية.

وارتباطاً بمبدأ الملكية الوطنية، فإن دول القارة على يقين تام، بأهمية تطوير شراكات حقيقية وفعالة، للتصدى للتحديات السياسية والاقتصادية التى تواجهها، وللحصول على المعرفة والتكنولوجيا، وتطوير الموارد البشرية الإفريقية، وتوفير التمويل والدعم السياسى، وهى أمور تعد أساسية لتحقيق أجندة الاتحاد الإفريقى التنموية 2063.

ومن ثم، أطالب مؤسسات التمويل الدولية والقارية والإقليمية، بأن تضطلع بدورها فى تمويل التنمية بإفريقيا.. بأفضل وأيسر الشروط، مؤكداً أن القارة الإفريقية هى قارة الفرص، التى يمكن أن تكون قاطرة جديدة للاقتصاد العالمى، خاصة مع إطلاق منطقة التجارة الحرة القارية، وتعزيز ترتيبات التكامل الإقليمى، ووضع إستراتيجية طموحة للبنية التحتية.

وأشير فى هذا الإطار إلى مبادرة مصر، بالدعوة لعقد النسخة الأولى من «منتدى أسوان للسلام والتنمية المستدامين»، فى ديسمبر من العام الجارى.. بمدينة أسوان، ليكون نموذجاً لإطلاق الحوار بين الفاعلين الدوليين والإقليميين، من القادة السياسيين، والمؤسسات التمويلية، والمجتمع المدنى والقطاع الخاص، لوضع المبادرات والآليات الدولية والإقليمية فى إفريقيا موضع التنفيذ.

السيد الرئيس،

إن تصفية الأزمات المزمنة الموروثة، شرط ضرورى لأى عمل جاد لبناء منظومة دولية أكثر فاعلية، والمثال الأبرز فى هذا الشأن، هو أقدم أزمات منطقة الشرق الأوسط، وهى.. القضية الفلسطينية.

إن بقاء هذه القضية، دون حل عادل مستند إلى قرارات الشرعية الدولية، يفضى لقيام الدولة الفلسطينية المستقلة.. وعاصمتها القدس الشرقية، لا يعنى فقط استمرار معاناة الشعب الفلسطينى، وإنما يعنى أيضاً استمرار مرحلة الاستنزاف.. لمقدرات وموارد شعوب منطقة الشرق الأوسط.

وأستطيع، بضمير مطمئن، أن أؤكد ما سبق وذكرته على هذا المنبر فى السنوات الماضية، من أن العرب منفتحون على السلام العادل والشامل، وأن المبادرة العربية للسلام.. لاتزال قائمة، وأن الفرصة ما زالت سانحة، لبدء مرحلة جديدة فى الشرق الأوسط.

إلا أننا بحاجة لقرارات جريئة، تعيد الحق للفلسطينيين، وتفتح الطريق أمام نقلة كبرى فى واقع هذه المنطقة، بل- وبدون مبالغة- فى تاريخ النظام الدولى كله، يترتب عليها إقامة منظومة أمنية واقتصادية فى منطقة الشرق الأوسط، قوامها السلام والأمن والتعاون.. والمصلحة المشتركة.

السيد الرئيس،

إن اعتماد الحلول الشاملة لجذور المشكلات الدولية، هو أمر حتمى لنجاح منظومة العمل الدولى متعدد الأطراف.

ينطبق ذلك على الأزمة الممتدة التى يعيشها الشعب الليبى الشقيق، الذى يعانى يومياً من ويلات النزاع المسلح الذى يستوجب إيقافه، فقد آن الأوان لوقفة حاسمة، تعالج جذور المشكلة الليبية بشكل شامل، من خلال الالتزام

بالتطبيق الكامل لجميع عناصر خطة الأمم المتحدة، التى اعتمدها مجلس الأمن فى أكتوبر 2017، ومعالجة الخلل الفادح فى توزيع الثروة والسلطة، وغياب الرقابة الشعبية، من خلال الممثلين المنتخبين للشعب الليبى، على القرار السياسى والاقتصادى فى ليبيا، مع ضرورة توحيد المؤسسات الوطنية كافة، والنأى بهذا الجار الشقيق عن فوضى الميليشيات، والاستقواء بأطراف خارجية دخيلة.

وعلى غرار حتمية الحل الشامل للأزمة الليبية، فإن الحل السياسى فى سوريا، بات ضرورة ملحة لا تحتمل المزيد من ضياع الوقت، والاستمرار فى الحلقة المفرغة، التى تعيشها سوريا منذ ثمانية أعوام، إن مصر إذ ترحب بالإعلان عن تشكيل اللجنة الدستورية، فإننا نطالب ببدء عملها بشكل فورى ودون إبطاء، كخطوة ضرورية نحو التوصل لتسوية سياسية شاملة، وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم (2254)، وبما يحقق وحدة سوريا وسلامتها الإقليمية وسلامة مؤسساتها، ووقف نزيف الدم، والقضاء التام على الإرهاب .

وبالمنطق نفسه أقول: لقد آن الأوان لوقفة حاسمة، تنهى الأزمة الممتدة فى اليمن، من خلال تنفيذ الحل السياسى بمرجعياته المعروفة، وإنهاء التدخلات الخارجية من أطراف إقليمية غير عربية، تسعى لتقويض الأمن القومى العربى، ومواجهة التهديدات غير المسبوقة، التى تعرضت لها منطقة الخليج العربى، سواء فى صورة تهديدات للملاحة، أو عبر الاعتداءات التى تعرضت لها منشآت نفطية.. فى المملكة العربية السعودية الشقيقة.

السيد الرئيس،

ينطبق مبدأ ضرورة المعالجة الشاملة كذلك، على أخطر تحديات العصر، وهو الإرهاب. فقد طالبت مصر دائماً، باتباع نهج شامل لمكافحة الإرهاب، يقوم على ضرورة التصدى لجميع التنظيمات الإرهابية.. دون استثناء.

وأؤكد هنا ضرورة التزام الجميع، بالتنفيذ الكامل لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة، وضرورة محاسبة داعمى الإرهاب بالمال أو السلاح، أو بتوفير الملاذات الآمنة، أو المنابر الإعلامية، أو التورط فى تسهيل انتقال وسفر الإرهابيين.

ومن هذا المنبر، فإننى أكرر استعداد مصر، بما لديها من خبرات فى مكافحة الإرهاب، لتكثيف تعاونها مع الدول الصديقة والأمم المتحدة، خاصة فيما يتعلق بالتصدى لأيديولوجيات الإرهاب.

وأشدد فى هذا الخصوص، على أهمية تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم «2354»، المعنى بتنفيذ الإطار الدولى الشامل لمكافحة الخطاب الإرهابى، وهو القرار الصادر بناء على مبادرة مصرية، ولإعلاء قيم التسامح.. وتجديد الخطاب الدينى.

وفى سياق تطرقنا لمجلس الأمن، فإنه يتعين علينا العمل بجدية وإصرار، لمعالجة القصور القائم فى تشكيل وعملية اتخاذ القرار.. فى مجلس الأمن، خاصة من خلال ضمان تحقق التمثيل العادل والمتوازن فى المجلس.

وارتباطاً بذلك، وفيما يتعلق بقارتنا الإفريقية، فإنه يتعين العمل على إزالة الظلم التاريخى الواقع عليها. وأؤكد تمسكنا بالموقف الإفريقى الموحد، القائم على توافق «أوزولوينى» وإعلان «سرت»، مطالباً إياكم بتبنى هذا الموقف العادل، فى إطار المفاوضات الحكومية ذات الصلة.

السيد الرئيس،

إن مصر سعت على مدار عقود، إلى تعزيز وتعميق أواصر التعاون مع أشقائها من دول حوض النيل، التى ترتبط معهم.. بعلاقات أزلية.

وتأكيداً لحرصها على رفعة شعوب حوض النيل الشقيقة، أعربت مصر عن تفهمها لشروع إثيوبيا فى بناء «سد النهضة»، رغم عدم إجرائها لدراسات وافية.. حول آثار هذا المشروع الضخم، بما يراعى عدم الإضرار بالمصالح المائية لدول المصب.. ومنها مصر. بل وبادرت مصر، بطرح إبرام «اتفاق إعلان المبادئ حول سد النهضة»، الموقع فى الخرطوم.. فى 23 مارس 2015، والذى أطلق مفاوضات امتدت لأربع سنوات، للتوصل لاتفاق يحكم عملية ملء وتشغيل سد النهضة.

إلا أنه - ومع الأسف- لم تفض هذه المفاوضات.. إلى نتائجها المرجوة. وعلى الرغم من ذلك، فإن مصر مازالت تأمل فى التوصل لاتفاق يحقق المصالح المشتركة، لشعوب نهر النيل الأزرق فى إثيوبيا والسودان ومصر. إن استمرار التعثر فى المفاوضات حول سد النهضة، سيكون له انعكاساته السلبية على الاستقرار، وكذا على التنمية فى المنطقة عامة.. وفى مصر خاصة.

فمع إقرارنا بحق إثيوبيا فى التنمية، فإن مياه النيل بالنسبة لمصر.. مسألة حياة، وقضية وجود، وهو ما يضع مسئولية كبرى على المجتمع الدولى، للاضطلاع بدور بناء.. فى حث جميع الأطراف على التحلى بالمرونة، سعياً للتوصل لاتفاق مرض للجميع.

السيد الرئيس،

ختاماً، فإن رسالة مصر اليوم، تأتى فى شكل دعوة للسعى لتحقيق السلام، دعوة.. للعمل لصالح الإنسانية، دعوة.. للتعاون والتفاهم المشترك، دعوة.. لتحقيق التنمية المستدامة وتعزيز وحماية حقوق الإنسان، ودعوة.. لإدراك أن ذلك هو السبيل الأمثل.. لما فيه صالح المجتمع الدولى.

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير لكل شعوبنا..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ذكريات انتصارات أكتوبر ..

عملت عامى 1971 و1972 فى مكتب نائب رئيس الوزراء، ووزير الثقافة والإعلام، الدكتور عبد القادر حاتم، وقت أن كان الرئيس السادات يرأس الوزارة بنفسه. وسافر الدكتور حاتم وقتها إلى موسكو ليتباحث مع القيادة السوفييتية، ويحثها على تزويد مصر بما تحتاجه من سلاح. وأتيحت لى فرصة المشـــاركة فى صياغة تقرير مقابلته مع «ليونيد برجنيف» الســـكرتير العام للحزب الشـــيوعى السوفييتى. وبغض النظر عن التفاصيل فقد أســـفرت المقابلة عن رسالتين مهمتين، مفادهما:

1.جـــارى تجهيز الســـلاح المطلوب، وســـيتم تســـليمه بقدر إمكانية استيعاب القوات المصرية للســـلاح وتدريبها عليه، حتى لا يتكرر ما حدث فى حرب 1967.

2.التحذير من أن تشن مصر حرباً فى ذلك الوقت، لأن تقديرات الســـوفييت أنه لو حدث ذلك، فإن الخسائر فى الأرواح لن تقل عن 42 ألف قتيـــل فى نوبة العبور الأولى. (مع أن خســـائرنا الفعلية بعـــد ذلك، لم تتجاوز 260 شهيداً).

وكان الرئيس الســـادات قد أدرك من قبل أن الروس لن يساعدوه بشكل حاسم. وأظنه اتخذ قراره الشجاع بالإعداد للحرب سريعاً بالاعتماد على قدرات مصر. وطلب من روسيا سحب خبرائها. فيما أسماه وقفة مع الصديق. وكان غرضه غير المعلن من هذه الخطوة أن يبـــدأ الحرب، فلا يقال إن جنود روســـيا كانوا يحاربـــون مع مصر. وأيضـــاً كان يحافظ على ســـرية توقيت الضربة الأولى.

وفى أكتوبـــر 1972 نقلـــت للعمل بســـفارتنا فى ريو دى جانيرو بالبرازيل، قبل الانتقال للعاصمـــة الجديدة برازيليا. وفى سبتمبر ســـنة 1973 تلقت السفارة رسالة ســـرية عاجلة، تصدرتها التعليمات التالية: «فور حل هذه البرقية يطلب موعد من رئيس جمهورية البلد المعتمدين لديها وإبلاغه الرســـالة التالية من السيد الرئيس محمد أنور الســـادات». ولما علم السفير بهذه التوجيهات بادر بالاتصال بالرئاســـة فى برازيليا، العاصمـــة الجديدة، وتحدد الموعد مع رئيس البرازيل فى صباح اليوم التالى.

غير أن المفاجـــأة التى حدثت هى أن آلة الرمز انكســـرت فيها بعض أسنان أحد التروس. وكنت لم أصل بعد لحل منتصف الرســـالة. وبذلك أصبح لدينا موعد صباح الغد مع الرئيس، لتبليغ رســـالة ليســـت

سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

معنا بالكامـــل. واقتضى ذلك أن أفتح قلب الماكينة لإصـــلاح الخلل بعد كل حرف فى الرسالة. وهو ما تطلب أكثر من 12 ساعة عمل حتى فجر اليوم التالى لحل الرســـالة كاملة. وفوجئت باتصال من زميلى «فاروق الحوفـــي» (رحمـــه الله) بســـفارتنا فى أورجواى يبلغنى أن الرسالة وصلتهم غير قابلة للحل. ولحسن الحظ وبالمصادفة مر بنا حامل حقيبة أعطيته نسخة من الرسالة لإنقاذ الموقف فى أورجواى أيضاً.

وكانت رســـالة الرئيس السادات إلى رؤساء العالم تســـجل جهود مصر لإنهاء الاحتـــلال الإســـرائيلى لســـيناء بالطرق الســـلمية. وأنها بذلت كل وسعها للتوصل إلى حل. وأننا قررنا عرض القضية مجدداً على الأمم المتحدة. وكان ذلك كله- حسبما اتضح فيما بعد- ضمن ســـيناريو التعمية والإعداد لمســـرح معركـــة أكتوبر. بل إن الرئيس السادات أوفد الوزير محمد حسن الزيات إلـــى الولايات المتحدة لاحقاً ليقابل «هنرى كيســـنجر» يوم 6 أكتوبر 1973 للتباحث حـــول كيفية الخروج من الموقف بالطرق السلمية وتوظيف الأمم المتحدة فى هذا الشأن. وأبلغه «كيسنجر» أثناء المقابلة أن مصر قد شـــنت حربها بالفعل لتحرير سيناء.

أول أنباء النصر

يتأخر التوقيت فى ريو دى جانيرو عنه فى القاهرة بنحو 7 ساعات. وفى ســـاعة مبكـــرة من صباح يـــوم 6 أكتوبر 1973 (أى فى نحو الرابعة بعـــد الظهر بتوقيت القاهـــرة)، دق جرس التليفـــون بإلحاح، ورفعت الســـماعة لأجد الآنسة «إدنـــا» السكرتيرة السابقة للسفارة، والتى طلبت منى أن أصحو وأطلع على الأنباء الســـارة التى تقول إن القوات المصرية المســـلحة تشـــن عمليات مكثفة للعبور إلى الضفة الشرقية لقناة السويس وأنها تحقق نصراً عسكرياً غير مسبوق.

وفى الثالثة عصـــراً حضر ممثلو قناة تليفزيون «أو جلوبـــو». وطلبوا أن أظهر بعد نشـــرة أخبار السادســـة مساء لأعلق على الأنبـــاء. ولم تكن لدينا أى أنباء موثقة من مصـــادر مصرية. وكانـــت الاتصالات التليفونية بالقاهـــرة- على هذا البعد- من المستحيلات. وأجهزة الراديو لم تكن- رغم كفاءتها- تلتقط إذاعات مصرية ســـوى مساءً فى بعض الأحيان.

ركبت سيارتى وصعدت إلى قمة جبل «الكوركفادو» المرتفعـــة التى يطل منها تمثال السيد المسيح على المدينة. متعشماً أن يكـــون المكان مناســـباً لالتقاط إذاعة مصر. واستطاع راديو الســـيارة التقاط إذاعـــة صوت العـــرب. وردت الروح. فقد كانت رائحة النصر واضحة، ونغمة الإعلام المصرى مدروسة بعناية ولا تبالغ فى نقل أنباء المعركة. وقد هدانى ذلك لأسلوب هادئ لتناول الأمر فى نشـــرة الأخبار فاستندت فى حديثى لرســـالة الرئيس السادات من أن مصر بذلت كل المســـتطاع لاســـترداد أراضيها ســـلماً. وأنها تحرر أراضيها دون أن تعتدى على أحد.

ومن اليوم التالى ظهر جلياً أن القوات المصرية المسلحة تحقق معجزة عسكرية

فوق هذه القمة استمعت لأول أنباء انتصارات أكتوبر

بكل المقاييس. وصفتها مجلة «تـــايم» الأمريكية الحرب - لاحقاً- بأن مصر حققت واحداً من أعظم الإنجازات العســكرية فى التاريــخ، عندما نجحت فــى عبور آلاف المقاتلين فى وقت قياسى. وتعتبر خسائر إسرائيل كما لو أن الولايات المتحدة خسرت مليونى مقاتــل بين قتيل وجريح، بمقارنة عدد السكان ونســبة القوات المسلحة فى البلدين. ومما زاد من إحساســنا بالنصر على هذا البعد أن وسائل الإعلام البرازيلية أقبلت علينــا بكل ثقة. فضلاً عن التعاطف مع مصر التى تحتل دائماً مكانة طيبة لدى الإعلام والرأى العام فى البرازيل.

وكان الاهتمام الكبير مركزاً على معركة خفض إنتــاج البترول، التى أحدثت مجاعة فى الطاقة. وكنــا نطمئــن البرازيليين أن مجاعة البترول لن تشمل الدول الصديقة وتلك التى تساند الحق العربى، وحــق مصر فى تحرير أراضيها.

الدبلوماســية والجاليــة المصرية

التفــت الجاليــة المصرية والعربية فى البرازيل حول بعثتنا فى ريــو - أثناء حــرب أكتوبر 1973- وشكلنا مجموعات للعمل من المواطنين تتكفل بالاستماع للأنباء. ونقلهــا للجالية العربية الواسعة، ولمجموعة المصريين المغتربيــن. وهــى مجموعــة مشــرفة للغاية وكانــت تحتل أفضل المناصب. وكان من أبرز المتابعين للأنبــاء وإمدادنا بها صديقتنا «إيتــــا» الزوجــة الهولنديــة لمواطننا المهندس المصرى «جورج قبطي» رئيس مؤسسة اللويدز البريطانية العالمية.

ووسط هذه الفرحة احتسبت عند الله، وأنا على هذا البعد. ابن عمى وأصغر أبناء أسرتى قائد ســرية الدبابات الرائد حمدى حامد البيومى، الذى استشــهد فى معركة الدبابات يــوم 10 أكتوبر، وحكى زملاؤه أنه نال شرف الشهادة بشجاعة فائقة وهو يطارد ويدمر دبابات العدو. وعندما نادته قيادتــه للتوقف، كان يدمر آخر فريســة، فلحقت به قذيفة معاديــة فجرت دبابته. وصار أول اسم مكتوب فى النصب التذكارى لشهداء دمياط. ولحق بشقيقه حلمى، الذى استشــهد أيضاً فى حــرب 1956، ولكن بنيران صديقة أثنــاء التدريب فى الحرس الوطنى. ولقد كرمت القوات المسلحة ابنها الشهيد بإطلاق اسمه على سريته.

الشهيد حمدى البيومي

الفشل الإسرائيلى بشهادة أهله:

كانــت أغلب مصادرنــا للأخبار فى ريو دى جانيرو أجنبيــة. ووفقاً للمصادر الإسرائيلية، وقف موشى ديان وزير الدفاع الإســرائيلى وقت حــرب أكتوبر 1973، ليقول: «إننى لن أنســى أبداً ولن تنســى إسرائيل أن رئيس مخابراتنا «زامير» أرسل لنا برقية مهمة جداً وبالشــفرة من لندن الســاعة الرابعة وخمس دقائق عصر يوم 6 أكتوبر يحذرنا فيهــا من أن المصريين سيهاجمون إســرائيل، اليوم.. اليوم.. ولم يعلم هذا (المخبــول، على حد قول ديان) أن قوات إسرائيل المســلحة تُدك دكاً من ساعتين على طول الجبهة... هل تصدقون؟ .. رئيس مخابراتنا يحذرنا من المصيبة بعد وقوعها بساعتين؟!»

وفى 18 نوفمبر 1973، وبعد 25 يوماً من انتهاء معارك حــرب أكتوبر، أصدرت الحكومة الإســرائيلية قراراً بتشكيل لجنة برئاســة رئيس المحكمة العليا «شمعون اجرانــات». للتحقيق فى ظــروف الهزة الشديدة التى أصابت إسرائيل نتيجة نشوب الحــرب والنقد الشــعبى للأخطاء والعيــوب التى ســمحت بالهجوم المفاجــيء والمنســق مــن جانب مصر وســوريا والمطالبة بمحاكمة المسئولين عن ذلك.

بدأت اللجنــة عملها فى ظروف مــن الســرية التامة فــى نوفمبر 1973 وانتهت من مهمتها فى يناير 1975. وأصــدرت اللجنة تقريرها بعد أن اســتمعت إلى شهود من كل المســتويات، وحتى رئيسة الوزراء جولدا مائير وعدد من الوزراء ورئيس هيئة الأركان. وفــى نهاية تقريرها ألقت اللجنــة بمســئولية الأخطاء الجســيمة فى تقديرهــا على اللواء ايلى زعيرا رئيس شــعبة المخابرات العســكرية «أمان» وعلى مساعديه. حيث فشلوا فى التحذير الكافى وفى الوقت المناسب، للجيش الإسرائيلى مما أدى إلى وقوع ارتباكات شديدة فى اســتعداد القوات على الجبهات

وفـــى نشـــرها. خاصة على جبهـــة قناة السويس. وأكدت اللجنة فى تقريرها تحمل رئيس هيئة الأركان العامة «دافيد اليعازر» مسئولية شخصية عما حدث عشية الحرب سواء بالنســـبة لتقدير الموقف أو بالنسبة لاستنفار الجيش، مما أدى إلى تقديـــمه لاستقالته.

وبعد إصدار التقريـــر الجزئى للجنة فى إبريل 1974 قدمت جولدا مائير رئيسة الوزراء استقالتها، بينما تـم حفظ الأجزاء التى لم تنشر فى التقرير بسبب المعلومات الواردة فيها ولمدة ثلاثين عاماً أى حتى عام 2005. وفى النسخة الإنجليزية المترجمة للتقرير، ســـطر يقـــول: إن رئيس اللجنة وجه سؤالاً إلى أحد مســـئولى المخابرات الإسرائيلية هو: Why did this happen?

وكانـــت الإجابـــة: Sir. Egypt was ready to go to the war. we were not.

المحدال 1973

من أفضل الكتب التى صدرت ســـنة 1974 عن حرب أكتوبر كتاب إســـرائيلى عنوانه (المحدال) أى (التقصير)، ترجمته للعربية ونشـــرته مسلسلاً إحدى الصحف اللبنانيـــة. وجمعت قصاصاته بنفســـى، وصورت عشرات النســـخ منه كان الأخوة العرب يتخاطفونها ويتشاركون فى قراءة النســـخة الواحدة. هذا الكتاب يكشـــف حجم الضربة واللطمة المصرية على وجه إســـرائيل.. ومدى العجز والتقصير على الجبهة وفى التعبئة. والكتاب ألفه ســـبعة من الصحفيين حضـــروا الحرب. واعترف المؤلفون فى مقدمة الكتاب بقولهم: «عدنا من الحرب فوجدنا أنفسنا جزءاً من شعب حزين مصدوم تحيره التســـاؤلات وكان ما جمع بيننا هو الاعتراف المشـــترك بأنه من المستحيل تجاوز ما حدث ومن المستحيل مواصلة إخفاء الحقيقة العارية التى سوف تزفها السطور».

وقبـــل أن يندفع المؤلفون الســـبعة منتشرين على الجبهتين السورية والمصرية وراء تفاصيل صحفية وأسرار عن الحرب... فإنهم يرجعون التقصير فى الحرب لثلاثة خيوط رئيســـية، يصفونها بأنها سلســـلة أخطاء متساوية فى ثلاثة مجالات، وهى:

1.خطأ المخابرات الإسرائيلية وعجزها عن تجميع واستخلاص النتائج.

مدافع آر بى جي

2.وخطأ القيادة العليـــا للجيش التى سقطت بغباء فى مصيدة الخداع المصرية.

3.خطأ الحكومة الإسرائيلية ذاتها بعدم تقديرها للأمور.

وأمثلة ذلك:

صباح الأحـــد 7 أكتوبر 1973 كانت عناوين الصحف فى تل أبيب والقدس تقول: «الجيش الإسرائيلى يصد التوغل فى سيناء وعلى وشك الانتقال إلى الهجوم المضاد». ومساء أول أيام الحرب ظهرت جولدا مائير على شاشة التليفزيون الإسرائيلى. وقالت بثقة إن الجيش الإســـرائيلى مستعد وأننا لم نفاجأ. ووراءها ظهر موشى ديان يقول (سنضربهم ضرباً مبرحاً).

لكن شـــبكات الاتصال اللاسلكى فى سيناء المتصلة بمكبرات الصوت المنتشرة فى كل الوحدات والجيش الإسرائيلى. نقلت صراخ ضابط من موقـــع القيادة الأمامى، يصرخ فى اللاسلكى: الوضع ميئوس منه. والجنـــرال «إبراهام مندلـــر» قائد القوات المدرعة الإسرائيلية فى سيناء تنهار كلماته فى اللاســـلكى مطالباً رئاســـته بمساعدة جوية: «إذا لم ترسلوا الطيران سوف يسقط القطاعان الجنوبى والأوسط و200 دبابة على الأقل»...

وقبل أن يموت الجنرال «مندلر» أدلى بآخر حديث صحفى عبـــارة النهاية فيه: «سوف يكون أصعب جزء فى هذه الحرب بالنســـبة لى، هو زيـــارة عائلات جنودى الذين قتلوا».. ولكـــن المقادير أعفته من هذه المهمـــة الصعبة.. بعـــد ثلاثة أيام فقـــط. فبينما الجنـــرال «مندلر» وهو فى دبابة القيادة فى القطاع الأوسط والجنرال «جنيـــن»، قائد جبهة ســـيناء فى طائرته الهليكوبتـــر يلاحظ ســـير القتال فيتصل «بمندلر» ويسأله أن يحدد مكانه بالضبط.. و«مندلر» يحدد مكانه بدقة يحسد عليها.. وبعد دقيقة واحدة يصيبه صاروخ مصرى إصابة مباشـــرة. نتيجة للتنصت المصرى على الاتصالات الإسرائيلية.

فى ظهر ثانى أيـــام القتال. فى مقر القيادة على بعد 30 كم شـــرق القناة، جاء «موشيه ديان» فى زيارة خاطفة. والبلاغات تتوالى علـــى القيادة يائســـة متدهورة. ويهمس «ديـــان» مقطباً: يبدو أن علينا أن نخلى خط تحصينـــات بارليف، ونتحصن على ســـفوح الجبال. وإذا لـــم ننجح فى إيقـــاف المصريين عند خط الجبال لابد أن ننســـحب إلى عمق أكبر. ويعود ديان إلى جولدا مائير بحصيلة خسائر أول يوم من أيـــام الحرب 500 قتيـــل و1000 جريح وعشرات الأسرى.

لكن أكثر ما أثار دهشة مؤلفى المحدال ســـنة 1973 هو أن القوات المصرية كانت قد أجرت على الضفة الغربية للقناة مناورة ضخمة للعبـــور شـــملت كل التفاصيل. ورصدتهـــا عيـــون القوات الإســـرائيلية وكاميرات التليفزيون الإسرائيلى والخبراء العسكريون الإسرائيليون. ويجمع المؤلفون الســـبعة - إن عبور القوات المصرية بعد ظهـــر 6 أكتوبر جاء طبقـــاً لهذه الخطة المعلنة على شاشات التليفزيون الإسرائيلية

حائط الصواريخ

دون تغيير. وهذا يثبت الذكاء المصرى، والغرور الإسرائيلى الذى بعث الله به ليعمى أبصارهم عن الصاعقة التى كانت ستنزل عليهم.

تطور علاقاتنا الخارجية

قابلت «اللورد كارادون» مرتين. الأولى فى سنة 1968 فى بوخارست/ رومانيا، عندما طلبت منى وزارة الخارجية أن أمثل مصر فى اجتماع لجنة التنسيق والبرامج للأمم المتحدة، والتى كانت تخطط لبرنامج العقد الثانى للتنمية الاقتصادية. وتتكون اللجنة من رؤساء مؤسسات التمويل والاقتصاد والتجارة الدولية. فوجدتنى - وأنا سكرتير ثان- أجلس إلى مائدة يفتتحها الرئيس «نيكولاى شاوشسكو» ويرأسها سكرتير عام الأمم المتحدة «أوثانت»، ورئيس البنك الدولى «روبرت ماكنمارا» ومدير عام منظمة التنمية الصناعية UNIDO الدكتور حلمى عبد الرحمن وغيرهم، ومع ممثلى 8 دول اختارها الأمين العام أذكر من بينها الولايات المتحدة ومثلها «شارلز يوست» والأردن ومثلها السفير عبد الله التل، وبريطانيا التى مثلها «اللورد كارادون» مندوبها فى الأمم المتحدة، والذى كان من حظى الجلوس بجواره لأطلعه على صورة له نشرتها الأهرام بمناسبة حديث له فى ختام جلسة لمجلس الأمن، استشهد فيه بأبيات من الشعر العربى. وشجعنى ذلك أن أسأله عن سر صياغته «الغريبة» لقرار مجلس الأمن رقم 242 الذى دعا إسرائيل للانسحاب من «أراض» احتلتها بعد 5 يونيو 1967. ولماذا لم يستخدم كلمة الأراضى الملزمة بالانسحاب من كل الأراضى. فأجاب بصراحة: أن الصياغة جاءت لتعكس حقيقة أوضاع القوى المحاربة على الأرض. فوضع القوات المصرية لم يكن مريحاً. ولهذا ما كانت إسرائيل لتوافق على صياغة أخرى. وما كانت الولايات المتحدة - بعلاقاتها المقطوعة مع مصر- لتسمح بصدور قرار واضح وقاطع فى مسألة الانسحاب. ولهذا استخدم هذه الصياغة ليفسرها كل طرف بما يجعله يوافق عليها.

فى المرة التالية، التقينا فى بون/ ألمانيا سنة 1985 فى ندوة دعت إليها مؤسسة «كونراد أديناور» التابعة للحزب الديمقراطى المسيحى الحاكم، حول مستقبل السلام فى الشرق الأوسط. فسألته عن رأيه وقتها وبعد أن استردت مصر كامل ترابها الوطنى بعد انتصارات أكتوبر، وإطلاق مسيرة السلام. فأبدى لى رضاءه التام عن هذه النتيجة. وأضاف أنه كان يراهن على أن مصر بقدراتها لن تقبل - فى أى ظرف- أن تظل أراضيها محتلة، ففرضت على إسرائيل الانسحاب بشن حرب التحرير وبإطلاق مبادرات السلام. وكان حديثاً يعبر عن الفرق بين أن تتفاوض الدول وهى محتلة، وأن تتفاوض بعد أن حررت أراضيها فى معركة انتهت بالانتصار.

وعلى المستوى الإقليمى، فقد بعثت «حرب البترول»، التى قادها تحالف السادات/ فيصل، برسالة واضحة للقوى العالمية، بأنها لن تستطيع مواصلة تجاهل الحقوق العربية، والانحياز إلى إسرائيل، دون تكلفة وثمن تدفعه. ولهذا التقت إرادة القمة العربية فى الجزائر سنة 1974 بإرادة القمة الأوروبية التالية لإقامة «حوار عربي/ أوروبي» يقوم على توسيع دوائر المصالح المشتركة والحد من الاختلافات. وأطلقت أوروبا لاحقاً سياستها المتوسطية، وحوارها مع دول الخليج العربى. وصارت دول الاتحاد الأوروبى الشريك الاقتصادى والتجارى الرئيسى لمصر وللعالم العربى.

كما انطلقت دوائر علاقات مصر الخارجية لتتسع مع كل الشركاء الإقليميين فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. حتى صارت القاهرة من أكثر عواصم العالم استضافة للبعثات الدبلوماسية. مما يعبر عن اتساع علاقات مصر الخارجية ونفاذها وجدواها.

مصرنا الآن:

نحتفل فى أكاديمية ناصر العسكرية العليا، سنوياً بذكرى نصر أكتوبر. وفى أحد تلك الاحتفاليات ركز البرنامج على ثلاثة محاور توضح عملية الإعداد لمعركة التحرير فى أبعادها العسكرية والسياسية والاقتصادية.

وجلست أستمع للمتحدثين فى جلسة الإعداد العسكرى للمعركة من كبار القادة الذين أعدوا وشاركوا فى معركة النصر. واستمتعت والحضور بالحديث عن المفاجآت الإستراتيجية التى شكلت الفارق الشاسع فى ميزان النصر:

* ضربات الطائرات والمدفعية فى الساعات الأولى للحرب.
* حائط الصواريخ الذى تكفل بمذبحة الطائرات.
* مدافع المياه التى انهار بفعلها خط بارليف.
* مدافع «آر بى جي» التى حملها جنودنا على أكتافهم وحققوا بها المعجزات، فى مواجهة بين المشاة والدبابات.
* عمليات خداع العدو.

فدعونا لأبطالنا مترحمين على شهدائنا، وشكرنا قادة معركة النصر إعجاباً بإنجازاتهم، وعرفاناً بجميلهم. ونترحم اليوم على اللواء الدكتور ممدوح عطية الأستاذ والمحاضر بالأكاديمية، الذى كان يقوم بالجهد الأكبر فى هذه الاحتفاليات. ولبى نداء ربه منذ أيام.

كل عام ومصرنا وشعبها بكل خير، وروح انتصارات أكتوبر تلهمنا تحقيق المزيد من أجل مصر، وأمجاد متوالية فى مجال النمو والرخاء للشعب المصرى.

العبور إلى نصر أكتوبر المجيد...التخطيط تحت ضوء الشمس

لقد كانت كل التحليلات الإســـرائيلية والأمريكية تضع عجز القدرة العسكرية لمصر عن تحرير أراضيها بالحرب فى مقدمة اســـتهلالاتها للوصول إلى نتيجة واحدة هى عدم توقع أى هجوم من جانبها، كما أن اعتقادنا بأن المصريين ســـوف ينتظرون كالعادة ما وعدناهم به من تحرك فعال فى اتجاه الحل السلمى بعد انتهاء الانتخابات الإسرائيلية فى الثلاثين من أكتوبر كان يدعم توقعنا بعدم الهجوم فى شهر أكتوبر على الأقل.

د.هشام عبدالملك

Hesham.Abdel.Malek@bbc.co.uk

هذا مـــا جاء فى مذكـــرات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى وقت حرب أكتوبر ومستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى (سنوات مضطربة)، حيث خصص فصلاً كاملاً حول هذه المفاجأة فى مذكراته بعنـــوان (لماذا أخذنا على حين غـــرة) معترفاً بقوة خطط الخداع الإســـتراتيجية التى طبقهـــا الجيش المصرى فى خداع إســـرائيل والولايات المتحدة مجتمعين، حيث فوجئ الجميع بســـرعة التنفيذ وهول النصر المصرى الكبير.

لقد قال الرســـول صلى الله عليه وسلم: (إن الحرب خدعة)، فهى وسيلة مشـــروعة لتضليل العـــدو خلال زمن الحرب، ســـواء عبر حمـــلات الحرب الإعلامية، أو تزويده بمعلومات مغلوطة، أو بالخوض فى حرب نفسية بما يجعل العدو يتصـــرف بناء علـــى معلومات خاطئـــة، وكان الجنرال (ســـون تزو) يعطى الأولوية للخدع العســـكرية فى كتابه (فـــن الحـــرب)، ويضعها عالياً فى لائحة الفنـــون التى يجب على قائد الجيش إتقانها.

ولاشـــك أن الجزء المهـــم فى فن الخدعة يتمثـــل فى القدرة على التفكير كما يفكر العدو، إذ أن ما قد يبدو منطقياً بنظر الجانب الذى يرسم الخدعة، ربما لا يبدو منطقياً بنظر الضحية الهدف، فجوهر المفاجأة هـــو المبادرة بالعمل

فى الاتجاه الصحيح بطريقة تخالف توقع العدو وتقديره، وهو ما نجحت فيه مصر، حيث طبقت هذا المبدأ بحذافيره مع إسرائيل التى هى أساس الخداع والتحصينات فى العالم (عندما تحرك قواتك تظاهر بأنك لا تقوم بأى فعل).

لقد مرت على الرئيس محمد أنور السادات ثلاثة أعوام فى حكم مصر، ووجد أن الفرصة قد أصبحت سانحة لاتخاذ قرار الحرب، فمصر من ناحية لن تتلقى مزيداً من السلاح أكثر مما تلقته، وهى الآن فى قمة قدرتها العسكرية، ومن ناحية أخرى تلقى مصر على المستوى الدولى كل التأييد الذى لم تكن تحلم به أبداً من جانب الشعوب العربية ودول عدم الانحياز وفى الأمم المتحدة وفى كل مكان، كما أن مصر لم تعد تتحمل مزيداً من حالة اللا سلم واللا حرب، فضلاً عن أن لديها ضوائق اقتصادية، وبالتالى كان لابد من التخطيط لمعركة الكرامة والعزة، وكما جاء فى كتاب (الطريق إلى رمضان) للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل، وكان وقتها رئيساً لتحرير صحيفة الأهرام، فإن الرئيس محمد أنور السادات قال له بالحرف «يا هيكل، هذه فرصتنا الأخيرة، وإذا لم ننتهزها فإننا سنجد أنفسنا فى النهاية وقد فاتنا القطار».

يقول الرئيس محمد أنور السادات فى مذكراته (البحث عن الذات) «حينما بدأت أفكر فى وضع التخطيط الإستراتيجى للمعركة، كان أمامى عدة أشياء أولها الأساس الإستراتيجى الذى أبنى عليه الخطة»، ولذلك فى يوليو من عام 1972، اجتمع الرئيس محمد أنورالسادات مع رئيس المخابرات العامة ورئيس المخابرات الحربية ومستشار الأمن القومى والقائد العام للقوات المسلحة لوضع خطة خداع إستراتيجى تخفى أية علامات للاستعداد للحرب، وحتى لا تقوم إسرائيل بضربة إجهاضية للقوات المصرية فى مرحلة الإعداد على الجبهة، خاصة وأن العقيدة الأمنية الإسرائيلية تقوم على ضرورة إعلان التعبئة العامة عند ملاحظة أى تحركات لقوات العدو تنطوى على تهديد محتمل لأمنها، دون التطرق لنوايا العدو من هذه التحركات، سواء كانت نية هجوم حقيقى أم مناورة حربية فقط، وكانت كلمات الرئيس محمد أنور السادات للقادة السياسيين والعسكريين واضحة وضوح الشمس «إن التوازن العسكرى مع إسرائيل ليس فى صالحنا والتقدم العلمى والتكنولوجى يسمح لها برصد تحركاتنا كافة سواء على الجبهة أو فى الداخل، وما لم نتمكن من تنفيذ خطة خداع إستراتيجى للعدو، فإن الانتصار فى الحرب سيكون مستحيلاً».

لقد كانت مصر على قلب رجل واحد، فخطة الخداع الإستراتيجى التى نفذتها القوات المسلحة المصرية لم تأتِ من فراغ، بل بالتنسيق الكامل مع جميع مؤسسات الدولة من أجهزة وهيئات ووزارات ارتبطت معاً من أجل خلق منظومة متكاملة دافعة للنجاح على عدة محاور استهدفت جميعها إحكام السيطرة تماماً على كل ما تتلقاه إسرائيل من معلومات بمختلف الطرق والتى نجحت الدولة فى تنفيذها من خلال أجهزة المعلومات المصرية، وبأقل إمكانيات أتيحت لها فى ذلك الوقت.

توكلنا على الله، هكذا بدأ رجال مصر الأوفياء طريقهم للتحضير لخطة الخداع الإستراتيجى، أو ما سُمى بضباب ما قبل المعركة، لتتخذ القيادة المصرية أكثر من خمسة وستين بنداً خداعياً، وهو ما جعل الإسرائيليين ومن ورائهم أعتى أجهزة المخابرات فى العالم يبصرون ولايفقهون، حتى لكأنما غشيتهم غاشية، أو سكرت عقولهم فهم لايفقهون بها، ولذلك يصف شمعون ميندس المؤرخ الإسرائيلى، الرئيس محمد أنور السادات فى كتابه (جهاد السادات)، والذى تنبع أهميته من أنه كان ضابطاً بالاستخبارات العسكرية وقت الحرب، بأنه كان فناناً متخصصاً فى المفاجآت، ويجيد الصعقات الكهربائية، مضيفاً بأنه إذا كانت نظرية الخداع الاستخباراتى تشمل نوعين فقط من الخداع، التضليل والإرباك، فإن الرئيس محمد أنورالسادات اخترع نوعاً ثالثاً، وهو التخديرأو التنويم، والذى كان أفضل أسلوب لشل الجيش الإسرائيلى المتفوق عسكرياً على مصر آنذاك.

ها هى خطة الخداع الإستراتيجى التى تكونت من ستة محاور قد تبلورت، وجاء وقت تنفيذها، ففى المحور الأول كانت هناك إجراءات تتعلق بالجبهة الداخلية، مثل استيراد مخزون إستراتيجى من القمح، عن طريق قيام المخابرات العامة بتسريب معلومات بأن أمطار الشتاء قد غمرت صوامع القمح، وأفسدت ما بها، ليتحول الأمر إلى فضيحة إعلامية استوردت مصر على أثرها الكميات المطلوبة، وأيضاً تم إخلاء المستشفيات تحسباً لحالات الطوارئ، عن طريق تسريح ضابط طبيب من الخدمة وتعيينه بمستشفى الدمرداش ليعلن عن اكتشافه تلوث المستشفى بميكروب، ووجوب إخلائها من المرضى لإجراء عمليات التطهير، وفى اليوم التالى نشرت صحيفة الأهرام الخبر معربة عن مخاوفها من أن يكون التلوث قد وصل إلى مستشفيات أخرى، فصدر قرار بإجراء تفتيش على باقى المستشفيات، وأخليت باقى المستشفيات، بالإضافة إلى استيراد مصادر بديلة للإضاءة فى أثناء تقييد الإضاءة خلال الغارات، عن طريق

العبور إلى نصر أكتوبر المجيد...

التخطيط تحت ضوء الشمس

تنسيق أحد المندوبين مع مهرب قطع غيار سيارات لتهريب صفقة كبيرة من المصابيح مختلفة الأحجام، وبمجرد وصول الشحنة كان رجال حرس الحدود فى الانتظار، واستولوا عليها كاملة وتم عرضها بالمجمعات الاستهلاكية، ومن أجل تقليل الانتباه العام دعا المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية جميع وزراء الحكومة يوم السابع والعشرين من سبتمبر من عام 1973 لزيارة هيئة الأركان العامة لإطلاعهم على الجديد من الأجهزة المكتبية والحاسبات الآلية.

لقد تناولت خطة الخداع الإستراتيجى كذلك إجراءات تتعلق بنقل المعدات للجبهة، منها نقل المعدات الثقيلة كالدبابات إلى الجبهة بدون علم العدو، حيث تم نقل الورش الرئيسية للتصليح خلف الخطوط الأمامية، ودفع الدبابات إلى هناك فى طوابير بحجة إصابتها بأعطال لتعبر قوافل الدبابات علناً وكأنها ذاهبة للورش مع اختيار أوقات عبور أفواج أخرى فى غير ميعاد مرور القمر الصناعى فوق المناطق التى تمر منها الدبابات، هذا فضلاً عن نقل معدات العبور والقوارب المطاطية عن طريق تسريب المخابرات تقريراً يطلب فيه الخبراء استيراد كمية مضاعفة من معدات العبور، الأمر الذى أثار سخرية إسرائيل، وعندما وصلت الشحنة إلى ميناء الإسكندرية ظلت ملقاة بإهمال على الرصيف حتى المساء، وفى ظل إجراءات أمنية توحى بالاستهتار واللامبالاة أتت سيارات الجيش فنقلت نصف الكمية إلى منطقة صحراوية بضاحية حلوان، وتم تكديسها وتغطيتها على مرمى البصر فوق مصاطب، لتبدو ضعف حجمها الأصلى، فيما قامت سيارات مقاولات مدنية بنقل الكمية الباقية للجبهة مباشرة.

لقد امتدت خطة الخداع الإستراتيجى إلى إجراءات الخداع الميدانية، فقد وفرت المخابرات معلومات حيوية سمحت ببناء نماذج لقطاعات خط بارليف فى الصحراء الغربية لتدريب الجنود عليها، وكذلك خداع الأقمار الصناعية لملء المعسكر بعدد من الخيام البالية والأكشاك الخشبية المتهالكة، ولافتات قديمة لشركات مدنية، ومنها أيضاً صدور قرار فى شهر يوليو من عام 1972 بتسريح ثلاثين ألفاً من المجندين منذ عام 1967، وكان معظمهم خارج التشكيلات المقاتلة الفعلية، وفى مواقع خلفية، كما لجأت مصر إلى التمويه برفع درجة الاستعداد القصوى للجيش، وإعلان حالة التأهب فى المطارات والقواعد الجوية من الثانى والعشرين وحتى الخامس والعشرين من سبتمبر، الأمر الذى اضطر إسرائيل لرفع درجة استعداد قواتها تحسباً لأى هجوم، لتعلن مصر بعد ذلك أنه كان مجرد تدريب روتينى، فقد تم إطلاق أكثر من رسالة عن احتمالات شن الحرب دفعت إسرائيل للاستعداد واستدعاء الاحتياطى وتم تأجيل الحرب، وهو ما أربك حسابات العدو خاصة مع وجود رسائل متناقضة وفى اتجاهات مختلفة، واتضح ذلك يوم السادس من أكتوبرعندما ظنت المخابرات الإسرائيلية أنه مجرد تدريب آخر ليبدأ القتال تحت ستار المناورة العسكرية المشتركة (تحرير23) ليتم استبدال خرائط التدريب بخرائط العملية (بدر)، وكانت البرقيات والرسائل المصرية التى تعترضها المخابرات الإسرائيلية تؤكد أنباء تلك المناورة، الأمر الذى أدى إلى استبعاد إسرائيل لفكرة الحرب، علماً بأن تطوير المناورة إلى حرب، هى نظرية روسية، وقد تم تنفيذ هذه النظرية بالفعل، عندما غزا الجيش السوفيتى تشيكوسلوفاكيا عام 1968.

وقد أعلنت مصر فى أكتوبر من عام 1973، استمراراً لخطة الخداع الميدانية، عن فتح باب رحلات العمرة لضباط القوات المسلحة والجنود، بالإضافة إلى تنظيم دورات رياضية عسكرية، الأمر الذى يتنافى مع فكرة الاستعداد للحرب، ومن ناحية أخرى تم إخفاء نية القوات البحرية فى إغلاق مضيق باب المندب، حيث نشر خبر صغير فى شهر سبتمبر من عام 1973عن توجه ثلاث قطع بحرية مصرية إلى أحد الموانئ الباكستانية لإجراء العمرات وأعمال الصيانة الدورية لها، وبالفعل تحركت القطع الثلاث إلى ميناء عدن وهناك أمضت أسبوعاً، ثم صدر لها الأمر بالتوجه إلى أحد الموانئ الصومالية فى زيارة رسمية استغرقت أسبوعاً آخر لزيارة بعض الموانئ الصومالية، ثم عادت القطع الثلاث من جديد إلى عدن، وهناك جاءتها الإشارة الكودية فى مساء الخامس من أكتوبر من عام 1973 بالتوجه إلى مواقع محددة لها عند مضيق باب المندب فى سرية تامة عند نقط تسمح لها بمتابعة حركة جميع السفن العابرة فى البحر الأحمر رادارياً وتفتيشها، ومنع سفن إسرائيل من عبور مضيق باب المندب طوال الحصار، واكتملت خطة الخداع الميدانية صباح يوم الحرب عندما شوهد الجنود المصريون على الضفة الغربية للقناة صباحاً وهم فى حالة استرخاء وخمول، ويتظاهر بعضهم بمص القصب وأكل البرتقال.

وقبل ذلك بيوم واحد اجتمع هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى وقتها بنظيره المصرى الدكتور محمد حسن الزيات ليتبادلا الحديث حول مبادرة السلام التى كان الأول بصدد التفكير فيها بعد الانتخابات التشريعية فى إسرائيل التى كان مقرراً لها أن تجرى فى نهاية الشهر نفسه، ومرت الجلسة فى سلام وجو هادئ ولم يدرك كيسنجر الأمر إلا بعد الحرب، فقد عرف أن الدكتور محمد حسن الزيات قد نفذ خطة الخداع على أكمل وجه.

وفى هذا الإطار، يؤكد اللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية الأسبق فى حوار صحفى نشر عام 2009 أن نجاح حرب أكتوبر يرجع لعاملين أساسيين، هما المعلومات والمفاجأة، ولذلك كان هناك قرار بالسعى دائماً لإخفاء تحركات القوات وحشدها، حيث تمثلت تعليمات التخطيط فى أن تبدأ التحركات بأقل عدد من الأفراد، ثم تتسع طبقاً لتطور التخطيط، وأن يعلم كل فرد قدر ما يخصه من واجبات ومسئوليات فقط، وأن يكتب كل فرد التعليمات والوثائق بنفسه، ولا تتم كتابتها بالآلة الكاتبة، ولا يتم تداولها إلا بتصديق من القيادة، لمفاجأة العدو وخداع الجيش الإسرائيلى، وهو ما تحقق بالفعل.

لقد كان من أهم عناصر خطة الخداع الإستراتيجى تلك المتعلقة كذلك بإجراءات الخداع السيادية، وهى التى أوحت للعدو وقتها بعدم جدية مصر فى اتخاذ قرار الحرب، حيث وصف المشير أحمد إسماعيل القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية خلال حرب أكتوبر من عام 1973 الخطة المتكاملة للحرب التى وضعها المشير محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة والتى كان لها دور كبير فى اجتياز دفاعات العدو بأنها ستدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين، الدقة المتناهية تمثلت حينما اشتملت خطة المشير محمد عبد الغنى الجمسى على إحصاء جميع أيام العطلات الرسمية فى إسرائيل بخلاف يوم السبت، وهو اليوم الذى وقع عليه الاختيار ليكون يوم المعركة، حيث يوافق يوم عيد الغفران يوم سبت، والأهم من ذلك هو اليوم الوحيد خلال العام الذى تتوقف فيه الإذاعة والتليفزيون عن البث كجزء من تقاليد العيد، أى أن استدعاء قوات الاحتياطى بالطريقة العلنية السريعة غير مستخدمة، ومن بعده وقع الاختيار على أكتوبر كأنسب الشهور حيث إن ظروف الطقس والأحوال الجوية مناسبة للعبور، كما أن فترة الليل طويلة ويصل الإظلام فى بعض لياليه إلى ساعات طويلة، وحالة البحر مناسبة، والشهر يزدحم بثلاثة أعياد وتستعد فيه إسرائيل لانتخابات الكنيست، كما أن شهر رمضان يأتى خلال هذا الشهر بما له من تأثير معنوى على قواتنا ولا يتوقع العدو قيامنا بالهجوم خلال شهر الصيام، ومن هنا بدأت المعركة فى يوم السبت السادس من أكتوبر المصادف للعاشر من رمضان لتبادر قواتنا بالهجوم المباغت يوم العيد الإسرائيلى.

وهذا ما تحدث عنه المفكر جمال حمدان فى كتابه «حرب أكتوبر والإستراتيجية العالمية» عندما أشار إلى توقيت اختيار ساعة الصفر فى شهر أكتوبر باعتباره من أنسب الشهور لتزامنه مع فصل الخريف، وتكمن الخدعة أيضاً فى تحديد توقيت الضربة الأولى التى جاءت بالقرب من وقت حلول الظلام، بحيث إذا فاق العدو يصبح من الصعب عليه القيام بأى أعمال هجومية قبل الصباح، فاختيار الساعة وقت الظهيرة وتعامد الشمس فوق رؤوس العدو يُصعب عليه الرؤية، وهذا شيء لم يتوقعه العدو حيث إن العمليات العسكرية تكون مع أول ضوء أو آخر ضوء.

لقد امتدت إجراءات خطة الخداع السيادية بالإعلان عن زيارة قائد القوات الجوية اللواء محمد حسنى مبارك إلى ليبيا يوم الخامس من أكتوبر، ثم تقرر تأجيلها لعصر اليوم التالى السادس من أكتوبر من عام 1973، كما وجه المشير أحمد إسماعيل الدعوة إلى وزير الدفاع الرومانى لزيارة مصر يوم الاثنين الثامن من أكتوبر، وأعلن رسمياً أنه سيكون فى استقباله شخصياً لدى وصوله إلى مطار القاهرة، كما تم الإعلان رسمياً عن الاستعداد لاستقبال الأميرة مارجريت صباح يوم الأحد السابع من أكتوبر.

لقد كانت هناك حاجة قوية وملحة لتأمين تحركات القوات المسلحة واستعداداتها، وكان هذا هو المحور الخامس ضمن خطة الخداع الإستراتيجى، فمن ناحية أنشأ الجيش المصرى على الضفة الغربية للقناة ساتراً ترابياً فى مواجهة مناطق تمركز قوات العدو لإخفاء التحركات العسكرية، وكذلك أنشأ عدداً من السواتر فى العمق بزوايا ميل مختلفة لنفس الغرض، وحققت هذه السواتر أهدافها إذ جعلت العدو يقتنع بأن الجيش المصرى قد لجأ إلى إستراتيجية دفاعية فى حماية هذه السواتر، كما ساعدت على إخفاء تحركات القوات المدرعة المصرية نحو شاطئ القناة لتأخذ أوضاع الهجوم عند بدء الحرب، كما يفيد المؤرخ العسكرى جمال حماد فى كتابه (العمليات الحربية على الجبهة المصرية) بأن الظروف كانت قد تبدلت بشأن عبور قناة السويس، الأمر الذى تطلب ضرورة ابتكار شدة ميدانية تتناسب مع الظروف القائمة، وقد وفرت إدارة المهمات تجارب عديدة فى هذا الشأن، وفى نهاية أكتوبر من عام 1972، كان قد تم تشغيل خمسين ألف شدة ميدانية من هذه الأنواع الجديدة.

ومن ناحية أخرى تضمن هذا المحور كشف شبكات التجسس، بما فى ذلك شبكة هبة سليم، وشبكة طناش راندوبولو، وكذلك تحييد دور الملحقين العسكريين وضباط المخابرات بالسفارات بوضعهم تحت رقابة صارمة لمنع وصولهم إلى معلومات تمس سرية الاستعداد للحرب.

لقد تضمن المحور السادس ضمن خطة الخداع الإستراتيجى توفير المعلومات السرية عن العدو الإسرائيلى وتضليله عن طريق عملاء جهاز المخابرات العامة، ومنهم أشرف مروان، ورفعت الجمال (رأفت الهجان)، وأحمد الهوان (جمعة الشوان)، وكذلك تم استخدام اللهجة النوبية لتشفير الرسائل المهمة بين أفرع القوات المسلحة فى أثناء حرب أكتوبر لتضليل معترضى تلك الرسائل.

وتكمن عظمة خطة الخداع الإستراتيجى المصرية، وسر نجاحها، فى هذا المفهوم (من أجل تضليل الجيش الإسرائيلى، يجب أيضاً تضليل الجيش المصرى نفسه حتى ساعة بداية الحرب)، وحتى يتحقق ذلك كان على الرئيس محمد أنور السادات، والمجموعة المحدودة من حوله التى تعرف السر، تنفيذ ثلاثة شروط، أولها التأكيد على السرية المطلقة لساعة الصفر، وعدم الإعلان عنها حتى كأوامر تحمل درجة سرى للغاية إلا فى اللحظة الأخيرة، ومن الواضح أن خطة الخداع المصرية لم تكن لتنجح، لو لم يتم الحفاظ جيداً على سر موعد الحرب، وثانيها إلغاء أى أعمال للتخطيط والاستطلاع، التى تسبق الحرب، لأن هذه الأعمال من شأنها أن تكشف للجيش الإسرائيلى عن نوايا قريبة جداً للحرب، وثالثها إعداد خطة حرب شاملة وبسيطة دون الحاجة إلى تخطيطات تفصيلية معقدة مع الأخذ فى الاعتبار إمكان إحداث تغيير فى الأوضاع مع بداية الحرب، وهو ما جعل إسرائيل تفقد القدرة على قراءة المشهد العسكرى والسياسى فى مصر قبل حرب أكتوبر.

لقد نفذت خطة الخداع الإستراتيجى بدقة متناهية ولم يتبق سوى ساعات قليلة على انطلاق الحرب، إنها ساعات عصيبة وثقيلة مرت على رجال مصر الأوفياء، فهم يحبسون أنفاسهم حتى

العبور إلى نصر أكتوبر المجيد...

التخطيط تحت ضوء الشمس

لاتتسرب نية الحرب إلى العدو الإسرائيلى مع إبقائه فى سكرة الاطمئنان بأن مصر لا تفكر فى محاربته، ويطلعنا الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه (أكتوبر 73 السلاح والسياسة)، وبالتحديد فى الفصل الثانى من الكتاب (معجزة البشر)، على بعض تفاصيل هذه الساعات الحاسمة، (حيث استيقظ الرئيس محمد أنور السادات من نومه صباح يوم السادس من أكتوبر فى السابعة والربع، وكان أول ما فعله أن مد يده إلى سماعة الهاتف واتصل بمدير مكتبه للشئون العسكرية، وكان قد انتقل فعلاً ومعه مجموعة من ضباط أركان الحرب إلى مقر مؤقت يحتل ثلاث غرف فى بدروم قصر الطاهرة، وكان الرئيس محمد أنور السادات مشغولاً بالسؤال نفسه الذى نام به قبل ساعات (هل عرف العدو؟)، وجاءه الجواب بأن العدو عرف وهذا ظاهر من رد فعله على الجبهة.

وهكذا عرف الرئيس محمد أنور السادات أن إسرائيل قد عرفت بالفعل، وكان واضحاً بالنسبة له أنه حقق سبقاً على الأرض، ولكن لم يكن فى رأسه سوى سؤال واحد كان يمثل هماً ثقيلاً على فكره وأعصابه، هل توجه إسرائيل ضربة إجهاض بالطيران ضد الجبهة المصرية قبل الموعد المحدد لبدء الهجوم وبقصد تشتيت وبعثرة صفوفه؟ لقد كان الرئيس محمد أنور السادات مهموماً بالسؤال).

من ناحيتنا إذا استطلعنا مجرى الأحداث فى هذه الساعات على الجانب الآخر فى إسرائيل، ففى اليوم نفسه تقريباً، وفى بيت رئيسة وزراء إسرائيل كانت جولدا مائير ومعها مجموعة من أعضاء مجلس الوزراء المصغر يناقشون نفس السؤال تماماً، وكانت جولدا مائير مهمومة بالجواب، ومن الغريب أن ردها كان بـ «لا» متوافقاً بالضبط مع ما كان أنور السادات يتمناه، وإن اختلفت الأسباب لدى كل منهما، وجاء اجتماع القيادة الإسرائيلية بعد أن تلقى موشى ديان وزير الدفاع فى فجر السادس من أكتوبر اتصالاً هاتفياً من مساعديه يبلغونه بأن إسرائيل تلقت تأكيداً نهائياً من أحد مصادرها بأن هناك هجوماً مصرياً، وستكون ساعة الصفر هى آخر ضوء مساء اليوم فى الساعة السادسة، وفى الوقت الذى حاولوا فيه استغلال الوقت المتبقى لإنقاذ ما يمكن إنقاذه إلا أن الحرب باغتتهم فى الثانية وخمس دقائق ظهراً ليجد صناع القرار السياسى والعسكرى فى إسرائيل أنفسهم أمام أثقل مهمة يواجهونها حيث تهاوت أحلامهم أمام صيحات الله أكبر التى شقت عنان السماء فى أثناء العبور العظيم، كما تهاوت معها حصونهم، فمن مانع مائى وتيارات مد وجزر تتغير على مدى اليوم تستطيع إرباك حسابات من يخطط للحرب، إلى سطح القناة الجاهز للاشتعال مع أول طلقة بسبب أنابيب النابالم، والألغام البحرية، إلى جانب ساتر ترابى متوسط ارتفاعه خمسة عشر متراً، حصين تم تلغيمه بمواجهة مائة وسبعين كيلومتراً، مزروع عليه مائة مصطبة دبابات، بما يقدر بمائة موقع مجهز بالدبابات، إلى خط بارليف المنيع الذى يحوى إحدى وثلاثين نقطة حصينة، مساحة النقطة الواحدة أربعة آلاف متر مربع تحت الأرض، وكل نقطة مجهزة هندسياً ومُدَعَّمة عسكرياً لتبقى شهوراً صامدة لا تقع ولا تستسلم أياً كانت أحجام القنابل أو أعيرة الدبابات والصواريخ، فلم يكن خط بارليف مجرد مواقع دفاعية، وإنما حائط صد رهيب قادر على تدمير أى شىء يحاول الاقتراب منه، الأمر الذى أكده خبراء العسكرية فى العالم وقتها، حينما قدروا خسائر الجيش المصرى فى حال تفكيره فى اقتحام القناة بخمسة وستين فى المائة فى اليوم الأول، وخمسة وأربعين فى المائة فى اليوم الثانى، بما يعنى الإجهاز عليه خلال يومين فقط، وكانت هذه التقديرات نتاج قراءة صحيحة للواقع وقتها، ولكن هيهات هيهات، يقول الله عز وجل فى كتابه الكريم (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ).

لقد كانت خطة الخداع المصرية متكاملة، وتحققت كما ينبغى، حقاً إن إسرائيل أحست خلال مرحلة معينة بما يجرى، ولكنها لم تصدق ما يجرى أمام عينيها، وهذه المرة تغلب المكر المصرى على الفطنة والريبة اليهودية، ولذلك يقول الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس هيئة الأركان العامة فى مذكراته (حرب أكتوبر) «إن المفاجأة التى حققناها يوم السادس من أكتوبر من عام 1973 كانت نتيجة سلسلة من الإجراءات المتعددة التى كان يجرى تنفيذها ضمن خطة محبوكة الأطراف تم وضع أسسها قبل بدء الحرب بمدة طويلة».

نعم، لقد عرف الجيش الإسرائيلى ولكنه لم يستعد كما ينبغى لمنع العبور، ولكن من رحمة الله أن القادة الإسرائيليين كان يعميهم الغرور بعد انتصارهم الكاسح فى يونيو من عام 1967، ووصل هذا الغرور إلى درجة الثقة، التى تكاد أن تكون مطلقة، بأن الجيش المصرى غير مؤهل بعد نكسة عام 1967 لبدء أى حرب يمكن أن ينتصر فيها، فقد علموا بالحرب قبل نشوبها بأربعين ساعة، بل إن مفردات العبور وتفاصيله رأوها رأى العين، فقد شاهد أفراد كثيرون من الجيش الإسرائيلى، ومن بينهم كبار القادة، المصريين فى مناورة عبور، عندما قرر سلاح المهندسين المصرى أن أفضل نمط لعبور قناة السويس هو فى قناة السويس نفسها، وعند منطقة البلاح، فى المكان الذى تنقسم فيه القناة إلى فرعين، قام المصريون بتدريب عبور فى وضح النهار، ولقد تم تصوير المناورة بكل تفاصيلها، وكان من الممكن تحديد المراحل الحساسة فى مثل هذا العبور، خاصة وأن هذا الفيلم تم عرضه أيضاً على كثيرين من أفراد الجيش الإسرائيلى.

بل إن الجيش الإسرائيلى عرف أيضاً بأن المصريين ينوون استخدام مدافع مياه جبارة من أجل تحطيم الساتر الترابى الذى ارتفع شرق القناة، وقد جرب المصريون هذه الخراطيم

أمام أبصار أفراد الجيش الإسرائيلى الذين كانوا فى المواقع، وبعد واحدة من هذه التجارب، عندما كانت توجد وحدة مظلات على خط القناة، سُئل العميد رفائيل إيتان رئيس وحدة المظلات عن رأيه فى أسلوب الخراطيم، فرد بالقول «إنه أسلوب جيد، وسينجح فى تقديره».

ولم يكن الهجوم المباغت من المصريين هو المباغتة الوحيدة للجيش الإسرائيلى، ففى المجالين التكتيكى والفنى أيضاً كانت هناك مباغتات متعددة للقوات الإسرائيلية، ففى هذه الحرب تم استخدام أسلحة لم تعرف عنها استخبارات الجيش الإسرائيلى شيئاً، كما كانت هناك أسلحة أخرى استخدمت للمرة الأولى فى حرب أكتوبر وإن كان الجيش الإسرائيلى يعلم بوجودها، والواقع أنه لا تكفى المعرفة بالخواص الفنية للأسلحة الموجودة لدى العدو، المهم أكثر هو ترجمة المعلومات الفنية إلى ردود عملية، إنهم فى المستوى الأعلى، فى القيادات الإسرائيلية، عرفوا كل شيء عن هذه الأسلحة، ولكنهم لم يساعدوا ضباطهم وجنودهم فى الميدان على فهم المعانى.

«لقد كانت كل موضوعات الإعلام المصرى حملة خداع من جانب الرئيس محمد أنور السادات، أو شخص ما بجواره، وإن ذلك ليعتبر أكبر نجاح لمصر فى حرب يوم الغفران «، عبارة كتبها الجنرال إيلى زعيرا، رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية عام 1973 فى كتابه (حرب يوم الغفران) معبراً فيها عن مدى نجاح الإعلام المصرى فى إخفاء قدرتنا على الحرب، وتحقيق المفاجأة الإستراتيجية فى حرب أكتوبر، والتى وضع لمساتها الدكتور محمد عبدالقادر حاتم وزير الإعلام الأسبق، والذى سرد ملخص تجربته، التى كلفه بها الرئيس محمد أنور السادات، فى كتابه (دور الإعلام فى تحقيق المفاجأة الإستراتيجية)، حيث قال إن اللبنة الأولى فى هذه الخطة هو تحقيق مبدأ المفاجأة، كما أن الخطوة الأولى فى هذه الخطة هو استعادة الثقة ما بين الشعب وأجهزة الإعلام، ولذلك كان دستور الإعلام فى عام 1973هو الصدق والسرعة فى نقل الخبر بحيث يستمع المواطن المصرى أول خبر عن أحداث الحرب بسرعة من مصادر الإعلام المصرى.

كما أنشأت الحكومة المصرية محطة إذاعية تذيع باللغة العبرية وتعمل على مدى اثنتى عشرة ساعة يومياً، وكانت هذه المحطة موجهة إلى إسرائيل وتذيع موسيقى غربية خفيفة تتخللها نشرات إخبارية وتعليقات تدعو للسلام.

يقول اللواء محمود خلف مستشار أكاديمية ناصر العسكرية إنه على الرغم من كل ما هو معروف عن خطة الخداع الإستراتيجى المصرية، فإن هذه الخطة لم تبح بعد بكل أسرارها، حتى إن المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية بصرامته المعهودة، وحسه الأمنى العالى، اكتفى فى مذكراته بإشارة عابرة لعنوان «خطة الخداع الإستراتيجى»، دون أية معلومات أو تفصيلات، ولذلك فلا عجب أن يصف الرئيس محمد أنور السادات حرب أكتوبر عقب الانتصار بأنها معجزة عسكرية بكل المقاييس، وهو ما دعا الخبراء العسكريين إلى القول إنه لا يحق لأى جيش على مستوى العالم أن يدعى أنه كان بإمكانه الإعداد والتخطيط لحرب أفضل مما قامت به القوات المسلحة المصرية.

لقد تعرضت إسرائيل لهزة قوية مصدرها الإحساس بأن الدولة أعيدت دفعة واحدة إلى مراحلها الأولى، وعندما سئل موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى بعد الحرب عن تفوق المصريين فى مجال الاستخبارات وكيف لم يعرف مدى التطور المصرى فيه، كان رده بأن المصريين ملأوا سيناء برادارات بشرية ذات عيون ترى وعقول تفكر ثم تعطى المعلومة، ومازالت إخفاقات استخبارات إسرائيل، التى حالت دون رؤية الجيش ما كان واضحاً فى الماضى، موضوعاً مؤلماً فى الخطاب العام داخل المجتمع الإسرائيلى منذ تشكيل لجنة أجرانات التى سعت لدراسة أسباب الهزيمة من خلال التحقيق مع قادة إسرائيل عقب الحرب مباشرة وحتى الآن، فها هو الجنرال أفيف كوخافى رئيس الأركان الإسرائيلى الجديد يقول إن الفشل الاستخبارى الإسرائيلى فى حرب عام 1973 كان مردّه الثقة الزائدة بالنفس وانعدام الشك بما يتعلق بنوايا المصريين، وماذا سيفعلون وفى أى ظروف، لافتاً إلى أنّها كانت ثقة سيطرت على شعبة الاستخبارات نتيجة سلسلة نجاحات سابقة، وتحديداً عدوان عام 1967.

هناك عبارة قالها وزير الدفاع الإسرائيلى موشى ديان حين كان رئيساً للأركان «إن الملابس العسكرية لا تصنع جيشاً، والرتب العسكرية لا تصنع قادة»، وهو ما انطبق على القادة العسكريين فى إسرائيل عندما خاضوا حرباً حقيقية، هذه الحرب التى هدمت نظرية الأمن الإسرائيلية، وأهدرت الأساس الأول لإستراتيجية إسرائيل العسكرية بالاحتفاظ بقوة رادعة، كما أهدرت الأساس الثانى لإستراتيجيتها العسكرية بعجز استخباراتها العسكرية عن اكتشاف نوايا مصر لشن حرب ضدها فى وقت مبكر.

لقد حقق جيش مصر العظيم نصراً حاسماً متحلياً بالروح المعنوية العالية التى كان أحسن ما قيل فيها (السلاح بالرجل)، فالجندى الشجاع تتجنبه الطلقة، ويرتعش أمامه السونكى، ولم لا، فقد كان قادة مصر رجالاً على قدر المسئولية، رجال هانت أرواحهم، ولم تهن مكانة الوطن فى قلوبهم، فالرئيس محمد أنور السادات تحمل مسئولية القرار الذى امتلك شجاعة اتخاذه، وقد اتخذه عارفاً أن تلك مقاديره، وأن قرار الحرب، وإن لم يكن اختياره الأول، فهو قراره الأخير، وهو ما عبر عنه الرئيس عبدالفتاح السيسى بقوله فى الكلمة التى وجهها إلى الشعب المصرى بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الرئيس محمد أنور السادات «لقد اتخذ السادات قرار حرب أكتوبر المجيدة فى ظل ظروف صعبة، وتحت ضغوط هائلة لم تفقده تماسكه الذهنى والعصبى، فأجاد التخطيط، والإعداد والترتيب، سياسياً من خلال عبقرية مشهود لها، وعسكرياً من خلال كفاءة وقدرة قواتنا المسلحة العظيمة، فكان الانتصار الذى أعاد لمصر والأمة العربية بأسرها الكرامة والشرف، وأكد مدى قوة وصلابة هذا الشعب العظيم»، ودائماً تحيا مصر.

د. جمال حمدان :

6 أكتوبر فى ألإستراتيجية العالمية

د. جمال حمدان العالم الموسوعى والمثقف المصرى المتعدد الإسهامات، فى حياة مصر الثقافية والفكرية، فى القرن العشرين (4 فبراير 1928 - 27 إبريل 1993) تميز بقدرته الفائقة فى امتلاك ناصية الفكر الجاد، والأسلوب العلمى الدقيق، والممتع بسماته الأدبية ذات الموسيقى الخاصة باختيار عباراته والجمل المتناسقة، ليقدم أفكاره وقضاياه النابعة من عشقه وانتماءاته التى لاتحيد عن العطاء للوطن.

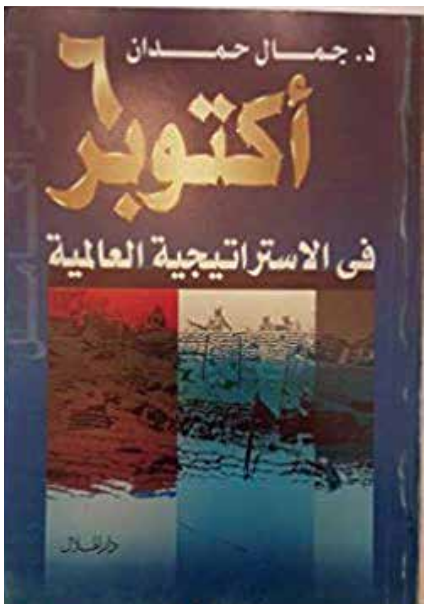

عرض وتعليق :

عادل عبدالصمد

adelabdelsamed@yahoo.com

موقفه فى عشقه لمصر أشبه بمرابط المقاتلين المجاهدين على ثغور الوطن، فيقول كأنه يخاطب نفسه:

(أنت على ثغرة من ثغور بلادك، وقوميتك، فلا تدع فى ثغرتك منفذاً للأعداء، وحذار أن يخترقوا الوطن من ناحيتك أنت بالذات).

رسالته عن مصر دائماً تملكت من عقله وكل جوارحه، وهى التى يجب أن يتحملها كل مثقف مصرى، لتكون هى رسالتنا للشباب، ولكل مصرى محب لوطنه، ندعو مع جمال حمدان تلك الدعوة التى تزرع فى نفوسنا دور مصر التاريخى والالتفاف حول الوطن والتمسك بوحدته خاصة فى هذه الفترة التى تكثر فيها المؤامرات داخلياً وخارجياً للنيل من مصر الوطن الذى يعيش فينا ونردد مع جمال حمدان:

(لا ينبغى أن يستسلم هذا البلد، وسينهض للحصول على حقه، وقدر مصر أن تتصدى وأن تتحدى، فهذا دورها التاريخى).

نحن فى الحقيقة فى أشد الحاجة إلى أن نقرأ جمال حمدان، بل فى احتياج من يقدم مصر لشبابنا، كما فعل جمال حمدان، بحماس المثقف الواعى لقيمة مصر، ودورها التاريخى وقدرته الفائقة على الوصول إلى جوهر الهوية الوطنية المصرية، بتاريخها وحضارتها وجغرافيتها عبر العصور.

وما قدمه جمال حمدان من خلال كتبه المتميزة برصانة الفكر والنفس الهادئ العميق، يؤكد قيمة هذا الباحث المدقق، والمدافع عن التراث كأهم مكونات الهوية الوطنية، فقد جمع فى كتاباته قضايا مصر والعالم العربى والإسلامى، وخاض معارك أمته فى دفاع يتميز بالعقلانية والعلم الغزير.

فيكتب فى ملحمته العلمية الكبرى (شخصية مصر) - دراسة فى عبقرية المكان التى صدرت فى أربعة أجزاء - بصياغة أدبية رفيعة المستوى، فيقول عن مصر:

(هى بالجغرافيا تقع فى إفريقيا، وتمت بالتاريخ إلى آسيا، متوسطة بعروضها، موسمية بمياهها وأصولها، هى فى الصحراء وليست منها، إنها واحة بل ليست بواحة، وإنما شبه واحة.

إنها فرعونية بالجد، عربية بالأب، بجسمها النهرى قوة بر، وبسواحلها قوة بحر، أى تضع قدماً فى الأرض وقدماً فى السماء.

بجسمها النحيل تبدو مخلوقاً أقل من قوى، ولكنها برسالتها التاريخية الطموح تحمل رأساً أكثر من ضخم.

تقع فى الشرق، وتواجه الغرب، وتكاد تراها عبر المتوسط، تمد يداً نحو الشمال، وأخرى نحو الجنوب، ولهذا، هى قلب العالم العربى، واسطة العالم الإسلامى، وحجر الزاوية فى العالم الإفريقى، إنها سيدة الحلول الوسطى والوسط الذهبى).

هذا هو جمال حمدان أحد العظماء الذين أنجبتهم مصر والذى تغزل بمحبوبته مصر، وكرس علمه ووقته ليقدم رؤية المثقف الوطنى والعالم الجغرافى الذى يكتب العلم بلغة الشعراء وأثرى المكتبة العربية بـ(29) كتاباً و79 بحثاً ومقالة وجميعها ثروة قومية، تعد من أهم مكونات الهوية الوطنية، وتنسج وجدان وعقول كل من يتصفح كتبه وبحوثه.

ومن أهم تلك الثروة القومية كتابه الرائع (6 أكتوبر فى الإستراتيجية العالمية).

ولست فى السطور التالية أحاول تقديم تلك الملحمة الفذة وذلك العمل العظيم، وإنما هدفى هو تقديم لمحات من تلك الدرر المكنونة، بين دفتى هذا الكتاب والذى سجل فيه أعظم انتصار لمصر والعرب فى القرن العشرين ويقول فى كتابه وقد تملأه الفرحة والسعادة لدرجة أن القارئ يشعر بمدى فرحة الكاتب من خلال كل كلمة وكل سطر خطه فى كتابه، فيقول:

(فى الثامنة والدقيقة الخامسة مساء السادس من أكتوبر، كان هذا الصرح الشاهق، من البانوراما السياسية، قد انهار وتقوضت أسسه وجذوره، انهارت الأسطورة وبناؤها مرة واحدة، إلى الأبد فى ساعات ست تاريخية، غيرت وجه التاريخ، بل والجغرافيا، نسفت الماضى بكل سوالبه وسوءاته، ونسجت المستقبل بكل آماله المشرقة، لهذا كان لابد أن يعد 6 أكتوبر نقطة التحول العظمى فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى، جميعاً ما كان منه، وما سيكون، فقد فتحت أكتوبر باب الأمل

6 أكتوبر
فى ألإستراتيجية العالمية

على مصراعيه، وأغلقت باب اليأس إلى الأبد).

ويحتوى الكتاب على (450) صفحة، مقسمة إلى أحد عشر فصلاً، سطر جمال حمدان رؤية وتحليلاً دقيقاً لأروع انتصار عسكرى لقواتنا المسلحة على العدو الإسرائيلى، فى تاريخ مصر المعاصر.

ويطوف بنا الكاتب فى تحليلات لها قيمتها العظيمة، مستنكراً انتصار العدو فى يونيو (1967) ويؤكد فى زهو وافتخار قيمة القوات المسلحة المصرية وعظمة أكتوبر التى كانت بفعل العقول والأيادى المصرية المبدعة، حيث كانت أكتوبر فى جميع مراحلها حرب مهندسين مصريين، وأن سلاح المهندسين المصريين، كان له الدور المهم فى عزف سيمفونية النصر.

ونقدم هنا فخر حمدان باسترداد سيناء قدس أقداس مصر وكيف سطره فى كتابه المتفرد بحب الوطن فيقول ونفتخر معه:

لقد عدنا يا ديان! نعم عدنا إلى سيناء، لا بشروط صهيون المهينة والحلول الاستسلامية، كما ظل سنوات يتبجح بكل غرور الحقود، وصلف المتحكم القمئ، ولكن على أشلائه، وفوق جثته عدنا، عدنا بقوة الحديد والنار، بعد أن أنفق العدو ست سنوات يصور وجوده فى سيناء المحتلة، قلعة صماء، صماء غير منفذة للغزو، مستحيل اقتحامها، والواقع أن العدو - وهو خبيث أكثر مما هو ذكى وحاقد أكثر منه قادراً - كما يظنه البعض إنما أنفق تلك السنوات فى محاولة عظمى لكى يكسب المعركة المنتظرة بغير رصاصة، على الإطلاق أو قبل إطلاق الرصاصة الأولى).

وسجلات التاريخ خير وثيقة، لما قدمه جمال حمدان على أن حرب أكتوبر تعد واحدة من أكبر معارك التاريخ العسكرى الحديث، لا تقل عن كبريات معارك الحرب العالمية الثانية ومعارك الدول الكبرى، الكل أجمع، حتى الأعداء منهم، على أن ملحمة أكتوبر المصرية

العلم المصرى يرفرف على خط بارليف

فى سيناء، جاءت بكل المقاييس حرباً مذهلة من الإستراتيجية الممتازة، فى جميع مراحلها (العبور - اجتياح الخط - رأس الجسر - القاعدة الأرضية)، ويستشهد الكاتب بما كتبته النيويورك تايمز:

(إن العبور المصرى لقناة السويس بعد ظهر 6 أكتوبر، كان بارع التخطيط والإعداد والتنفيذ، إن القوات التى كانت فى المواقع المحصنة، على الضفة الشرقية للممر المائى الضيق، واجهت تفوقاً عددياً كبيراً، لكن ذلك لا يقل من الشجاعة وعنف الهجوم، اللذين أظهرهما الجيش المصرى فى اقتحامه أو تجاوزه لهذه المواقع).

معنى 6 أكتوبر:

احتفالنا كل عام بنصر أكتوبر يجسد لكل مصرى وعربى بل لكل العالم أجمع، أن مبرر وجود إسرائيل كما أكده جمال حمدان، يتعرض لأول مرة، منذ قيامها غير الشرعى (لاختبار أحماض) حاسم وباتر، ويوضع لأول مرة، موضع الشك والتساؤل والتهديد.

نعم مبرر الوجود الإسرائيلى هو قوتها العسكرية الغاشمة المغتصبة لحقوق الغير، واستمدت قوتها منه، وبغير القوة المسلحة تفقد أحقيتها فى الأرض العربية، فيقول حمدان (إن إسرائيل لا تعدو أن تكون خرافة جيوبوليتيكية، مجرد حزمة مفككة واهية، وملفقة من الأكاذيب الدينية المتهافتة، والأوهام العنصرية البارانوية، والانحرافات التاريخية المريضة، إن القوة بالنسبة للوجود الإسرائيلى هى شرط البقاء، بل هى البقاء ذاته، وبغير البقاء تفقد إسرائيل مبرر وجودها الحقيقى، ومعه صميم وجودها نفسه، وتلك حقيقة يعلمها علم اليقين كل قادة إسرائيل، بل كل قطيعها البشرى، صقوراً وحمائم، ذئاباً وأبناء آوى، مجرمى حروب أو تجار حروب) ونسج أكتوبر هذا النصر، وكان سبباً فى قلب التوازنات والأوضاع جميعاً، رأساً على عقب، وكما قال الجنرال بوفر الأمريكى:

(إن النجاح العظيم الذى حققه العرب فى هجومهم، يوم 6 أكتوبر يكمن فى أنهم حققوا تأثيراً سيكولوجياً هائلاً، فى معسكر الخصم، وفى المجال العالمى الفسيح، ويبقى عليهم بعد ذلك، أن يفكروا فى نتائج هذا التأثير على العالم، ليحصلوا على مناصرته وتأييده).

ومن الشهادات المهمة التى أكدت رؤية حمدان وسجلها فى كتابه (أن الأمة العربية كلها تحس اليوم، بفخر عظيم، وشكر عميق لجيوش مصر وسوريا، التى حققت للعرب أول انتصار لا رجوع فيه ومهما تكن النتائج النهائية للمعركة فلسوف تبقى حقيقة أنها أنهت مهانة 1967 وجددت الكرامة العربية).

وبذلك يكون نصر أكتوبر نهاية عصر كامل، وبداية عصر جديد، وطنياً وقومياً وعالمياً وبذلك يرى جمال حمدان أن السادس من أكتوبر خط التقسيم

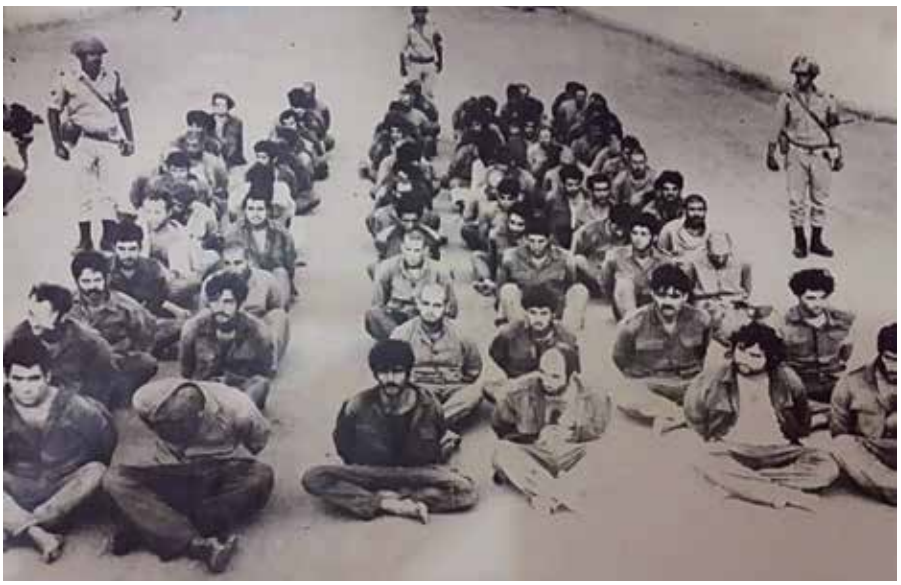

الأسرى الأسرائليين فى قبضة الجيش المصرى وسقوط أسطورة الجيش الذى لا يقهر

د. جمال حمدان

التاريخى، بين مرحلتين أساسيتين ومتناقضتين كل التناقض فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى ما كان منه وما سيكون، وهو بلغة الرسم البيانى نقطة الانعكاس العنيفة والحاسمة، فى ذلك الخط الخطأ، والإتجاه النازل أبداً، الذى اتخذه منحنى الصراع، منذ عام 1948 وحتى الأمس القريب وإلى أن ينتهى بالتحرير الشامل والاسترداد النهائى للأراضى المحتلة والسليبة والمقدسة على السواء، ويؤكد المثقف الموسوعى جمال حمدان أنه حدث تحول فى الخريطة السياسية للشرق الأوسط، وللوطن العربى الكبير وهى بداية مستقبلية جديدة كاملة، عنوانها التصفية والاسترداد والعودة، وتصفية الاغتصاب واسترداد فردوس العرب المفقود، وعودة فلسطين والشعب إلى الوطن والوطن إلى الشعب.

إن تاريخاً جديداً تماماً، تاريخاً بكراً واعداً مبشراً وواثقاً إلى أقصى حد، قد كتب ويكتب حتى الآن بالدماء على الرمال، وإن مستقبلاً جديداً ليصنع الآن صنعاً بقوة السلاح وبسلاح القوة على أرض سيناء، والجولان، ليفرض نفسه فرضاً على أرض إسرائيل المزعومة.

ويستشهد الكاتب على أهمية تحليلاته ورؤاه بقول الكاتب الأمريكى إدوارد شيهان عن أكتوبر:

(إن هذه الحرب لم تقيم من حيث ما حققته من نتائج عسكرية، بل من حيث أنها نقطة تحول تبشر بنهاية عصر التدهور العربى، الذى دام أكثر من خمسة قرون. ثم يضيف: إن هذه الحرب سوف تحتل مكانة فى التاريخ العربى المعاصر، بل ربما التاريخ العربى بأكمله، فلقد تكون لها من الوجهة السياسية والمعنوية أهمية تضارع الفتوحات العربية الأموية فى العصور الوسطى وهزيمة الصليبيين ومولد القومية العربية والوطنية المصرية واسترداد قناة السويس).

عرب أكتوبر كقوة عظمى:

شكل نصر أكتوبر رؤية جديدة للعرب، وتغيرت رؤية المجتمع الدولى للعالم العربى، ومن هنا نستطيع أن نقول: أكتوبر نصر سجله العرب فى سجلات الشرف والأمجاد التى يفتخر بها أجيال العرب جيلاً بعد جيل، ومهما تكاثف الضباب على أمتنا، وحاول الأعداء الكيد لنا، والسطو على ذاكرة الوطن، لسلب عقول شبابنا، سيظل نصر أكتوبر سياجاً أبدياً، تفتخر به صحائف التاريخ العربى ويكفى ما استشهد به حمدان وما سجلته الصحافة العالمية بالفعل، عن العرب المنتصرين، كقوة كبرى أو شبه كبرى، بغير منازع واضح لمركز (القوة السياسية) فى عالم ما بعد الوفاق.

ويحمل جمال حمدان العرب مسئولية الحفاظ على روح النصر، لتستمر مسيرة القوة، فعليهم وحدهم ألا يكفوا لحظة عن استكمال نصرهم، واستثمار نتائجه الطبيعية، وقد لخصت الصندای تايمز الموقف كله (إن العلاقات مع الدول العربية طرأ عليها منذ أكتوبر الماضى، تغير جذرى، ولم يكتف العرب باكتشاف وحدتهم الحقيقية لأول مرة عن طريق استخدام سلاح البترول، بل إنهم استطاعوا أن يستخدموا قوتهم الاقتصادية بما حقق لهم نجاحاً سياسياً كبيراً، وسعوا عن طريق الضغط على أوروبا وخارجية أمريكا إلى بدء إجراء حوار معهم اتسم بتأييد وجهة النظر العربية. وتغيير السياسة الأمريكية نفسها إزاء إسرائيل وكذلك نجحوا فى إحداث صدع فى حلف الأطلنطى، بفرض حظر بترولى على الدول غير الصديقة.

وكتاب 6 أكتوبر فى الإستراتيجية العالمية أيقونة مصرية لمثقف عاشق لوطنه وضع ملحمته للتاريخ حتى تظل ذاكرة الوطن يقظة، لمكانة مصر عبر التاريخ تلك المكانة المتميزة جغرافياً وحضارياً، وقوتها النابعة من جذور حضارة لا تطفئها طلاسم الحاقدين وكيد الأعداء، ولذلك أدعو أن تقرر كتب جمال حمدان على مراحل التعليم المختلفة، لإيقاظ وزرع جذور الانتماء والهوية الوطنية، فكتب حمدان من أهم روافد تكوين الهوية الوطنية وهى من أسلحة القوة الناعمة البناءة.

الولايات المتحدة والصين ما وراء حرب التجارة

من الطبيعى أن تستحوذ مسألة الصعود الصينى على الاهتمام الأكبر للخبراء والمحللين فى مختلف دول العالم لاسيما فى الغرب، خاصة فى ضوء تداعيات ذلك على مستقبل النظام الدولى الراهن الذى أرسته وهيمنت عليه الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وتكمن مشكلة الصين مع العالم الغربى بقيادة الولايات المتحدة فى حقيقة أن الدولة الصينية هى القوة الدافعة وراعية الصعود الصينى استناداً إلى إرث تاريخى طويل، ذلك لأن نموذج التنمية الذى اعتمدته يتناقض مع قواعد النظام الدولى القائم خاصة فيما يتعلق بتطبيق قواعد الديمقراطية والتعددية السياسية وحرية السوق.

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

ومع ذلك من المهم الإشارة إلى أن الصين لاتسعى إلى تقويض النظام القائم، لأن معجزتها الاقتصادية تحققت فى إطاره، كما أنها مستفيدة من استمراره وتدافع بقوة عن بعض قواعده مثل مبدأ سيادة الدول وعدم التدخل فى شئونها الداخلية وحرية التجارة. فى المقابل لايبدو أن لدى الصين أية نية فى الالتزام بأية قواعد تتعارض مع رؤيتها ومصالحها. ولقد تمنى الغرب أن يؤدى تبنى الصين اقتصاد السوق وتكوين طبقة وسطى متعلمة لديها تراكم من الثروة إلى دفع المواطن الصينى تلقائياً إلى المطالبة بحقوق سياسية أوسع، وصولاً إلى نظام حكم ديمقراطى بالمعايير الغربية، إلا أن ذلك لم يحدث، أخذاً فى الاعتبار تاريخ الصين المؤسسى والاجتماعى، حيث للدولة مكانة مركزية لا ينازعها فيها أحد.

واليوم يتحدث خبراء ومحللون مرموقون، من الصين والغرب على السواء، عن عودة النظام الدولى إلى الثنائية القطبية، الولايات المتحدة والصين، مشيرين فى ذلك إلى عاملين رئيسيين:

الأول: تقلص الفجوة فى ميزان القوة بين الولايات المتحدة والصين إلى حد كبير خلال العقدين الماضيين، حيث باتت نسبة إجمالى الناتج المحلى للصين حوالى 70٪ من نظيره الأمريكى، وهو ما يختلف كثيراً عن أوائل التسعينات، عندما كان هذا الأخير أكبر من نظيره الصينى بمقدار خمس عشرة مرة. كذلك يبلغ الإنفاق العسكرى الأمريكى اليوم حوالى من اثنين إلى ثلاثة أضعاف الإنفاق فى الصين، وهو ما كان يبلغ عشرة أضعاف ميزانية الصين الدفاعية عام 2000.

أما العامل الثانى: فيتمثل فى أنه لا توجد دول أخرى توازى إجمالى عناصر قوة الصين. وعلى سبيل المثال، ووفقاً لتقارير صندوق النقد الدولى عام 2018 كان الناتج المحلى الإجمالى للصين عشرة أضعاف نظيره الروسى، وخمسة أضعاف نظيره الهندى، وثلاثة أضعاف نظيريه اليابانى والألمانى، وأربعة أضعاف نظيريه فى فرنسا أو بريطانيا.

وفى الوقت الذى تسعى فيه الصين بكل ما لديها من أوراق لإطالة أمد هذه المرحلة من التعايش مع مؤسسات وقوى النظام الدولى، لم يعد بإمكان القوة التقليدية التى اعتادت الهيمنة على هذا النظام الوقوف موقف المتفرج، حيث بدأ الصدام على كافة الأصعدة الاقتصادية والتجارية، وامتد ليشمل الأمن والدفاع، مع تزايد الاهتمام الغربى برد فعل شامل من قبل حلف شمال الأطلنطى على صعود الصين، على النحو الذى اقترحه أمين عام الحلف فى مؤتمر ميونخ للأمن يناير الماضى، وتم التأكيد عليه مجدداً فيما بعد فى واشنطن فى لقاء ضم مسئولين أمريكيين وألمان، وهو ما يتسق تماماً مع الإستراتيجية الأمريكية لاحتواء الصين.

وقد بدا الصدام أكثر وضوحاً فيما يتعلق بالتجارة، فقد وقع الرئيس الأمريكى أمراً فى 15 مايو الماضى يحظر على ما أسماه بالمنافسين الأجانب «الذين يهددون الأمن القومى الأمريكي» التعامل مع شركات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الأمريكية بدون الحصول على ترخيص بذلك من وزارة التجارة، مستهدفاً بذلك شركة هواوى الصينية العملاقة، حيث أدرجت وزارة التجارة الأمريكية فى ذات التاريخ الشركة و70 شركة تابعة لها على قائمة الشركات المحظور عليها شراء قطع ومكونات من الشركات الأمريكية دون موافقة الحكومة الأمريكية، ومنح الأمر مهلة 90 يوماً سيتم بعدها فرض حظر التعامل مع هواوى لتفادى حدوث أزمات فى إنتاج شبكات المحمول التى تستخدم منتجات الشركة.

وكان قد سبق أمر الحظر قرار أمريكى بفرض تعريفات جمركية تراوحت ما بين 5 و25٪ على واردات سلعية من الصين بقيمة 200 مليار دولار استمراراً لموجة سابقة بدأتها إدارة ترامب منذ مارس 2018 وحتى الآن، وحثت حلفاءها على دعمها فى حربها التجارية ضد الصين، الأمر الذى استجاب له البعض بينما لم يلتفت إليه البعض الآخر.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكد يمر يومان على فرض الحظر على التعامل مع هواوى، قررت الإدارة الأمريكية تأجيل فرض تعريفات جمركية على

الواردات من السيارات من الاتحاد الأوروبى واليابان، كما رفعت الإدارة التعريفات الجمركية المفروضة على الصلب والألومنيوم المستورد من المكسيك وكندا. وفهم الصينيون ذلك بأنه استهدف تفرغ واشنطن لحربها التجارية ضد بلادهم فقط وعدم تشتيت جهودها على عدة جبهات، الأمر الذى اعتبره بعض المحللين بمثابة دليل على ضعف واشنطن وقلة حيلتها.

وتتمحور الحرب التجارية التى أطلقتها الولايات المتحدة مع الصين على التعريفات الجمركية لمعالجة الخلل فى الميزان التجارى بين البلدين. ذلك أن الصين تحقق دائماً فائضاً فى ميزانها التجارى السلعى مع باقى دول العالم، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. ففى عام 2017 صدرت الصين ما قيمته 2.26 تريليون دولار سلعاً مقابل واردات بقيمة 1.84 تريليون دولار. ويأتى أغلب الفائض من التجارة مع الولايات المتحدة، حيث صدرت الصين سلعاً بقيمة 430.3 مليار دولار للولايات المتحدة، وهو ما يمثل نسبة 19٪ من إجمالى صادرات الصين (4.1 تريليون دولار سلعاً وخدمات أو ما يمثل 12.4٪ من إجمالى التجارة العالمية)، واستوردت فقط ما قيمته 154.4 مليار دولار (أى نسبة 8.4٪ من كل وارداتها). ومن المهم الإشارة إلى أن الصادرات الأمريكية للصين زادت على نحو متصاعد منذ عام 2001 عندما انضمت الصين إلى منظمة التجارة العالمية.

ووفقاً لإدارة ترامب فإن التجارة الثنائية مع الصين غير عادلة بالنسبة لبلاده، ووجدت الإدارة أنصاراً فى حكومات الدول الأوروبية التى تنظر إلى بكين النظرة ذاتها.

والواقع أن الموقف الأمريكى تقف وراءه اعتبارات جيوسياسية عبرت عنها ليس فقط تصريحات عديدة من بعض كبار المسئولين ومراكز الفكر الأمريكية، بل وأيضاً المواقف العملية لواشنطن وما صدر مؤخراً من وثائق رسمية حول إستراتيجيتى الأمن والدفاع القوميتين الأمريكيتين اللتين صدرتا فى ديسمبر 2017 ويناير 2018، على التوالى، وأكدتا أن الصين باتت بمثابة تهديد جدى للمصالح الأمريكية حول العالم لاسيما فى منطقة آسيا والمحيط الهادئ.

وعلى ذلك يمكن النظر إلى الحرب التجارية على أنها جزء من إستراتيجية أوسع لوقف صعود القوة الصينية، كانت واشنطن قد بدأتها منذ إدارة أوباما عندما فشلت فشلاً ذريعاً فى عزل طموحات الصين الاقتصادية عبر اتفاقيات شراكة إستراتيجية مع دول آسيا والمحيط الهادئ، كان قد دعا إليها أوباما، وذلك قبل أن يعلن الرئيس الحالى الانسحاب منها وشن حربه التجارية ضد الصين. وفى هذا الصدد، فشلت واشنطن فى إقناع حلفائها بعدم الانضمام إلى البنك الآسيوى للاستثمار فى البنية التحتية الذى بادرت الصين بإنشائه عام 2015 ليكون الذراع التمويلية لمشروعات مبادرة الحزام والطريق التى أطلقتها الصين عام 2013، وتضم اليوم نحو 130 دولة من آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا الوسطى والجنوبية، وهى مبادرة تعتبرها الولايات المتحدة بمثابة مشروع الصين لفرض هيمنتها على العالم وتقويض النظام الليبرالى الدولى الذى أسسته أمريكا وتهيمن عليه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. وقد أسست الولايات المتحدة حملتها ضد إنشاء البنك على أنه يهدد وجود صندوق النقد والبنك الدوليين ويقوض النظام المالى الدولى القائم من خلال إتاحة استثمارات بدون شروط. ولم تمنع هذه الحجج كل حلفاء أمريكا من الانضمام للبنك الجديد بما فيها كل من إسرائيل والمملكة المتحدة وأستراليا وكندا وفرنسا وألمانيا كأعضاء مؤسسين للبنك، تاركة الولايات المتحدة فى عزلة وقد انضمت مصر للبنك كعضو مؤسس.

أما التطور الآخر والأكثر خطورة، الذى ترى فيه الولايات المتحدة تهديداً جدياً لمصالحها ووضعيتها كقوة

الولايات المتحدة والصين
ما وراء حرب التجارة

عظمى عالمية، فيتمثل فى التحول التدريجى للصين لتصبح قوة عالمية منافسة فى صناعات التكنولوجيا المتقدمة، وهى واحدة من عناصر القوة التاريخية للولايات المتحدة. فقد باتت الصين أكثر أهمية كمركز للتكنولوجيا وكمستثمر حول العالم. ومن هنا جاء استهداف هواوى، التى باتت ضمن الشركات الخمس الأكبر فى العالم فى مجالها، بحظر مشاركتها فى شبكة الجيل الخامس من الاتصالات فى الولايات المتحدة، علماً بأنها تغطى احتياجاتها من المكونات من 92 شركة حول العالم منها 33 شركة أمريكية، يحصل معظمها على أكثر من نصف عائداته من أنشطتها فى الصين، بما فيها «إنتل» و«أوراكل» و«ميكروسوفت» وغيرها. وقد علقت الشركة الصينية على حظر مشاركتها فى السوق الأمريكية بأنه ليس له سوى تأثير محدود أخذاً فى الاعتبار تواجدها المتواضع فى السوق الأمريكية من ناحية، وقدرتها على المنافسة العالمية بقوة إلى حد لم يعد بإمكان الولايات المتحدة معه إيقافها من ناحية أخرى، علماً بأن هواوى سجلت نمواً عام 2018 رغم ضغوط واشنطن الشديدة على حلفائها لمقاطعتها بدعوى ممارستها أنشطة تجسسية لصالح الحكومة الصينية، وهو ما نفته الشركة.

ورغم الانخفاض التدريجى فى الإنتاج الصناعى الصينى، إلا أنها تظل مصنع العالم وفقاً لكل الإحصاءات، ومع زيادة معدلات الأجور فى الصين، تسعى الصناعات كثيفة العمالة إلى الانتقال لأماكن أخرى تنخفض فيها الأجور، فضلاً عن أن العديد من هذه الصناعات ملوثة للبيئة فى وقت يطالب فيه المواطن الصينى بمستويات بيئية أفضل. ومع تزايد الأجور فى الصين، وأيضاً بسبب أسعارها التنافسية، فإن بلداناً مثل اليابان والولايات المتحدة وألمانيا- وهى القوى التجارية الأقوى تصديراً فى العالم- دأبت على تنفيذ برامج للابتكار التكنولوجى والذكاء الاصطناعى لتعزيز إنتاجها. وجاء إدراك الصين لمثل هذا التهديد بجانب الحاجة إلى الخروج من فخ الدول ذات الدخل المتوسط، ليدفعها لبذل أقصى ما فى وسعها لاكتساب التكنولوجيا المتقدمة من أجل المزيد من الرخاء والقوة الاقتصادية. وفى هذا السياق، ومنذ عام 2005، تنفذ بكين سلسلة من التدابير لتجاوز المنافسين فى قطاعات متعددة رئيسية. فقد استهدفت الاستثمارات الصينية فى الغرب شركات التكنولوجيا المتقدمة، حيث بلغت الاستثمارات الأجنبية الصينية فى قطاع التكنولوجيا حوالى 24.13 مليار دولار أمريكى خلال عام 2016، وشملت شراء شركة Kuka Robotics الألمانية الرائدة فى الصناعة. ولعل المثال الواضح على هذه الجهود الصينية الحثيثة هو إستراتيجية «صنع فى الصين 2025»، لاسيما فى قطاعات مثل تكنولوجيا المعلومات والروبوتات وغزو الفضاء وصناعة السفن والنقل بالسكك الحديدية والذكاء الاصطناعى. ومن أجل الدفع بهذه الإستراتيجية، استثمرت الصين مليارات الدولارات فى إطلاق الابتكار فى التكنولوجيا، وشراء شركات تكنولوجيا قائمة بالفعل فى العديد من دول العالم، وهى مبادرة قاومتها بشدة بلدان عديدة. ووفقاً لتقرير صدر فى 8 إبريل 2019 عن أحد مراكز الفكر الأمريكية Information Technology) (and Innovation Foundation بواشنطن، نجحت الصين خلال العقد الماضى فى جسر الهوة مع الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة فى مجال الابتكار. بل إنها اليوم تتقدم الولايات المتحدة فى بعض المؤشرات. ووفقاً للتقرير، فقد بلغت استثمارات الصين فى البحوث والتنمية عام 2007 نسبة 33٪ أقل من الولايات المتحدة، إلا أنه بحلول عام 2017، صعدت هذه النسبة إلى 76٪ بالمقارنة بنظيرتها الأمريكية، كما تجاوزت النسبة المقررة فى الاتحاد الأوروبى. وقد قدمت مشروعات أسواق المال الصينية نصف ما قدمته الشركات الأمريكية لمشروعات البحوث والتنمية. وفى عام 2009 سجلت الجامعات البحثية نسبة 9.8٪ من النسبة الأمريكية من نفس العام، إلا أن هذه النسبة زادت إلى 28٪ بحلول عام 2018. ويضيف التقرير أن صناعات التكنولوجيا المتقدمة ذات القيمة المضافة فى الصين زادت من 30٪ عام 2006 إلى 77٪ عام 2016، وإذا ما استمر هذا الصعود، سوف تتجاوز الصين الولايات المتحدة فى هذه الصناعات بحلول عام 2020. وخلص التقرير إلى القول بأنه من الخطأ اعتبار الصين مجرد مقلد «copier»، مطالباً الولايات المتحدة بإستراتيجية ابتكار وطنى تنافسية للاحتفاظ بتفوقها فى هذا الشأن.

وهكذا فإن الحرب التجارية بين الولايات المتحدة والصين تخفى وراءها ثلاث قضايا أساسية:

- تملُك الصين للتكنولوجيا المتقدمة لشركات عملاقة فى الدول المتقدمة.
- الدعم الكبير من الحكومة الصينية

لتشجيع شركات التكنولوجيا المتقدمة على الاختراع وإعادة الاختراع. وعلى سبيل المثال، تنفق شركة هواوى نحو 15 مليار دولار على البحوث والتنمية سنوياً. ووفقاً لبيانات إحدى الشركات الألمانية المعنية ببراءات الاختراع، تمتلك الشركات الصينية نسبة 34.02 ٪ من كل براءات الاختراع الخاصة بالجيل الخامس للاتصالات، بينما لا تمتلك الشركات الأمريكية سوى 14٪ فقط، وهو تطور يقلق الأمريكيين ويدفعهم إلى تقييد نشاط الشركات الصينية.

- الانتهاكات المحتملة لحقوق الملكية الفكرية من جانب الشركات الصينية بدون الالتزام بالقيود القانونية ذات الصلة.

ومما لاشك فيه أن صراع القوة بين الولايات المتحدة والصين مرشح للاستمرار وقد تنتهى مفاوضات التجارة بين البلدين إلى تسوية مرضية تقود إلى رفع الجزاءات المفروضة على الصين ارتباطاً بذلك، غير أن مسألة التكنولوجيا سوف تظل جزءاً من المنافسة العالمية إلى أن يقوم أى من الأطراف بحسم الأمر لصالحه.

وعلى حين وصف بعض المحللين الصينيين سلوك الإدارة بأنه يعكس نوعاً من عقلية الحرب الباردة وأنه من العار على الولايات المتحدة السعى إلى إجهاض النمو الطبيعى لشركة أجنبية بدعوى تهديدها للأمن القومى الأمريكى دون أن تقدم دليلاً واحداً يؤيد دعواها، اتسم رد الفعل الصينى على الإجراءات الأمريكية، فى مجمله، بالهدوء وضبط النفس والبعد عن تسمية ما يجرى بـ«الحرب التجارية» وإنما بـ«الخلاف»، وشرح الموقف الصينى من خلال المتحدث باسم وزارة الخارجية أو رؤساء البعثات الدبلوماسية لدى المنظمات الدولية المعنية مثلما حدث فى 17 مايو الماضى عندما عقد مندوب الصين الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويورك مؤتمراً دعا إليه رؤساء بعثات الدول الأخرى.

وفى سياق الدبلوماسية الصينية فى هذا الشأن، كانت الصين قد بادرت بفتح حوار مع الولايات المتحدة منذ بدء فرض التعريفات الجمركية فى مارس 2018 من جانب واحد، حيث أمكن لرئيسى البلدين التوصل إلى توافقات مهمة، على هامش قمة مجموعة العشرين فى بوينس آيرس العام الماضى، بعد مشاورات فى إطار فريق عمل من كلا الجانبين لتوسيع آفاق التعاون بينهما على قاعدة المنافع المتبادلة وإدارة الخلافات على أساس التنسيق المشترك والاحترام المتبادل. وقد تجاهلت إدارة ترامب ما اتفق عليه واختارت أسلوب التصعيد وأثارت طلبات «غير مقبولة» على نحو ما أشار إليه وزير الخارجية الصينى مؤخراً. وقد عاد ترامب وقام بكسر هدنة توصل إليها مع نظيره الصينى، على هامش قمة مجموعة العشرين 28 / 29 يونيو الماضى فى أوساكا باليابان، بموجبها اتفق على وقف فرض رسوم جمركية جديدة على الواردات من الصين وكذلك تخفيف القيود على أنشطة شركة هواوى فى الولايات المتحدة، اكتفاء بما فرض بالفعل. فقد عاودت الإدارة الأمريكية فرض موجة جديدة من التعريفات قبل أقل من شهرين على هدنة أوساكا.

وبطبيعة الحال، شكلت المعاملة بالمثل جزءاً مهماً من رد الفعل الصينى بفرض رسوم مماثلة على واردات الصين من الولايات المتحدة بما فيها واردات الغاز الطبيعى المسال، وإن ظلت هذه الرسوم محدودة بحجم الواردات الصينية من الولايات المتحدة والتى لا يتجاوز إجماليها 200 مليار دولار سنوياً، الأمر الذى يصعب معه مجاراة حجم الرسوم الأمريكية.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر قد نقلت عن مسئولى الحزب الشيوعى بأن هناك وسائل أخرى للانتقام من الجانب الأمريكى، مثل الامتناع عن شراء المنتجات الزراعية ومنتجات الطاقة الأمريكية وطائرات البوينج وفرض قيود على الخدمات الأمريكية فى الصين، ضاربة عرض الحائط بتحذيرات ترامب من الرد على الرسوم الجمركية التى فرضها على صادرات الصين، الذى اعتاد منذ البداية على تحذير الصين من «الرد» على الرسوم الجمركية الأمريكية معتبراً ذلك تصعيداً فى الحرب التجارية بين البلدين مما «سيزيد الأمور سوءاً»، منوهاً على تويتر «لقد استفادت الصين من الولايات المتحدة لسنوات طويلة حتى تقدموا علينا، لذلك يجب على الصين ألا ترد، فذلك سيزيد الأمور سوءاً» مشيداً بالإجراءات الحمائية الأمريكية. فى الوقت ذاته، أكد ترامب أن مقاربته مع الصين سوف تجبر الشركات العاملة فى الصين على العودة للإنتاج من الولايات المتحدة أو أية دول أخرى لا تخضع للرسوم الجمركية الأمريكية، مضيفاً أنه سيعوض المزارعين الأمريكيين بقيمة 15 مليار دولار هو متوسط ما تستورده الصين منهم سنوياً. ويظل تأثير هذه الحرب التجارية محل جدل بين المتخصصين الأمريكيين، حيث يرى البعض أن المستهلك الأمريكى هو من سيدفع الفاتورة فى النهاية، بينما يرى البعض الآخر أن كلا البلدين سيتضرران نتيجة لذلك، وإن كانت الولايات المتحدة هى المستفيد فى النهاية فقط فى حالة موافقة الصين على معاملة أفضل لقطاع الأعمال الأمريكى.

والخلاصة هى أن صراع القوة بين الولايات المتحدة والصين مرشح للاستمرار وقد تنتهى مفاوضات التجارة بين البلدين إلى تسوية مرضية تقود إلى رفع الجزاءات المفروضة على الصين ارتباطاً بذلك، غير أن مسألة التكنولوجيا المتقدمة سوف تظل جزءاً من المنافسة العالمية إلى أن يقوم أى من الأطراف بحسم الأمر لصالحه. والملاحظ هنا حرص الصين الشديد على السعى لاحتواء غضب وغطرسة الإدارة الأمريكية خلال تبنى مقاربة هادئة تقوم على الأدوات الاقتصادية والدبلوماسية أساساً، بما فيها اللجوء إلى القضاء الأمريكى، التى اعتمدت عليها الصين تاريخياً فى إدارة علاقاتها الخارجية مطورة فى ذلك موروثاً ثرياً لعبت فيه حقائق الجغرافيا دوراً مهماً فى تشكيل رؤية الصين لاستخدام القوة فى تفاعلاتها مع العالم، حيث تركز على ضبط النفس والإستراتيجية بعيدة المدى والبراجماتية وتفادى الدخول فى صدامات عسكرية مع الآخرين، بل والقدرة على استيعاب الضربات الخارجية من حيث أن الهدف الرئيسى كان دوماً الحفاظ على هوية وتماسك الدولة الصينية، وذلك على نحو ما أشار إليه كيسنجر فى كتابه «عن الصين».

دور الثقافة فى العلاقات الدولية

مع انتهاء الحرب البـــاردة وما بدا من تراجع العوامل الأمنية والأيديولوجية التى لعبت دوراً رئيسياً فى تحديد علاقات الأمم، انتقل الاهتمام والتركيز بين عوامل أخرى اقتصادية وتكنولوجية إلى العوامل الثقافية كقوة مؤثرة ودافعة فى الشئون الدولية. وانعكس هذا الاهتمام فى العديد من الدراســـات بل والنظريات التى تبحث وتناقش هذا التأثير. وقد بلورت هذه الدراسات أربعة نماذج تتجـــه كل منها، بدرجة أو بأخرى، إلى تأكيد دور العوامل الثقافية فى صياغة ســـلوك المجتمعات وصناعة قراراتها وتحديد علاقاتها.

سفير د. السيد أمين شلبي

sams_maadi@yahoo.com

ويعتقد النمـــوذج الأول أن العامل الثقافى يلعب دوراً حاســـماً فى تقرير المصيـــر الاقتصادى للأمم والشـــعوب والأفـــراد، لأن بعـــض الثقافات تضمن وتؤمن النجاح أكثر من غيرها. ويدلل هذا النموذج على ذلك بأن القيم والاتجاهات الثقافية هى التى تفسر ظاهرة مثل عدم الاســـتقرار وعدم المســـاواة فى أمريكا اللاتينيـــة، كمـــا تفســـر ((المعجزة)) الاقتصاديـــة لمجتمعات مثـــل تايوان وكوريا، وكذلك الإنجـــازات الاقتصادية لليابان.

ويخلـــص النموذج الثانـــى إلى أن الأمة هى عبارة عن ((نظـــام ثقافى))، وأن العلاقـــات الدولية هـــى فى النهاية تفاعل وتداخـــل بين نظم ثقافية، ومثلما يعبر أنصار هذا النمـــوذج، فإنه مما لا شـــك فيه أن الشـــعوب والبلدان تتأثر باختلافاتهـــا الثقافية التى تعكس قيمها ونظرتها ومصالحها وعاداتها ومخاوفها وآمالها التاريخية، ولذلك فإن أنصار هذا النموذج يعتبرون أن الفشـــل فى تقرير هذه الاختلافات إنما يؤدى إلى سوء الفهم وســـوء التقدير، وإلى أخطار ضخمة فى الحكم والتقدير. فى ضوء ذلك ينتهى هذا النموذج إلـــى اعتبار أن النظم، والعقائد، ووجهات النظر الثقافية إنما تؤثر بشكل قوى فى الطريقـــة التى ينظر بها القادة الوطنيون إلى مشـــكلات سياسية، وهى التى تقرر غالباً الحلول التى يختارونها للتعامل معها.

ويعتمد النموذج الثالث أساساً على ما قدمه الباحث الأمريكى فوكوياما منذ أن قـــدم نظريته حول نهايـــة التاريخ، والتى ذهب فيها إلـــى أن نهاية الصراع الأيديولوجى بين الشـــرق والغرب كان انتصاراً حاسماً ونهائياً لليبرالية السياسية والاقتصاديـــة، إلا أن تصـــوره لتأثيـــر العوامل الثقافية فى العلاقات الدولية بدا أكثر وضوحاً فى عمله الثانى، وفى بلورة أفكاره التى تضمنها هـــذا العمل. حيث انتقد فوكوياما أصحاب نظريات الاقتصاد الكلاســـيكى فى تركيزهم على القوانين الاقتصادية وإهمالهـــم دور الثقافة فى صياغة السياســـات الاقتصادية ذاتها، ويعتبر مثلاً أنه حتى لو قبلنا افتراض أن التوجه الحكيم للتكنوقراط كان مسئولاً عن التقدم الآسيوى فإنه من الواضح أن هناك اختلافات حادة فى القدرات النسبية للدول فى تخطيط وتنفيذ السياســـات الاقتصاديـــة، وهـــى السياســـات التى تصنعها العوامل الثقافية مثلما تصنعها طبيعة المؤسسات السياسية، والظروف التاريخيـــة للبلـــدان المختلفة. ويذهب فوكوياما إلى أن ظاهرة مثل الفســـاد يتحدد مداها وانتشارها فى ضوء العوامل والقيم الثقافية، فالسياسات الاقتصادية تعمل بشكل أفضل فى المجتمعات ذات التقاليد الطويلة فى الأمانة وكفاءة الخدمة المدنية. كما يرى أن الاتجاه الذى يأخذه مجتمع ما نحو السلطة إنما يساعد على تطبيق السياسات الاقتصادية بشكل قد لا يكون ممكناً فى مجتمعات أخرى. ويركز فوكوياما على ســـمة ثقافية خاصه بما يسميه النشاط الاجتماعى sociability والثقة الاجتماعية socialtrust ويخلص إلى أن رفاهيـــة الأمة وكذلك قدرتها على المنافســـة تعتمد علـــى خاصية ثقافية واحدة وســـائدة فى ((مســـتوى الثقة المتأصلة فى المجتمع))، وبهذا التصور يخلص أصحـــاب النمـــوذج الثالث إلى أن الثقافة تعمـــل كبرنامج عمل مهيمن للمؤسســـات الاجتماعيـــة والاقتصادية والعســـكرية، وهى بهذا الشكل تمارس نفوذاً قوياً على ســـلوك ومستقبل الأمم والدول فى المجتمع الدولى.

أمـــا النمـــوذج الرابع فهـــو الأكثر طموحاً فى تأكيـــد دور الثقافات، ليس فقـــط فى حياة الأمم والشـــعوب بل فى علاقات الحضـــارات تعاوناً أو تصادماً. ويعتبر صامويل هنتنجتـــون أكثر من عبروا عن هذا النموذج من خلال نظريته عن صدام الحضـــارات وافتراضه ((أن المصدر الرئيسى للصراع فى عالم ما بعد الحرب الباردة لن يكون فى المقام الأول أيديولوجياً أو اقتصادياً، ولكن ســـيكون مصدراً ثقافياً، كما أن الانقسامات الكبرى بين البشـــر ستكون انقســـامات ثقافية بالأساس بهذا الشـــكل يقدم هنتنجتون أكثر النمـــاذج قطعية فـــى تأكيد دور الثقافات فى العلاقات الدولية، فوفقاً لهذا النموذج فإن الثقافة هى الإطار المسيطر للعلاقات الدولية، والأساس لعمل الدولة

والمصدر الرئيسى للصراع فى الشئون الدولية. ويبرر هذا النموذج رأيه بأن الخصائص والاختلافات الثقافية هى أقل الخصائص القابلة للتغيير أو التكيف، ومن ثم فهى أقلها قابلية واستعداداً للمساومة والحلول الوسط فى الخصائص والعلاقات الاقتصادية والسياسية.

بالإضافة إلى هذه النماذج التى ركزت بدرجة أو بأخرى على العوامل الثقافية فى تفسير العلاقات بين المجتمعات والدول، نجد مفكراً عربياً هو الأستاذ السيد ياسين يقترح لفهم التغيرات التى تحدث فى العالم، وفى ضوء القضايا الجديدة التى تواجه النظام الدولى الجديد الذى يجرى تشكيله وهى قضايا تتعلق فى معظمها وتدور حول قيم ونظم وتقاليد ثقافية، يقترح منهج ((التحليل الثقافى)) والذى يعتمد على أنظمة الأفكار فى نشوئها بعد أن تبين عجز المناهج السياسية والاقتصادية السائدة، ليس فقط عن التنبؤ بمصير النظام القديم إنما أيضاً عن تفسير الظواهر المصاحبة لانهياره.

غير أنه فى مقابل هذه النماذج التى تؤكد على دور العامل الثقافى فى العلاقات الدولية، يبرز فكر آخر يعتقد فى تراجع دور الثقافات، وإن كان ينبه إلى أن هذا لا يعنى أن الهويات الثقافية سوف ينتهى تأثيرها أو أن تصبح غير ضرورية ولكن سوف يضعف تأثيرها أمام أشكال وصيغ بديلة للولاء سوف تحدث أثرها على المدى الطويل. ويعتمد هذا التفكير على نظريات وآراء لمفكرين وباحثين من الغرب والشرق يلتقون فى الاتفاق على الدور المسيطر الذى تلعبه الحضارة الغربية بأدواتها العلمية والتكنولوجية، والتى تمثل قوة توحيد تجمع كل المجتمعات البشرية يمكن أن تنتهى كما تصور المؤرخ البريطانى آرنولد توينبى إلى وحدة عالمية وتجمع لثقافات العالم Amalgamation of world culture. ويستشهد هذا التصور بما يقوله المفكر ورجل الدولة التشيكى فاسلاف هافيل من أن ((الحضارة الغربية هى الحضارة الأولى فى تاريخ الجنس البشرى، التى تشمل العالم كله وتربط بقوة كل المجتمعات البشرية وتخضعها لمصير واحد)) والنتيجة فى تقدير هافيل هى ((وحدة الثقافات)).

وفى هذا الاتجاه يتحدث كاتب آسيوى آخر (سنغافورى هو Kishore Mebubami) يعتبر أننا نشهد ظاهرة بازغة غير مسبوقة ألا وهى ((اندماج الثقافات الغربية وشرق آسيا فى منطقة آسيا الباسيفيك)) ويرى فى هذا الاندماج، وليس مجرد إحياء الأمجاد الآسيوية القديمة، ما يفسر النمو المتفجر للباسيفيكى، وما يقدمه من إمكانية سلام ورخاء مستمر فى المنطقة ويفصل الباحث فى تصوره بأن مجتمع الباسيفيك سيكون خلقاً جديداً تماماً، فلن يكون مجتمعاً آسيوياً كما لن يكون مجتمعاً أمريكياً، وإذا كانت منطقة الباسيفيك قد برزت باعتبارها أكثر المناطق ديناميكية فى العالم، فلأنها قد اعتمدت على أفضل الممارسات والقيم فى الحضارات الغربية والآسيوية. وإذا ما استمر هذا الاندماج فى العمل سوف يتولد عنه انفجار خلاق على نطاق لم يعرف من قبل. ويقدم الباحث ما حدث فى اليابان كنموذج لما يمكن أن يحدث على نطاق المنطقة، فثقافياً ظلت اليابان يابانية فى جوهرها، ففى الوقت الذى تم فيه تحديث إدارتها ورجال أعمالها وتكنولوجياتها ظل اليابانيون يحافظون على تقاليدهم اليابانية، فظلوا يتحدثون وينحنون باحترام وتوقير لمن هم أكبر سناً. فالتراث الذى جمع العائلات والمجتمعات الآسيوية معاً لم يضعفه التحديث، وعلى هذا فهو يعتبر أن النجاح الاقتصادى الذى حققته اليابان لا يرجع إلى الثقافة اليابانية ولا إلى الأساليب الغربية، ولكنه نتاج الاثنين معاً ويجمع بينهما، بل إنه يذهب إلى أنه فى المدى الطويل سوف يفعل المجتمع الأمريكى نفس ما يفعله اليابانيون من استيعاب أفضل ما فى الحضارة الآسيوية.

والواقع أن الذى انتهى إليه الباحث الآسيوى لا يختلف عما انتهى إليه باحث أمريكى آخر هو Mazzarr Michcal بشأن البديل الذى قدمه للنماذج التى تؤكد على ذاتية وتأثير الخصائص الثقافية للأمم، وهو بديل لا يستبعد هذه الخصائص وإنما يجعلها مفتوحة لتأثير ثقافات أخرى، الأمر الذى تنشأ عنه حالة وسط ليست بعيدة عما تصوره آرنولد توينبى عن حضارة عالمية أو مركب Synthesis يضم أفضل ما فى الشرق والغرب، وإذا كان ناقدو توينبى قد اتهموه بإقحام الخيال فى البحث التاريخى، واعتبروه أديباً وفيلسوفاً أكثر منه مؤرخاً، فقد وصف ناقدو الباحث الآسيوى تصوره عن اندماج الثقافة الغربية واليابانية بأنه وهم أو شبح، وينتمى إلى هذا الاتجاه الناقد الأستاذ هاليدى الذى يذهب الى أن العالم ملئ بمن يؤكدون على الهويات المشتركة، ولكن هذا ليس إلا تعبيراً عن الآمال والأمانى وليس عن الواقع.

هشام قنديل فى إسطنبول

وبمجرد أن انتهت مراسم توديع الفريق السيسى وغادرت طائرة وزير الدفاع المصرى مطار إسطنبول، هرعت إلى فندق إقامة الوفد المرافق لرئيس الوزراء هشـــام قنديل والذى كان سيصل فى اليوم التالى، وقد طلبت من الســـيدة السفيرة وفاء الحديدى أن تســـتقبل الوزراء أعضاء الوفد فى المطار، وتوالت مكالماتها لى تشكو من أن بعض الوزراء لم يصلوا على الرحلات المبلغة للسفارة من رئاسة مجلس الوزراء وبعضهم الآخر لم يقبل عرض القنصل العام أن يستقل معها سيارتها وفضل أن يصطحب معه ممثل جهاز المخابرات العامة فى القنصلية فى الســـيارة المخصصة له من مراسم رئاسة الوزراء التركية. وقد خففت من غضب القنصل العام وأرجعت ذلك إلى قلة خبرة الوزراء السياسيين.

سفير عبد الرحمن صلاح

Abderahman_salah@yahoo.com

وقد دعوت على العشـــاء عمرو درّاج وزير التعاون الدولى والمشرف على برامج التعاون مع تركيا وخاصة الاســـتفادة من قرض خـــط ائتمان المليـــار دولار الثانية مع عدد من كبار رجال الأعمال المصريين الذيـــن حضروا لمرافقة الوفـــد فى زيارة رئيس الوزراء وفعلوا نفس الشـــيء خلال زيارة الرئيس مرسى وتصرفوا مثل سفراء ودبلوماسيى وزارة الخارجية بحياد كامل وإيجابية فـــى التعاون مع حكومة الإخوان المسلمين ومسئوليها.

والجدير بالذكر أن أولئك الذين رفضوا التعاون مـــع تلك الحكومة كانوا من بعض الفنانين. فقد كان من ضمن برنامج قنديل فى إسطنبول حفل عشاء للترويج السياحى لمصر تتحمل نفقات إقامته هيئة تنشـــيط السياحة التى استقدمت فرقة رقص شعبى بالتنورة والتى تلقى قبولاً فى تركيا لتشابه أصولهـــا الصوفية مع رقصـــات المولوى الصوفية التركية المنسوبة إلى جلال الدين الرومى وشـــمس الدين التبريزى وغيرهما من آباء الصوفيـــة التركية. وقد فكرت فى دعوة مغنية ناشـــئة مصرية سمعتها قبل ذلك تغنـــى باللغة العربيـــة والتركية فى إســـطنبول فى افتتاح قناة TRT التركية باللغة العربية والتى حضرها أردوغان عند وصولى ولما اتصلت بها طلبت منى مهلة لتسأل وكيل أعمالها ولكنها عادت وأبلغتنى أنهـــا لا تود أن تغنى لمســـئولين من هذه «الجماعة». ولما ذكرتها أنها ســـوف تغنى من أجل الترويج السياحى لمصر، فوجئت بردها أنها ترى أن أعضـــاء تلك الجماعة يكرهون الفن والفنانين وخاصة النســـاء منهـــم بل ويعتبرون صـــوت المرأة عورة فلماذا يســـعون الآن حين وصلوا للحكم أن يحضروا ويقيموا حفلة غنائية لإظهار أنهم قد تطوروا وتغيرت آراؤهم إلى حين يمكنهم منع الغناء وخاصة بأصوات المطربات كما تملى عليهم عقيدتهم. والحقيقة إن الفكرة كانـــت فكرتى وقد عرضتهـــا على مكتب رئيـــس الوزراء فلم يعتـــرض ولم أبلغهم طبعاً رد المطربة ولكننـــى أدركت حجم وقوة المقاومة التى تلقاها جماعة الإخوان المسلمين من بعض قطاعات المجتمع فى مصر دون الحديث عن بعض مؤسســـات الدولة مثل جهاز الشرطة.

وقد وجدت هشـــام قنديـــل راغباً فى الاســـتماع منى لكل ما أقترح عليه طرحه على المســـئولين الأتراك قبـــل لقائه بهم. ولاحظت أنه تجنب الاجتماع بى فى غرفته فى الفندق نظراً لأنه يكون هناك فى صحبة أعضاء الإخوان من الوزراء مثل يحيى حامد وزير الاستثمار والذى أعرف أنه أحد أعوان خيرت الشاطر حيث ســـبق أن زار أنقرة وهو مشـــرف على «المتابعة» فى رئاسة الجمهورية وقبل أن يتولى وزارة الاستثمار واكتشـــفت أنه يســـتمد نفوذه من صلته المباشـــرة مع مكتب الإرشاد أو «المقطم» كما كانوا يصفون مركز السلطة فى مصر.

وكان قنديـــل يفضل أن يســـتفيد من الوقت الطويل الذى أمضيـــه معه منفرداً فـــى الســـيارة للانتقال بيـــن المقابلات والاجتماعات المختلفة لكى أشرح له خلفية الموضوعات التى سوف يناقشها وتوصيتى بشـــأنها. وأذكر أننا كنا فى طريقنا لأول اجتمـــاع لقنديل فى إســـطنبول وكان مع الرئيس التركى عبدالله جول. وفى الطريق ذكرت لرئيس الوزراء المصرى أن الرئيس التركى صديق شـــخصى لرجـــل الأعمال المصرى ووزير الصناعة والتجارة السابق رشيد محمد رشـــيد وإننى لمست بنفسى عمق هذه الصداقة خلال زيارات رشـــيد المتعددة لتركيا خلال الشهور الستة الأولى لى فى تركيا والتى قدمنى فيها للعديد من المســـئولين ورجال الأعمال الأتراك ومن بينهم الرئيس جـــول الذى كنت قد التقيته مرة واحدة فقط عند تقديم أوراق اعتمادى.

ولا بد وأن أكتب يوماً عن رشيد محمد رشيد ودوره البارز فى تطوير علاقات مصر الاقتصادية مع تركيا خلال هذه الشـــهور القليلة قبـــل خروجه من مصر عام 2011 قبيل صـــدور عدد من الأحكام بالســـجن والغرامة المشـــددة عليه لاتهامه بمخالفة القانون واستغلال منصبه وإضاعة أموال على الدولة. وأوضحت لقنديل إن جول قد يطرح عليه طلب العفو عن رشيد والسماح له بالعودة لمصر وأوصيته أن يســـأل عن رأى الرئيس مرسى فى هذا الموضوع قبل أن يدخل الاجتماع حتى تكون إجابته ذات مصداقية، فاتصل قنديـــل أمامى بعصام الحداد مستشار مرسى للشئون الخارجية وأبلغه ما قلته لـــه فرد الحداد بأن الرئيس مرسى ســـوف يعفو عن رشيد بعد انتهاء جلسات المحاكمة وصدور أحكام نهائية، وبالطبع لم يتح لمرســـى تنفيذ وعده لأنه نفسه دخل الســـجن بعد شهرين من إبلاغ قنديل لجول هذا الوعد.

كما أتذكـــر هنا أن الرئيس جول حاول محاولـــة مماثلة للتوســـط بيـــن حكومة الإخوان المسلمين وبين رجل الأعمال نجيب

هشام قنديل فى إسطنبول

ساويرس الذى فرضت على أسرته تلك الحكومة دفع ضرائب تزيد عن 6 مليارات جنيه مستحقة عن صفقة بيع إحدى شركات الأسرة عن طريق البورصة لتجنب دفع ضرائب على عائد البيع. ولما رفضت عائلة ساويرس دفع الضرائب المستحقة أصدر النائب العام أمراً بمنع السفر على الوالد وأبنائه الباقين فى مصر فى حين كان نجيب ساويرس قد نجح قبلها فى السفر للخارج. وفوجئت بمستشار الرئيس جول للشئون الخارجية وصديقى العزيز أرشد هورموزلو يتصل بى مساء أحد الأيام قبل سفر جول لحضور مؤتمر قمة منظمة التعاون الإسلامى فى القاهرة فى مطلع 2012 ويطلب منى تعريفه بطريقة للتواصل مع نجيب ساويرس لأن جول يرغب فى الوساطة بينه وبين الحكومة المصرية للوصول لحل وسط، ويرجو أن يعود ساويرس للقاهرة لمقابلته هناك ويتعهد له بأنه فى حالة عدم التوصل لاتفاق فسوف يحصل على تعهد من الرئيس مرسى بأن يسمح له بمغادرة مصر على طائرة الرئيس التركى.

وكنت بالمصادفة قد سبق لى أن تواصلت مع نجيب ساويرس بناء على طلب صديقى العزيز الوزير أحمد أبو الغيط للوساطة بينه وبين السلطات الجزائرية وقت أن كنت مساعداً لوزير الخارجية للشئون العربية أيضاً حول نزاع له موضوع مماثل عندما فرضت السلطات الجزائرية ضرائب باهظة على شركة اتصالات يملكها ساويرس فى الجزائر لإجباره على بيعها بسعر بخس لأحد المستثمرين «الواصلين باستخدام العامية المصرية».

واتصلت أولاً بوزير الخارجية المصرى لأستأذنه فى الاتصال بساويرس لنقل رسالة الرئيس التركى له فأحالنى وزير الخارجية لرئيس الديوان السفير رفاعة الطهطاوى الذى أكد لى أن الرئيس مرسى مستعد للتوصل لحل وسط، ولكنه لا يستطيع قبل التوصل لذلك الحل التدخل فى الأحكام القضائية بما فيها الحكم على أفراد أسرة ساويرس بالمنع من السفر.

اتصلت بساويرس الذى ألقى علىّ محاضرة فى عدم تصديقه لأى وعود يقدمها الإخوان وحكومتهم وأنه لا يمكن أن يعود إلى مصر طالما ظل المنع من السفر مسلطاً على رقاب أسرته، وطلب منى إبلاغ الرئيس جول أنه يمكنه أن يصل لإسطنبول على متن طائرة خاصة فى الوقت والتاريخ الذى يرغب الرئيس جول فى اللقاء به أو فى لقائه فى دولة ثالثة ولكنه لن يعود لمصر تحت أى ظرف قبل التوصل لاتفاق مع الإخوان. وقد نقلت تلك الرسالة لهورموزلو وأعطيته رقم تليفون ساويرس لكى يتصل به مباشرة لترتيب ذلك اللقاء فى إسطنبول لاحقاً وهو ما حدث فعلاً ولكن ساويرس لم يبلغنى ولم يطلب مساعدتى فى هذا الشأن.

وأعود لزيارة قنديل لتركيا والتى كانت مليئة بغرائب الأمور بالنسبة لى فى طريقة تعامل بعض الوزراء السياسيين الجدد مع رئيس الوزراء ومع بعضهم البعض، فحين كنا فى طريقنا لقصر دولما بهجة لمقابلة رئيس الوزراء أردوغان حذرت قنديل أنه على الرغم من أن المراسم التركية لم تبلغنا بأن اللقاء سوف يكون ثنائياً ومنفرداً بين رئيسى الوزارة إلا أن السوابق تشير إلى أن أردوغان يرغب فى الانفراد بالمسئولين المصريين فى حين يحضر الاجتماعات من الجانب التركى كل المسئولين المختصين. وأوضحت لقنديل أنه يستطيع أن يطلب فى تلك الحالة حضور وزرائه وحضورى فوعدنى قنديل بذلك إذا احتاج الأمر.

وبالفعل حين دخلت سيارة رئيس الوزراء المصرى التى كنت أستقلها معه القصر احتجز الأمن بقية الموكب، وحين نزلت من السيارة وسلمت على أردوغان مع قنديل طلب منى مستشاره أن أسمح لهما بالتقاط صورة تذكارية منفردين فتنحيت وهمس لى المستشار إن أردوغان يرغب فى أن يكون اللقاء ثنائياً منفرداً أولاً ثم ينضم الوفدان بعد ذلك فطلبت منه أن يجتمع معنا الوفد التركى، فلم أجد فى الصالون المخصص لانتظارنا إلا صديقى السفير التركى أحمد بيجالى الذى كان يعمل ممثلاً للخارجية فى رئاسة الوزراء ولا يحضر أبداً مثل هذه الاجتماعات المهمة. وأتى الوزيران المصريان اللذان كان من المفروض أن يحضرا الاجتماع وكان وزير التعاون الدولى عمرو دراج هادئاً ومتفهماً عندما شرحت لهما ما حدث وأنه أمر معتاد لدى الأتراك وأوضحت لهما إن رئيس الوزراء المصرى يعرف أنه يمكن أن يطلبنا للمشاركة فى الاجتماع حين يريد.

وعلى خلاف رد فعل عصام الحداد عندما وقع موقف مماثل خلال زيارة مرسى لأنقرة، انفجر وزير الاستثمار منتقداً سكوتى على هذه «الجليطة» التركية وأصر على أن يدخل الاجتماع. فألقيت عليه درساً فى أصول التخاطب مع سفراء مصر الذين يعرفون واجبهم ويوضحون لزوارهم من المسئولين المصريين قواعد التعامل فى الدولة المضيفة وما يمكنهم وما لا يمكنهم عمله. وأكدت له أن رئيس الوزراء المصرى يعرف جيداً أن بإمكانه أن يطلب مشاركتنا فى الاجتماع وأنه يمكن أن ينقل له من خلال السفير التركى الموجود معنا أية رسالة يرغب فيها ولكنى لا أقبل الطريقة التى تحدث بها معى ولن أسمح له بتكرارها دون أن أشكو للقاهرة تجاوزه غير المقبول.

رئيس الوزراء المصرى الأسبق هشام قنديل فى إسطنبول مايو 2013 خلال إجتماعات البنك الأوروبى لإعادة الإعمار والتنمية EBRD

وفوجئت بالرجل ينام على الأريكة التى يجلس عليها أمام السفير التركى الذى يجلس معنا ويضع يده على رأسه ويقول إن لديه صداعاً شديداً نتيجة ارتفاع ضغط الدم فطلبت من السفير التركى استدعاء طبيب لفحصه ولكن قبل أن يأتى الطبيب أتى مدير المراسم ليدعونا للانضمام لرئيس الوزراء فوجدت ذلك الرجل الذى يُدعى يحيى حامد يقفز من الأريكة ويسبقنا لغرفة الاجتماع التى وجدنا فيها قنديل وأردوغان يقفان أمام النافذة لالتقاط صور تذكارية مع خلفية البوسفور وطلبوا منا أن ننضم إليهما فى الصورة، فقدمت الوزيرين لأردوغان الذى غمغم قائلاً» ما شاء الله ما شاء الله». وظهرت صورنا مع رئيس الوزراء فى الجرائد المصرية والتركية ليعتقد من يراها أننا شاركنا فى اجتماع مهم تقرر على أساسه مستقبل العلاقات بين الدولتين ومستقبل المنطقة والحقيقة غير ذلك تماماً.

وهنا لابد وأن أوضح أن حكومة هشام قنديل لم تأت بخطة عمل جديدة لطرحها على الجانب التركى لطلب مساعدته وإنما جاءت بقائمة من المشاكل التى تواجه الاقتصاد المصرى لتطلب من حكومة أردوغان المساعدة فى حلها عن طريق المساعدة المالية وتقديم الخبرة والمشورة الفنية والإشراف أيضاً على تنفيذ تلك الحلول. وقد تسبب ذلك فى تعجب الجانب التركى الذى كانت لديه تعليمات مشددة من أردوغان بالتجاوب بقدر الإمكان مع طلبات المساعدة المصرية.

وقد وصل الأمر خلال محادثات أجراها صلاح عبد المقصود وزير الإعلام الإخوانى مع بولنت أرينتش نائب رئيس الوزراء التركى والمشرف على الإعلام فى تركيا أن نقلت لأرينتش ما قاله لى قبلها الوزير المصرى بأن التليفزيون المصرى يحتاج كل شيء من تركيا من إستوديوهات وكاميرات وإضاءة وتدريب مذيعين ومخرجين ومنتجين وأن يتم تنفيذ تمويل كل تلك المساعدات فى صورة منح لا ترد. ولما أبدى لى أرينتش عدم قدرة بلاده على تقديم تلك المساعدات كلها فخرجت من غرفة الاجتماع لأنفرد بالوزير المصرى وأنصحه بأن يحدد ما هى الأولوية الأولى التى يرغب فى الحصول على مساعدة الأتراك حولها لكى يمكن الحصول على

زيارة وزير الخارجية محمد كامل عمرو لتركيا

جلسة مباحثات الإتفاق على قرض المليار دولار التركى لمصر أغسطس 2012 والتى رأس الجانب المصرى فيها د.عصام الحداد مستشاررئيس الجمهورية للشئون الخارجية ووزير المالية ممتاز العيد وأجلس على يمينه.

رد إيجابى تركى، أجابنى أن كل ما ذكره هو أولوية مطلقة لأن التليفزيون المصرى منهار تماماً وقد تم الاتفاق داخل الحكومة المصرية على أن يطلب عبد المقصود كل شيء دون تحديد أولويات.

والطريف أن زميلى السفير علاء الحديدى الذى كان يعمل مستشاراً لرئيس الوزراء وقتها أبلغنى إن عبدالمقصود نفسه سافر لتركيا دون أن يحصل على موافقة رئيس الوزراء ودون إخطاره وأن قنديل علم

مع الدكتور عماد أبو غازى، وزير الثقافة وعدد من الكتاب المصريين فى افتتاح معرض الكتاب فى اسطنبول لعام 2011 الذى استضاف مصر كضيف شرف المعرض لذلك العام

بالزيارة من الصحف، ففهمت إن سياسة الجزر المنعزلة التى كنا نشكو منها أيام مبارك قد زادت واستفحلت أيام حكومة الإخوان. وطبعاً حين رددت لنائب رئيس الوزراء التركى ما قاله لى الوزير المصرى خارج غرفة الاجتماع أجابنى أنه سوف يرسل وفداً من التليفزيون التركى لدراسة أوضاع التليفزيون المصرى واحتياجاته وتقرير ما يمكن لهم تقديمه من مساعدة وخاصة فى غياب أية دراسات أو أرقام أو أولويات محددة مقدمة من الجانب المصرى. وطبعاً تكرر هذا الموقف مع بقية الوزراء الذين حضروا كمقدمة لزيارة هشام قنديل وانتهى الأمر بأن قرر الأتراك إيفاد لجان عديدة لدراسة المشاكل المصرية على أرض الواقع.

وانهمرت الوفود المصرية الراغبة فى التعرف على ما يسمى» بالتجربة التركية «فى كل المجالات من خصخصة المصانع إلى حل مشاكل المرور عن طريق إنشاء حارات للمواصلات العامة وزيادة عدادات الانتظار فى شوارع وسط القاهرة وإصلاح مصر للطيران وحل مشكلة العشوائيات وجمع وتدوير القمامة وتخطيط المدن الجديدة وتطوير النقل النهرى والبحرى على غرار إسطنبول وتحديث القطارات والمترو والترام وإنتاج الأتوبيسات التركية فى مصر.

وقد أسفر افتقار الجانب المصرى للإعداد والدراسة وعدم وجود تصور مصرى للحلول المطلوبة أن أصبح الأمر متروكاً للجانب التركى الذى أبدى استعداده للمساعدة فى كل المجالات رغم إدراكه أن التمويل المتوفر لا يتجاوز المليار دولار قيمة خط الائتمان الذى أتاحته الحكومة التركية لمصر لشراء معدات ومواد ومشروعات تركية وهى لا تكفى لتمويل المشروعات التى يرغب فيها الجانب المصرى فى مجال واحد من تلك المجالات المتعددة. كما أسفر

زيارة محافظ القاهرة واجتماعه مع عمدة اسطنبول فى فبراير 2013

أيضاً عن تطبيق حلول تركية لا تتلاءم مع الواقع المصرى بل وأن بعضها لم يأخذ فى الحسبان اختلاف الظروف بين البلدين وأوضح تلك الأمثلة كان تطبيق نظام حارة المرور المخصصة للأتوبيسات العامة فى ساعات الذروة والتى كانت فى الحالة التركية خطوة انتقالية نحو إنشاء خط ترام أو مترو سريع فى تلك الحارة وكهربتها والغريب إن الجانب المصرى بدأ بنزع قضبان خطوط مترو مصر الجديدة ومدينة نصر المكهرب لتخصيص مكانها لحارة مرورية بدلاً من تحديث هذه القضبان وعربات المرور والترام لتصبح وسيلة سريعة للنقل على تلك الخطوط المكهربة التى كانت موجودة بالفعل فى مصر لأكثر من نصف قرن.

كما واجه الجانب المصرى مشكلة غياب الانضباط وتراجع سلطة الدولة فى فرض القانون من أجل تطبيق بعض الحلول التى نجحت فى تركيا لحل بعض المشاكل مثل مشكلة الأحياء العشوائية، فقد كانت الدولة التركية هى الضامن لتنفيذ أى اتفاق بين المحليات والمقاولين وساكنى العشوائيات حول تعويضهم كما سبق الشرح وضمان التزام كل الأطراف بما تم الاتفاق عليه ومطابقته لمقتضيات القانون التركى وهى سلطة كانت غائبة فى مصر قبل عام 2011 وتفاقم غيابها بعدها.

****

* عمل السفير عبد الرحمن صلاح كآخر سفير لمصر لدى تركيا (2010-2013) قبل أن يتم تخفيض مستوى العلاقات الدبلوماسية بين مصر وتركيا إلى مستوى القائم بالأعمال. وقبل تقاعده من العمل الدبلوماسى كان مساعداً لوزير الخارجية للشئون العربية والشرق الأوسط وسفيراً لدى التشيك وقنصلاً عاماً فى سان فرانسيسكو ومثل مصر أيضاً فى السفارة فى واشنطن والوفد المصرى الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويورك. وتعبر هذه المقالة عن آرائه الشخصية ولاتعكس المواقف المصرية الرسمية، وتحتوى على بعض ما يتضمنه كتاب صدر عن تجربته كسفير فى تركيا فى يناير 2019 من دار نهضة مصر بعنوان "كنت سفيراً لدى السلطان".

حقائق الصعود إلى الهاوية

(قصة وسام)

لحظـــة لقاء قدرى فى توقيته وموقعه ثم فى إحدى طرقات الســـفارة المصرية فـــى العاصمة الليبية طرابلس فى بداية عام 1969 وبعد انفجار ثورة الفاتح من ســـبتمبر بقيادة العقيد معمر القذافى.. التقيت بصديق عزيز لأول مرة وهو فى بداية مرحلة شـــبابه وكان يحمل رتبة نقيب بقوات الصاعقة المصرية فى الســـفارة المصرية ببغداد حيث كنت عضواً بدرجة سكرتير ثالث بسفارة الجمهورية العربية المتحدة أثناء قيام الوحدة (بالإقليم الشـــمالى سوريا) ومنذ أكثر من ســـتين عاماً وكان يرافقه شخص آخر وكان لقاء أسعدنى كثيراً وبلا حدود ولم أسأله عن سبب قدومه إلى الجمهورية العربية الليبية.

وقد تعودنا بلقاء العديد من القيادات المصريـــة العســـكريين والمدنيين ومن العلماء والخبراء فى كافة المجالات. أقول أســـعدنى اللقاء احتراماً لماضيه البطولى حيث كان مشـــاركاً لمولد قوات الصاعقة المصرية فى ســـنوات الثـــورة المصرية الأولى، ولأنه قاد أول طابور ســـير لقوات الصاعقـــة المصريـــة من القاهـــرة إلى الإسكندرية سيراً على الأقدام، وقام الإعلام المصرى بتغطية هذا الإنجاز الذى أحدث صحوة وطنية لدى الشـــباب المصرى فى ذلك الحين، ولأنه ســـبق له العمل ملحقاً حربياً فى الســـفارة المصرية بالجزائر، وكانت له بصمـــات وطنية مضيئة. وكان صديقى فى هذا اللقاء القدرى يحمل رتبة لواء وكان يعمل نائبـــاً لمدير المخابرات الحربية لشئون أمن القوات المسلحة.

اســـتمر صديقى وزميله فـــى ليبيا لأكثر من أســـبوع وكان لقائى به ورفيقه يومياً احتفالاً به واحتراماً لقيمة صداقتنا الأخويـــة الحميمة. وفـــى أول لقاء أبدى دهشته لوجودى فى ليبيا حيث كان يعلم بأننى أعمل بالسفارة المصرية فى باريس فأوضحت له بأننى نقلت من فرنسا إلى ليبيا تلبية لرغبة المرحوم الوزير محمد فتحى الديب مدير مكتب السيد رئيس الجمهورية الزعيم الراحل جمال عبدالناصر للشـــئون العربية، حيث صدر قرار بانتدابى للعمل بالمكتب وتحت رئاسته لمدة ثلاث سنوات، وكنت مســـئولاً عن دول المشرق العربى (العراق، سوريا، الأردن، لبنان) وذلك بعد قضاء 7 سنوات بالعمل بالسفارة المصرية فى العراق وتحت رئاسة السفير المرحوم أمين هويـــدى. وخلال الســـنوات الثلاثة الأخيرة وفى أحد اللقاءات سألنى الصديق عن فتاة مصرية تعيش فى باريس اسمها هبة فأجبت بالإيجاب، وأضاف بالســـؤال عن تقييمى لها، فأجبت بالإشـــادة بها ولم

سفير فخرى عثمان

يعلق بأى رد فعل على إجابتى وكرر نفس السؤال عدة مرات فى لقاءات لاحقة، الأمر الذى أدى إلى التعجب بل الضيق فانفجرت غاضباً من تكرار هذا الســـؤال وطلبت من صديقى إبلاغى بكل ما لديه عن هذه الفتاة لأهمية علمى بكل ما يدور بعقله، فانفعل بدوره لشـــدة غضبى وانطلق فى الحديث عن هذه الفتاة بما يفيد نشاطها فى خدمة الموساد والتجســـس على أوضاع الجيش المصرى وقبيل حرب أكتوبر 73، وأحدث ما ســـمعته صدمة لى وتحـــول انطباعى عن الفتـــاة إلى النقيض المتطرف حيث لا تزال آلام نكســـة 67 تدمى فى أعماق كل مصرى. وكان أساس انطباعى الأول إنها تقيم مـــع عائلة مصرية، شـــاب مصرى متزوج مـــن حفيدة طلعت حرب باشـــا ويعمل مديراً لفرع إحدى شركات القطاع العام المصرى التى أنشـــئت فى سنوات الثورة الأولى. وكان هذا الشـــاب من خيرة الشـــباب المصرى بالجالية المصرية فى باريس وينتمى إلى عائلـــة فى محافظة أســـيوط، وكان والده من أبـــرز القيادات الشـــعبية فى صعيد مصر. وكان الصديق مقيماً فى برج ســـكنى بالقرب من البرج الذى أقيم مع عائلتى بـــه، وجاءت الفتاة إلى باريس للتمتع بدورة لمدة 6 شـــهور لصقل اللغة الفرنسية بجامعة السوربون وهى تحمل ليســـانس لغة فرنسية كلية الآداب عين شـــمس. واتفق والـــد الفتاة ووالد الشاب لتقيم الفتاة مع عائلة الشاب وحرمه، وشـــاهدت الفتـــاة مرتين حيث قـــام الصديق وحرمـــه بزيارتى وحرمى مصطحبين الضيفة المقيمة معهما وحتى تنتهى فترة الدورة فى جامعة السوربون. وقد لاحظت على الفتـــاة أنها قارئة جيدة للصحافة الفرنسية وتسأل حول ما قرأته بشأن بعض الدول العربية، الأمر الذى أثار دهشـــتى لاهتمامها غير الطبيعى ولكنى رأيت فى ذلك أمراً جيداً لفتاة فى ظروفها. وبعد مرور أسابيع معدودة من قدوم الفتاة تم نقلى إلى ليبيا بناءً على اتصال تليفونى من المرحـــوم الوزير فتحـــى الديب لى وموافقتى على طلبه للعمل تحت رئاسته كوزير مصرى مقيم فى ليبيا (كبديل عن النظام التقليدى لتبادل الســـفراء)، وهكذا كانت إجابتى على ســـؤال صديقى اللواء حسن عبدالغنى أوضح لى اللواء حسن أنه ورفيقه يعتزمـــان مغادرة ليبيا (للتمويه) إلى باريس تنفيـــذاً لأمر الرئيس المرحوم أنور الســـادات بإحضـــار الفتاة (حية أو ميتة) وتوعد بالعقاب فى حالة عدم النجاح فى التنفيذ.

تحدثت حول موضوع الجاسوسة عدة مرات مع الصديق اللواء حسن وتمنيت له التوفيق فى مهمته وأوضحت له استعدادى لتلبية أى احتياج له من ليبيا، وأضاف فى حالة رغبتى للاشـــتراك معه فى المهمة فإنه على اســـتعداد- حيث منحه الرئيس السادات كل الصلاحيات- للاتصال بوزير الخارجية عصمـــت عبدالمجيد حين ذلك لإصدار قرار بانتدابى للعمل بسفارة مصر فى باريس فشكرته واعتذرت.

وفـــى اليوم التالى طلبـــت من اللواء حسن إلغاء الســـفر إلى باريس لاعتقادى أن نســـبة النجاح فى تحقيق الهدف أقل بكثير من نســـبة عدم النجاح، فعلق بأن هناك أفراداً مصريين سيكونون عوناً لهم فى المكتب الســـياحى وفى شركة مصر للطيران فذكرت له أســـماءهم وأكدت له أنهم يمثلون نقطة فى مياه محيط، وأبلغته أنه إرضاءً لله وللوطن وللعلاقة الغالية به ولضميرى أرجو إعادة النظر فى مشروع السفر ووعده لإبلاغه بالخطة البديلة الآمنة

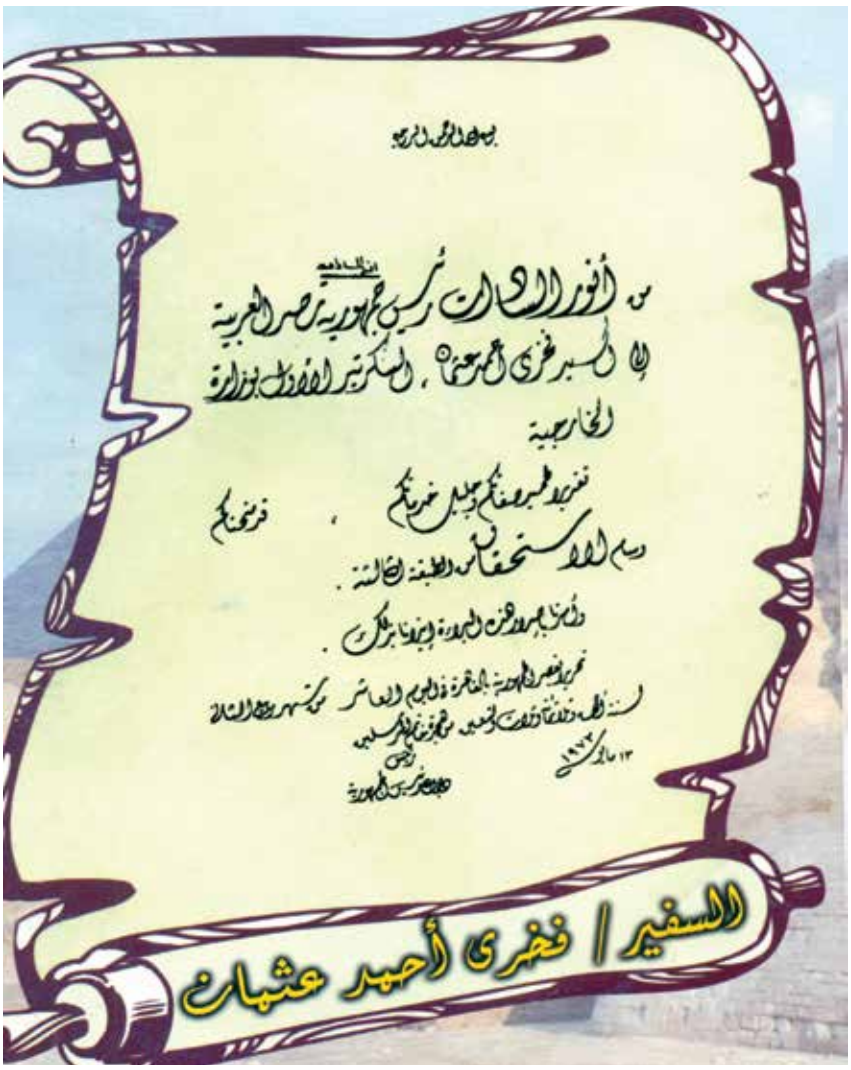

التى أراهـــا بإذن الله، وهـــى أولاً انتزاع الفتاة من قبضة الموســـاد الفولاذية فى باريس وإخراجها من حدود فرنسا لدولة أخرى، حيث قد يتاح الســـيطرة المصرية عليها وحتى وصولها للقاهرة لتلقى عقاب شـــعب مصر الذى خانته، وكانت الدولة المرشـــحة ليبيا التى يعيـــش ويعمل بها والدها وحيث أعمل وأقيم بها. وشـــرحت لصديقى بالتفصيل إمكانيات الموســـاد لحماية الفتاة والسيطرة عليها والنيل ممن يحاول الاقتراب منها، وشرحت له خلاصة حالة شـــبه مماثلة لمواطـــن مصرى فى باريس أشـــرفت عليها شخصياً.. وأحدث حديثى صداه الإيجابى المنشـــود وابتدأت فى تنفيذ خطتى الشـــخصية المتواضعة، وكنـــت أدرك تماماً أن انفعالـــى بتنفيذ رؤيتى لا يتفق مع الدبلوماســـية المصرية ولا تقبلـــه وزارة الخارجية، وقد أتعرض للمساءلة والمحاســـبة، ولكن جاء قرارى ناتجاً من استمرار إحساسى بآلام النكسة الدامية التى تعيش فى أعماقى شـــأن كل مواطن مصرى يحب مصـــر التى أمثلها وظيفيـــاً. وكانت البدايـــة بإجراء اتصال تليفونى بالفتاة فى باريس لإبلاغها بمرض والدها بأزمة قلبية ونقله إلى المستشـــفى المركزى وتحت رعايـــة واهتمام الأطباء المصرييـــن، وتمت متابعتى وفى زياراتى له يذكر اسمها دائماً ومع استمرار النوبات المتوســـطة والحادة التى يتم الســـيطرة عليها يطلب رؤيتها، وكان قلقها وانفعالها يتقلب من حين لآخر. وكنت أدرك أن جميع اتصالاتى بها مسجلة ويتم تحليلها وكنت على يقين أن المشرفين من أفراد الموساد عليها يحاولـــون إقناع الفتـــاة أنه كمين مصرى ولا صحة لمرض والدها. وبالفعل سافر شـــخصان عربيان إلى ليبيا وإلى منزل والدها ومنعا مـــن زيارة المريض تنفيذاً لتعليمات الأطبـــاء. كما طلبت هبة الحديث مع أخيها وتـــم علاج الموضوع بنجاح ولم يتـــم الحديث، وهكذا تم اتخاذ ما يلزم لعدم كشف أكذوبة مرض والدها وبفضل الله واستمرار الاتصال التليفونى بينى وبين الفتاة عدة أيام فوجئت بطلبها تسفير الوالد لاستكمال علاجه فى باريس، ورحبت ثم نقلـــت رأى الأطباء بالموافقة مع خشية رد فعل تغيير ضغط الهواء فى حالتى إقلاع الطائرة وهبوطها مرتين، لأنه لا توجد رحلة مباشرة من طرابلس وباريس وفى صبيحة توقيت يوم تسفير المريض (المزعوم) اتصلت بى وهى باكية وطلبت إلغاء تسفيره، وأنها قررت القدوم إلى ليبيا عبر الطائرة الإيطالية مروراً بروما فكانت أول خطوة فى رحلـــة النجاح وفى فرض قرارها على الموساد. وقام مستشار سفارة إسرائيل فى باريس (قيادة الموساد) فى أوروبا الغربية بتوصيل الفتاة إلى المطار لتطمئن على والدهـــا بطرابلس، هذا وقد قســـمت الخطة المتواضعة إلى قســـمين لكل صعوبته ومخاطره التى تهدد النجاح المنشود. أولهما شـــحن الفتاة بمخاطر أزمات القلب التى تهدد حياة والدها وقبل أن يرى ابنته وفـــى نفس الوقت عدم لقاء الفتاة بوالدها الذى يذكرهـــا دائماً وقبل رحيله. والقســـم الثانى نقـــل الفتاة من طائرة الشركة الإيطالية إلى طائرة مصر للطيران فى ســـاحة مطار طرابلس بعيداً عن عيون سلطات الأمن الليبية دون دخول مبنـــى المطار نهائياً مـــروراً بالإجراءات الطبيعية فى الجوازات والجمارك، وكذلك دون إجراءات المغادرة ودون ظهور جواز ســـفرها نهائياً بحيث يكون خط الســـير من الطائرة الإيطالية إلـــى صالون كبار الزوار والبقاء به فترة ســـاعة على الأقل ثم الخروج من بابه المفتوح على ســـاحة المطار إلى الطائرة المصرية بدون تذكرة السفر وبدون حقيبة متعلقاتها. وكنت أرى مخاطر القسم الثانى تفوق مخاطر القسم الأول بكثير والتى تهـــدد تحقيق النجاح المنشود وهو وصولها للقاهرة حية، وكان لمعاونـــة المدير الإقليمى لشـــركة مصر للطيران الأخ (م.أ) والأخ الزميل المستشار الأمنى للســـفارة (أ.م) الفضل الكبير فى تحقيق النجاح، وقد أبلغت الأول أن هناك شـــخصاً له أهمية خاصـــة لوصوله على الطائرة المصرية إلى القاهرة وطلبت منه تخفيض قوة الإنارة فى ساحة المطار إذا أمكن والحد من كثرة عربات نقل حقائب المسافرين المتحركة بين الطائرات وكذلك حركة الأفراد وفصـــل صفين من المقاعد الأماميـــة كدرجة أولى عـــن بقية مقاعد الطائرة بحيث لا يفتح الباب نهائياً لحين الوصول للقاهرة.

هذا وبعد هبوط الطائـــرة الإيطالية

حقائق الصعود إلى الهاوية

تحركت بمفردى فى ظلام الليل إلى الطائرة ناظراً إلى الركاب الهابطين على سلم الطائرة ولم أر الفتاة ورأيت أحد ضباط أمن المطار يرافقه شخصان من الشرطة متجهين إلى سلم الطائرة، فأسرعت ووضعت قدمى على أول سلمة (درجة) على سلم الطائرة قبله واستفسرت منه عن الأمر فأجاب أن هناك راكبة مصرية فقدت خاتماً له قيمة مالية كبيرة وحملت قائد الطائرة المسئولية الذى أبلغ سلطات أمن المطار بالأمر للتصرف وذلك حرصاً على إقلاع الطائرة فى التوقيت المحدد فأبلغت الضابط برجاء ترك الأمر لى بصفة الراكبة مصرية الجنسية وشكرته على موافقته وأبلغته بأننى سأبلغه بالنتيجة وعاد إلى مبنى المطار. أكملت صعودى السلم ووجدت الفتاة أمام باب الطائرة واصطحبتها للنزول مرحباً بقدومها وتوجهنا إلى صالون كبار الزوار من الباب المفتوح على ساحة المطار وروضت نفسى للانفراد بالحديث لمدة ساعتين على الأقل دون توقف بهدف عدم إتاحة الفرصة لسؤالى عن عدم اصطحاب شقيقها معى أو السؤال عن والدها أو موضوع فقدانها الخاتم المزعوم. وخلال الساعة التى قضيناها بالصالون دخل الصالون من الباب الآخر على الساحة فردين من أمن السفارة وبمرور التوقيت المحدد دخل الصالون الزميل المستشار الأمنى بالسفارة وعرفته على الفتاة على أساس أنه أحد المسئولين بالمطار، وطلبت منه برجاء تسهيل استلام سائق سيارتى حقيبة الفتاة فوعد باتخاذ اللازم وغادر الصالون وغادرت الصالون لحسم تأخير استلام حقيبة الفتاة. وكان دور أفراد الأمن بعد خروجى وإغلاق الباب الذى يؤدى إلى ساحة مبنى المطار يتوجهان فورًا إلى الفتاة ووضع «الكلبش» فى يديها واصطحابها للخروج من الصالون إلى ساحة المطار وإلى سلم طائرة مصر للطيران، فصاحت الفتاة باسمى فأسكتها أحد الفردين بضربة قوية آلمتها وصرخت مرة ثانية قبل الخروج فناولها ضربة مماثلة وأبلغها بأننى أنتظرها خارج الباب، ثم صعدت الفتاة وفردا الأمن الطائرة المصرية وتم إغلاق باب الطائرة التى تحركت ثم انطلقت فى الفضاء فى طريقها ليستقبلها شعب مصر الذى خانته هبة، وكان بالدرجة الأولى يجلس صديقى الأخ حسن عبدالغنى وزميله المرافق له وفوجئت عقب خروجى من باب الصالون بالتفاف عدد من الأفراد لا أعرفهم يقبلوننى ويهنئوننى بالنجاح وحملونى وطلبت بإلحاح إنزالى لخوفى من وقوعى وحدوث أى مضاعفات تزيد من حدة آلام الانزلاق الغضروفى المصاب به. ولا أذكر نهائياً كيف رجعت إلى منزلى بأية سيارة ومع من، وقضيت بالمنزل عدة أيام غير قادر على الحركة أو الكلام نتيجة الضغوط العصبية والنفسية التى عاصرتها خوفاً من الفشل فى تحقيق الهدف، وشكرت الله كثيراً فكانت رعايته وحمايته الإلهية وهى فى حقيقتها حمايته لمصر وشعب مصر. وقد أوفد الموساد شخصين على نفس طائرة هبة لمتابعة حركة الفتاة فى المطار وبعده. وبحثا عنها فى جموع الركاب ولم يجدوها فأبلغوا المستشار آدمون بسفارة إسرائيل من مطار طرابلس بالأمر، فأيقن أن هبة تم القبض عليها فى كمين مصرى ولم يجد أمامه إلا الانتحار وأطلق الرصاص على نفسه، وتناولت الصحافة الغربية والفرنسية الموضوع الغامض وأسبابه.

كان لوصول هبة إلى القاهرة «حية» صدى عميق لدى الرئيس السادات فأمر المشير أحمد إسماعيل بالسفر إلى ليبيا للقائى بمطار طرابلس وتقليدى وسام الاستحقاق وإبلاغى تقدير الرئيس للنجاح فى تحقيق الهدف المنشود، ووصل المشير واستقبله الملحق العسكرى بالسفارة العقيد صلاح السعدنى ومستشار السفارة الأمنى حيث كان المشير قائد القوات المسلحة «وزير الدفاع ومدير المخابرات العامة» وطلب المشير من العقيد الاتصال بى وطلب قدومى إلى المطار وانصرف العقيد وعاد بعد بضع دقائق وأبلغ المشير بأنه لم يجدنى فى أى مكان، وعاد المشير إلى القاهرة حاملاً الوسام ولم يرنى ولم يقلدنى الوسام. وفى صباح اليوم التالى التقيت بالملحق العسكرى وأبلغنى بأنه لم يجدنى فى أى مكان فأبلغته بأننى لم أغادر منزلى نهائياً. وأضاف بأن المشير كان يرغب فى الالتقاء بى فأبديت دهشتى.. ونتيجة الموقف تسلمت الوسام بالطريق الرسمى عن إدارة المراسم بوزارة الخارجية .

لقد أخفيت أمر قيامى بهذه المهمة تنفيذاً لقرارى الشخصى النابع من وجدانى استنادًا إلى معرفتى بالفتاة ولوجود والدها فى ليبيا حيث يعمل ويقيم، ولاستمرار

الجاسوسة هبه سليم

الآلام الدامية فى أعماقى شأن كل مواطن مصرى يحب وطنه بالرغم من إدراكى أننى أقوم بعمل ليس من اختصاص وزارة الخارجية، واحتمال تعرضى للمساءلة وما قد يتبعها، وحيث أخفيت الموضوع على الأخ المرحوم السفير جمال شغير الذى أعمل تحت رئاسته والذى تربطنى به علاقة أخوية وعائلية وثيقة وحيث كنت أدرك أنه سيعلم بالدور الذى أقوم به فى المستقبل وسيرى فى موقفى ما يزعجه ويتناقض مع التفاهم والأخوة العميقة التى تربطنا فقررت إبلاغه بالأمر وفوجئ بما سمعه وكان موقفه عظيماً كما توقعت، وقال لى «ربنا يوفقك وسأدعو الله لك بالنجاح» فشكرته وهو السفير الوطنى العظيم رحمه الله، وكان هذا الإبلاغ بعد إبلاغى الفتاة أن الأطباء أكدوا لى إمكانية تجهيز المريض لسفره إلى باريس مع احتمال رد فعل سلبى نتيجة إقلاع الطائرة وهبوطها.

لقد قرأت الكثير حول هذه القضية وكثرت الأقلام التى تناقلتها ولأصحابها كل الاحترام والتقدير لما بذلوه من جهد لطرح ما لديهم من معلومات وتقديرات واجتهادات فى وجهات النظر والرؤى.. وكان فى ذلك ما دفعنى أيضاً لطرح ما لدى وليكن دورى الشخصى حيث لم أتلق أى طلب من أية جهة رسمية أو غير رسمية أمنية أو غير أمنية ومن أى شخص لقيامى بأداء دورى الوطنى إيماناً منى بأن العمل الدبلوماسى هو عمل وطنى قبل أن يكون وظيفياً ومضمونه تمثيل الوطن خارج حدوده على المستوى الدولى وتوثيق العلاقات الثنائية بين مصر ودول العالم وجلب الخير للوطن والتصدى للتيارات المعادية للوطن إذا أتاحت الظروف ذلك

أو على الأقل متابعة تحركاتها وإحاطة السلطات المصرية بالأمر فى حينه لاتخاذ ما تراه لازماً. وأتمنى أن يدرك الدبلوماسيون الجدد ويؤمنون بذلك وهم فى بداية الطريق وكان هناك ممن كتبوا خرجوا عن إطار الحقائق نتيجة لعدم العلم أو لتحقيق أهداف أخرى غير مقبولة.

- وقد نالت القضية اهتماماً خاصاً من قبل القائمين على صناعة السينما وكانت ثمرة هذا الاهتمام إنتاج فيلم «الصعود إلى الهاوية» وهو من إنتاج شركة آمون للإنتاج والتوزيع السينمائى ومن إعداد صالح مرسى عام 1978 وقد ترجم هذا الفيلم إلى عدة لغات أجنبية وأحدث الفيلم صدى واسع النطاق فى المجتمع المصرى وشكل شحنة ثرية وكبيرة من الحس والحماس الوطنى للشعب المصرى. وتعليقى على الفيلم الذى أسعدنى كثيراً بالرغم من أن غالبية أحداثه ليست لها علاقة بالحقيقة والواقع إلا فى جزئية وحيدة صغيرة وهى التى تشكل الهدف المنشود الذى تطلع إليه الرئيس السادات بل الشعب المصرى بأكمله وهو انتزاع الجاسوسة من قبضة الموساد واصطحابها إلى القاهرة «حية» لتؤدى النيابة العسكرية رسالتها وتنفيذ حكم القضاء العادى فى حق الجاسوسة التى ارتمت فى أحضان الخيانة لشعب مصر وسعيها لتحقيق الانتصار العسكرى وهزيمة مصر لا قدر الله ولم يكفها نكسة 67.

علمت

ومصدر علمى الوحيد الجدير بالثقة والحقيقة هو صديقى اللواء حسن عبدالغنى:

1- أثناء مرحلة الرحلات المكوكية لمستر هنرى كيسنجر رئيس الأمن القومى بالولايات المتحدة الذى كان يتنقل بين القاهرة وتل أبيب وواشنطن خلال فترة حالة التوتر الحاد المتصاعد لفك الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية وبعد الانتصار الذى حققته مصر فى حرب أكتوبر 73 فوجئت سلطات الدفاع الجوى باقتراب طائرة من المجال الجوى المصرى وتطلب التصريح لها بالعبور ثم الهبوط فى مطار أسوان مع الإعلان عن وجود شخصية أمريكية رسمية مهمة على متن الطائرة للاجتماع بالسيد الرئيس السادات فى أسوان وذلك لأمر مهم وعاجل وكانت هذه الجولة مبكرة عن موعدها المحدد مسبقاً ببضعة أيام. وبعد موافقة السيد الرئيس تم استقبال كيسنجر الذى أبلغه برسالة من جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل تضمنت طلب إنقاذ حياة هبة سليم مع عرض الاستعداد للإفراج عن أى عدد من المعتقلين المصريين لدى السلطات الإسرائيلية. وأفاد الرئيس السادات أنه سيستفسر عن الموضوع وسيفيده بالرد فى اللقاء مساء نفس اليوم وعقب انصراف كيسنجر طلب تنفيذ حكم القضاء بإعدام هبة سليم. وفى اللقاء أبلغه الرد بالاعتذار للتأخير فى وصول الرسالة حيث سبق تنفيذ حكم القضاء كما أضاف كيسنجر أن الرئيس الأمريكى نيكسون يرجو أيضاً إنقاذ حياة هبة، وطلب آخر وهو إعادة النظر بإيقاف تصفية الثغرة الإسرائيلية تفادياً لمواجهة عسكرية أمريكية فى نفس المنطقة فكان الرد مماثلاً للرد على مطلب السيدة جولدا مائير والاستجابة للمطلب الثانى لأن ليس لديها القدرة أو الرغبة فى لقاء عسكرى مع الولايات المتحدة.

2- تقدم ضابط بالقوات المسلحة وهو مهندس للزواج من هبة سليم ورفض طلبه من قبل العائلة لأن إمكانياته المالية محدودة وفى نفس الوقت تقدم شخص آخر من الأثرياء ومتقدم فى السن ورفضته الفتاة وكانت المنحة لجامعة السوربون المهرب من قضية الزواج بصفة عامة، وبعد إثبات كفاءة الفتاة فى داخل فرنسا تم تسفيرها إلى القاهرة للتعرف على استعداد مصر والتجهيز والاستعداد للمعركة الجديدة مع إسرائيل واتصلت بالضابط المهندس وسهل عليها تجنيده بتزويده بالمال الوفير وانطلق فى أداء مهمته والتفاعل المباشر مع إسرائيل وإمداد الموساد بالمعلومات العسكرية لأنه كان يعلم الكثير بحكم عمله وقد تم اعتقاله ومحاكمته وصدر الحكم بالإعدام رمياً بالرصاص، وطلب قائده الذى يثق ويعتمد عليه فى العمل الاستقالة وعرض المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية الطلب على الرئيس الذى رفض الطلب وعاود بطلب اشتراكه فى تنفيذ حكم الإعدام وقبل الرئيس السادات الطلب.

3- كان هناك تشابه فى نظام الأمن الجوى المصرى مع النظام الأمنى الجوى الخاص بمطار موسكو واضطرت السلطات العسكرية الروسية تغيير النظام بعد العلم بتعرف الموساد هذا النظام بواسطة هبة ورفيقها الضابط «ف.أ».

تقدير السلطات المصرية المختصة:

1- مذكرة إيضاحية من الفريق أول أحمد إسماعيل على وزير الحربية موجهة إلى السيد رئيس الجمهورية «إبريل 1973» تضمنت مشروع قرار منح أنواط الواجب العسكرى لبعض الضباط العسكريين تقديراً لأدائهم واجباتهم فى خدمة البلاد والقوات المسلحة.

2- كتاب السفير أحمد كمال على رقم 183 بتاريخ 20 مايو 1974 «مدير إدارة المراسم بوزارة الخارجية والكتاب موجه لى تضمن منحى وسام الاستحقاق من الدرجة الثالثة والبراءة الخاصة به الممنوحة من السيد رئيس الجمهورية بتاريخ 13 مايو 1973.

3- قرار السيد رئيس الجمهورية رقم 635 لسنة 1973 يتضمن المادة الأولى منح أسماء بعض الضباط العسكريين نوط الواجب من الطبقة الأولى. المادة الثانية منحى وسام الاستحقاق من الطبقة الثالثة وصدر هذا القرار فى 10 ربيع الثانى سنة 1313هـ مايو 1973.

4- كتاب رقم القيد 123 بتاريخ 13/ 6/ 1973 موجه من اللواء حسن محمد مجيد الجريدلى سكرتير عام وزارة الحربية إلى وكيل وزارة الخارجية لشئون مكتب السيد الوزير بشأن منحى الوسام لأدائى واجبى فى خدمة البلاد والقوات المسلحة بإتقان وإخلاص.

5- كتاب من وكيل وزارة الخارجية بتاريخ 19 يونيو 73 يتضمن تهنئتى بالوسام.

6- كتاب من رئيس فرع الأمن الحربى بوزارة الحربية بتاريخ 20/ 6/ 1973 يتضمن: قد صدق على منحى الوسام بالقرار الجمهورى رقم 635 لسنة 73 بتاريخ 13/ 5/ 1973 مع تهنئتى مع دوام التوفيق.

وختاماً:

إننى أقدمت على هذه المغامرة وحيث لم أتلق أى طلب من جهة رسمية أو غير رسمية أو أمنية أو غير أمنية أو أى شخص وأرجو من الإخوة الزملاء الدبلوماسيين وهم فى بداية الطريق أن يعلموا أن العمل الدبلوماسى هو عمل وطنى أكثر منه وظيفى وشرف كبير لمن يمارسه ولاسيما إذا كان يمثله وأن هذا الوسام الذى شرفنى حمله يتوج ضمن أوسمة أخرى شرفت بحملها من الزعيم جمال عبدالناصر والرئيس السادات لمنجزات شخصية أخرى.

نظرة عامة على الانتخابات الإسرائيلية ونتائجها

كانت الانتخابات الإسرائيلية العامة التى أجريت فى 9 إبريل 2019 قد أسفرت عن فوز أكبر حزبين وهما أزرق أبيض «كاحول نافان» وحزب الليكود، بعدد متقارب من المقاعد فى الكنيست الإسرائيلى ومن ثم ساد اعتقاد بأن الحزب الجديد وهو حزب أزرق أبيض قد تتاح له فرصة لتشكيل الحكومة، ولكن الأمر ليس كذلك فى إسرائيل حيث يتعين على من يتصدى لتشكيل الحكومة الجديدة عقب الانتخابات أن يحصل على تأييد 61 مقعداً من 120 مقعداً فى الكنيست حتى يكلفه رئيس الدولة بتشكيل الحكومة، وهو الأمر الذى تعذر تحقيقه على حزب أزرق أبيض، وكذلك لم يستطع قائد الليكود نتنياهو الحصول على الأغلبية من المؤيدين، وتم حل الكنيست بعد أقل من شهرين من الانتخابات وتقرر إعادة الانتخابات اعتقاداً من نتنياهو أن بإمكانه الحصول على أغلبية تؤيده من التيار اليمينى المتشدد.

سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

وقد أجريت الانتخابات الإسرائيلية الثانية فى 17 سبتمبر 2019 وأسفرت عن نتائج متقاربة للمقاعد التى حصل عليها الليكود وأزرق أبيض، حيث حصل حزب أزرق أبيض على 33 مقعداً، بينما حصل الليكود على 32 مقعداً، وللمرة الثانية لم يستطع أزرق أبيض أن يحصل على الأعلى تأييد 54 مقعداً فى الكنيست بينما حصل الليكود على تأييد 55 مقعداً.

واقترح رئيس دولة إسرائيل ريفيلين على كل من زعيمى الحزبين تشكيل حكومة ائتلافية، وبذا يكون لديهما معا أغلبية 65 مقعداً، على أن يتولى زعيم الليكود نتنياهو رئاسة الحكومة أول عامين ويكون بينى جانتس زعيم أزرق أبيض نائباً له خلال هذين العامين ثم يتولى بعدهما رئاسة الحكومة ويصبح نتنياهو نائباً له. واقترح رئيس الدولة أنه إذا وجه الاتهام رسمياً فيما هو منسوب لنتنياهو من تهم وتقرر تقديمه للمحاكمة فإن جانتس يتولى رئاسة الحكومة بالإنابة إلى أن يصدر حكم المحكمة، فإذا أدين نتنياهو يستقيل ويحل محله أحد قادة حزب الليكود لإكمال العامين.

رفض جانتس هذا الاقتراح وكلف رئيس الدولة نتنياهو بتشكيل الحكومة وقد بدأ مشاوراته مع الأحزاب اليمينية والدينية للحصول على الأغلبية المطلوبة، ولا يزال يتطلع إلى إقناع أفيجيدور ليبرمان رئيس حزب «إسرائيل بيتنا» بالانضمام إلى حكومته الجديدة، وهو لديه 8 مقاعد، ولكن ليبرمان يتمسك باقتراحه تشكيل حكومة ائتلافية بين الليكود وأزرق أبيض وإسرائيل بيتنا، لتكون حكومة قوية من اليمين والوسط تستطيع أن تصمد وتثبت وحدة وقوة إسرائيل، وإصدار القوانين التى توحد الأوضاع القانونية لكل المواطنين اليهود، وهو يشير بذلك إلى سعيه لإصدار قانون بتجنيد اليهود المتدينين والذى ترفضه الأحزاب الدينية ويتوافق معها نتنياهو، وكان ذلك سبب استقالة ليبرمان من منصب وزير الدفاع، وإجراء الانتخابات الأولى فى إبريل 2019. وقد يلجأ نتنياهو إلى إغراء ليبرمان بمناصب ومزايا لحزبه حتى يقنعه بالانضمام إليه، ولكن ذلك قد يستهلك كل الوقت المخصص للانتهاء من تشكيل الحكومة الجديدة، وهو ستة أسابيع، إذا لم يستطع نتنياهو إنجاز ذلك فمن المرجح أن يكلف رئيس الدولة بينى جانتس رئيس حزب أزرق أبيض بتشكيل حكومة أقلية لأن أغلبية الأحزاب لا ترغب فى الاتجاه إلى إجراء انتخابات للمرة الثالثة خلال عام واحد، أو أن يطلب من أحد قادة الليكود القيام بذلك.

وقد أسفرت الانتخابات الأخيرة عن حصول القائمة العربية المشتركة على 13 مقعداً لأنها توحدت فى قائمة واحدة وكان من أهم أهدافها عدم حصول نتنياهو على الأغلبية التى يسعى إليها وتتيح له تشكيل الحكومة الجديدة بسهولة. كما أعلنت القائمة المشتركة عن رغبتها فى تأييد بينى جانتس زعيم أزرق أبيض لمساعدته على تشكيل الحكومة إذا ما كلفه رئيس الدولة بذلك، ولكن دون أن يشاركوا فى الحكومة، وقد حدث انقسام فى القائمة المشتركة حيث سحب حزب التجمع وهو ضمن القائمة المشتركة، سحب تأييده لبينى جانتس لتشكيل الحكومة، وله 3 مقاعد وهو ما أدى إلى انخفاض المؤيدين من 57 مقعداً إلى 54 مقعداً

وتكليف نتنياهو حيث حصل على تأييد 55 مقعداً. وأصبح عدد مقاعد القائمة المشتركة المؤيدين لجانتس 10 مقاعد. ولكن هذا التأييد يلقى تحفظاً من أغلبية الإسرائيليين بسبب الدعاية الانتخابية العنصرية التى قام بها نتنياهو أثناء حملته الانتخابية وصور فيها الأحزاب العربية بأنها متعاونة مع الإرهاب الذى يعمل ضد إسرائيل.

هذا ويواجه نتنياهو عدة اتهامات ستحقق النيابة معه بشأنها يوم 2 أكتوبر 2019 وقد سربت وسائل الإعلام الإسرائيلية أنباء مفادها أن نتنياهو قد يسعى إلى صفقة فى حال توجيه الاتهام له يحصل بمقتضاها على عفو من رئيس الدولة مقابل تنازله عن رئاسة الحكومة وتكليف قيادة أخرى من الليكود بذلك، وقد حاول نتنياهو نفى ذلك، ولكن تسربت أنباء بأن مسئولين فى النيابة العامة الإسرائيلية أبلغوا نتنياهو بأنه إذا وجه إليه الاتهام، فإن النيابة ستعارض صفقة الإقرار بالذنب ما لم تتضمن عقوبة السجن الفعلى له، وذكرت مصادر أنه ما من صفقة مطروحة حالياً على جدول الأعمال لخفض أو إلغاء التهم التى قد توجه إلى رئيس الوزراء، ومن أهم هذه الاتهامات:

(1) اتهامات بحصوله على هدايا ومزايا من رجال أعمال من بينهم منتج فى هوليوود وهو يحمل الجنسية الإسرائيلية، أرنون ميلتشان، مقابل تقديم خدمات له.

(2) اتهام بوجود صفقة مقايضة غير قانونية بين نتنياهو وناشر بصحيفة «يديعوت أحرونوت» أرتون موزيس، لإضعاف صحيفة منافسة مقابل الحصول على تغطية أكثر إيجابية لصالح جريدته.

(3) القضية الأهم أن نتنياهو يشتبه بأنه دفع بقرارات تنظيمية تعود بالفائدة على المساهم المسيطر فى شركة «بيزك» للاتصالات شاؤول الوفيتش، مقابل الحصول على تغطية ودية من موقع «والا» الإخبارى، الذى يملكه الوفيتش، وهى تهمة رشوة موجهة لنتنياهو.

(4) قضية تضارب محتمل فى المصالح فيما يتعلق بصفقات تجارية خاصة بشركة صنع سفن ألمانية تشترى منها إسرائيل غواصات وسفناً أخرى.

ويلاحظ أن نتنياهو أصبح قلقاً على مستقبله السياسى، وهو ما اتضح بجلاء أثناء حملته الانتخابية وتماديه فى مخاطبة اليمين الإسرائيلى المتطرف، حيث تسرب أنه كان ينوى إعلان ضم غور الأردن وشمال البحر الميت إلى إسرائيل قبل أن يشكل الحكومة الجديدة وقبل أن تعرف نتائج الانتخابات، ولكن عدداً من الوزراء والمستشارين القانونيين حذروا من ذلك وما سينتج عنه من تداعيات غاية فى السلبية على عملية السلام، وأنه قد يؤدى إلى قطع كل العلاقات مع السلطة الفلسطينية، واستند القانونيون إلى أن حكومة نتنياهو الحالية هى حكومة تصريف أعمال ولا يجوز لها اتخاذ قرارات أساسية وكبيرة مثل ما يفكر فيه

نظرة عامة على الانتخابات الإسرائيلية ونتائجها

رئيس الوزراء والتى قد تؤدى إلى قطع العلاقات مع الأردن.

وبناء على ذلك اكتفى نتنياهو بإعلان نيته إذا ما شكل الحكومة الجديدة أن يتخذ قرارات ضم غور الأردن وشمال البحر الميت. وقد أثارت تصريحاته هذه موجة قوية من الرفض والاستنكار ليس فقط من الفلسطينيين وجامعة الدول العربية بل والاتحاد الأوروبى والأمم المتحدة ودول آسيوية وإفريقية والاتحاد الإفريقى، ودعت السعودية إلى اجتماع طارئ لوزراء خارجية منظمة التعاون الإسلامى الذين اعتبروا أن تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلى مخالفة للقانون الدولى وغير شرعية وأنه لو تم تنفيذها فإنها تجهض عملية السلام وتقضى على حل الدولتين.

وبالرغم من رد الفعل القوى الرافض لتصريحات نتنياهو، إلا أنه أصر على عقد اجتماع الحكومة الإسرائيلية يوم 15/ 9/ 2019، أى قبيل الانتخابات بيومين فى إحدى المستوطنات اليهودية المقامة فى غور الأردن، وكرر من جديد حديثه عن نيته ضم غور الأردن وشمال البحر الميت، بل وقرر إقامة مستوطنة جديدة فيها.

ويلاحظ أن نتنياهو تسيطر عليه فكرة أنه أفضل رئيس وزراء ضمن ويضمن أمن إسرائيل والإسرائيليين، وحرصه وإصراره على نقل هذا الاعتقاد إلى جمهور الناخبين خاصة وأنه يستند إلى أنه حقق أطول مدة رئيس حكومة فى إسرائيل. وقد ألغى نتنياهو سفره إلى نيويورك لإلقاء خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكان مقرراً أن يلتقى على هامش الاجتماعات مع الرئيس الأمريكى ترامب وقد علق ترامب بأنه لم يتحدث إلى نتنياهو منذ إجراء الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة، وأن علاقاته هى مع إسرائيل الدولة وليست مع أشخاص، وهذا يعد تغيراً فى موقف ترامب الذى لم يخف تأييده لنتنياهو سواء أثناء حملته فى الانتخابات الأولى أو الثانية. وقد يرجع ذلك إلى أنه فقد الكثير من قوته وجاذبيته لدى الإسرائيليين حيث أظهر استطلاع للرأى العام الإسرائيلى أن 52٪ ممن شاركوا فى الاستطلاع يفضلون تنحيته عن السلطة وأنهم يفضلون اختيار زعيم آخر من الليكود غير نتنياهو، وأيد 53٪ عدم العفو عنه من قبل رئيس الدولة إذا ما أدين فى الاتهامات الموجهة إليه، ولكن مع عدم تقديمه للمحاكمة مقابل تنازله عن رئاسة الحكومة، بينما اعتبر 49٪ أن تشكيل حكومة من حزب أزرق أبيض وحزب العمل والقائمة المشتركة «العربية» حتى ولو بدعم خارجى منها تعتبر حكومة غير شرعية، فيما يرى 38٪ أنها ستكون حكومة شرعية.

ومن ثم يتضح مدى صعوبة الوضع السياسى الداخلى فى إسرائيل والصراعات بين القادة السياسيين والعسكريين مما أوجد حالة من الانقسام، وقد أظهرت الانتخابات الأخيرة عدة نقاط أهمها:

- استمرار الانقسامات والخلافات بين أجنحة العلمانيين بمختلف مستوياتها من ناحية، وبينهم والتيارات الدينية من ناحية أخرى.
- ارتفاع نسبة المشاركة فى التصويت فى الانتخابات الأخيرة إلى نحو 70٪ بينما كانت 61٪ فى انتخابات إبريل 2019.
- نجاح الفلسطينيين فى إسرائيل من التوحد فى قائمة انتخابية واحدة وحصولهم على المركز الثالث فى الكنيست بعد حزب أزرق أبيض والليكود.
- عدم نجاح مسعى إقامة حكومة ائتلافية من أزرق وأبيض والليكود

برئاسة نتنياهو حيث يرى بينى جانتس زعيم أزرق وأبيض أنه يفضل عدم رئاسة نتنياهو للحكومة وهو مهدد بالتقديم للمحاكمة بتهم الغش وخيانة الأمانة.

- استمرار بل تزايد دور حزب إسرائيل بيتنا بزعامة ليبرمان، وأصبح بمثابة رمانة الميزان فى تشكيل الحكومة القادمة وارتفاع الطموحات السياسية لليبرمان.

- تراجع قضايا السياسة الخارجية فى الانتخابات الأخيرة، سواء بالنسبة للصراع مع إيران، أو عملية السلام، أو العلاقات مع السلطة الفلسطينية وتصاعد القضايا الأمنية والاقتصادية.

- التشابه الكبير فى المنهج السياسى بين حزب أزرق وأبيض الناشئ والذى يعرف شعبياً بحزب الجنرالات، وبين الليكود وقائده نتنياهو.

- استمرار الطلب على الأحزاب الدينية لتشارك فى تشكيل الحكومة

على أساس أن هوية دولة إسرائيل هى الديانة اليهودية، ومن ثم الحرص على أن تكون بعض الأحزاب الدينية، قدر الإمكان، مشاركة فى الحكومة.

- تراجع عملية السلام مع الفلسطينيين لصالح سياسة فرض الأمر الواقع سواء بالحديث عن ضم المستوطنات، أو تصريحات نتنياهو بشأن ضم غور الأردن وشمال البحر الميت رغم محاذير تدهور العلاقات مع الأردن.

وقد صرح أحد الخبراء السياسيين الإسرائيليين أن نتنياهو قد اقتربت ساعته، والتى من الواضح أنها ستكون عقب جلسة استماع له مع محاميه والتى يتوقع أن يخرج منها متهماً، ومن ثم لا يجوز تكليفه بتشكيل الحكومة، ولا إعطاءه المجال للدعوة إلى انتخابات ثالثة.

وكتب محرر الشئون الحزبية فى جريدة «يديعوت أحرونوت» أن نتائج الانتخابات أوضحت لنتنياهو بأنه ليس قادراً على كل شىء، وأنه ليس لديه تفويض عام لإخضاع سلطة القانون لمصلحته، وأن أمره قد ينتهى إلى محاكمة طويلة يخوضها فى الصباح ويدير شئون الدولة فى المساء.

وكتب المحلل السياسى لصحيفة «معريب» بن كسبيت «لقد انتهى عهد نتنياهو، وأنه قضى على نفسه بيديه، وقد كان لديه كل شىء، وسيكتشف قريباً أن لا شىء لديه». وأنه تحول من فائز لخاسر، وأن ناشطى الليكود أداروا ظهورهم له ولم يصوتوا لصالحه فى الانتخابات الأخيرة. وإذا أصر نتنياهو على حل الكنيست للمرة الثالثة فى عام واحد، فإن هذا سيؤدى إلى تفكك الليكود كما حدث عام 2006، وأن شارون كان يقول «مدوا الحبل لنتنياهو وأنه سيشنق نفسه، لأنه حتى بعد أن نضج مع مرور السنين، إلا أنه عاد إلى حالته السابقة ويرتكب جميع الأخطاء الممكنة، ويسقط فى جميع الحفر الفارغة».

وبعد كل ذلك يبقى السؤال المهم: هل ما يحدث فى إسرائيل أزمة سياسية حقيقية بطلها نتنياهو ويناوئه ليبرمان، أم هى محاولات للتهرب من إعلان إدارة ترامب ما أطلقت عليه «صفقة القرن» وأنها تنوى إعلانها متكاملة بشقيها الاقتصادى والسياسى عقب تشكيل الحكومة الإسرائيلية الجديدة؟ أم الأمران معاً؟

سبعينية الصين بين «المؤسس» و«المحدث»

احتفلت الصين حكومة وشعباً فى الأول من أكتوبر من هذا العام بمرور سبعين عاماً على انتصار الثورة الشيوعية بقيادة الزعيم الراحل «ماو زى دونج» وتأسيس جمهورية الصين الشعبية، وكانت احتفالات هذا العام غير عادية فى ضوء أنها تحيى ذكرى مرور سبعة عقود على انتصار الثورة وتأسيس الجمهورية الشعبية، وبالتالى شهدت مدن الصين المختلفة عروضاً عسكرية ضخمة وعدداً كبيراً من الندوات الوطنية وورش العمل المحلية فى مختلف أرجاء الدولة وأقاليمها، وكذلك عدداً مهماً من المؤتمرات الدولية التى ضمت واستضافت مشاركين من مختلف بلدان وقارات العالم، وتناولت موضوعات عديدة ومتنوعة.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

وبالطبع فهناك فى هذا التوقيت الكثير الذى من الممكن أن يقال فى هذه المناسبة المهمة، سواء من الناحية التاريخية أو من ناحية دلالاتها وانعكاساتها المستمرة معنا حتى اليوم فى محيط عالمنا الإنسانى، فأحداث الأول من أكتوبر من عام 1949 لم تكن مهمة فقط بالنسبة للصين وشعبها، أو حتى للبيئة الجغرافية أو الجيوسياسية المحيطة بها ونطاقها الإقليمى أو شبه الإقليمى، بل بمرور الوقت يتأكد أكثر وأكثر أهمية ذلك الحدث للعالم كله، سواء من الجهة الإستراتيجية أو الاقتصادية أو الفكرية أو الثقافية أو الاجتماعية أو غير ذلك من جوانب، خاصة فى ضوء التطورات المتلاحقة التى جرت لمسيرة تلك الثورة وتلك الجمهورية وتصاعد تأثيراتها الإقليمية والدولية بمرور الزمن وتعاقبه.

وهناك الكثير والكثير من الموضوعات التى يمكن الحديث عنها أو يمكن الكتابة عنها فى شأن ذكرى مرور سبعين عاماً على انتصار الثورة الشيوعية وتأسيس الجمهورية الشعبية فى الصين، كما أن هناك العديد من الزوايا التى يمكن تناولها فى سياق هذه المناسبة، ولكننى أنوى أن أكتفى بالتركيز على إلقاء الضوء هنا على الدور المهم والتاريخى لشخصيتين محوريتين ومركزيتين وأساسيتين فى تاريخ تلك الثورة وتلك الجمهورية، وأعنى هنا كلاً من الزعيم الصينى الراحل «ماو زى دونج»، وهو ما يطلق عليه الصينيون أحياناً لقب «المحرر»، وأحياناً أخرى لقب «المؤسس»، بالإضافة إلى الزعيم الصينى الراحل «دينجزياو بينج»، وهو ما يطلق عليه الصينيون لقب «المحدث».

وإذا بدأنا بالزعيم «المحرر» و«المؤسس» «ماو زى دونج»، نقول أنه ابن شرعى، فى نشأته السياسية والوطنية، لاتحاد صفوف الصينيين جميعاً خلف الزعيم التاريخى العظيم الراحل «صن ياتصن» الذى قاد الثورة الوطنية الديمقراطية فى الصين عام 1920 والتى أفضت إلى إعلان الجمهورية فى البلاد، كما أنه ابن شرعى، على مستوى تطور وعيه الأيديولوجى وانتمائه الطبقى، للأيديولوجية الماركسية اللينينية الستالينية، مع إدخال إسهامات عليها تبرز الخصوصية الصينية، مثل نظرية «العوالم الثلاثة» ونظرية «حصار الحضر بواسطة الريف»، وغيرهما من إسهامات أثرت بعمق وقوة لاحقاً، وحتى اليوم، فى مسيرة العديد من التنظيمات والأحزاب الشيوعية عبر العالم، خاصة فى بلدان العالم الثالث ولكن ليس بشكل مقصور عليها، وهى تلك الأحزاب التى باتت تتبع «النهج الماوي» إلى حد أن أصبحت «الماوية» هى إحدى التنويعات العقائدية والفكرية المهمة والأساسية داخل سياق الإطار العام والمنظومة التى تظل الفكر الماركسى بشكل عام.

وبعد الطلاق السياسى الذى جرى بين كل من «ماو زى دونج» و«تشانج كاى تشيك» والتحول بشكل كامل من المرحلة الوطنية بالنسبة لـ «ماو» إلى المرحلة الماركسية، ثم تحول المواجهة بينه وبين «تشانج كاى تشيك» إلى مواجهات عسكرية، وذلك عقب توحد كافة الأطراف فى مواجهة الغزو اليابانى وحتى النجاح فى احتوائه ثم لاحقاً إلحاق الهزيمة به، ولكن فيما بين التاريخين تم اعتبار الغزو اليابانى للصين كعامل داخلى فى المعادلة السياسية الصينية والحاجة لمواجهته وليس مجرد خطر خارجى للصين، وفيما بينهما أصلاً دخل «ماو زى دونج» فى مرحلة جديدة لا تقل أهمية عن سابقتها فى مسار سيرته السياسية على الصعيد الوطنى الصينى، وهى المرحلة المسماة بـ«المسيرة الطويلة نحو الشمال»، والتى انتقده وقتها بشأنها العديد من رفاقه الشيوعيين، ولكن أثبتت الأحداث التالية أن وجهة نظره كانت هى الأكثر صحة ورجاحة وسلامة، وكانت تلك المسيرة هى البداية الحقيقية لقلب موازين القوى داخل الصين وتحول «الشيوعيين» من الطرف الأضعف فى تلك المعادلة والذى تعرض سابقاً للهزيمة على يد «الوطنيين»، إلى الطرف الأقوى الذى استنزف جهد «الوطنيين» ونجح فى نهاية الأمر فى إلحاق الهزيمة بهم ودخول العاصمة «بيجين» منتصراً فى الأول من أكتوبر 1949.

وصمدت الصين بعد انتصار الثورة

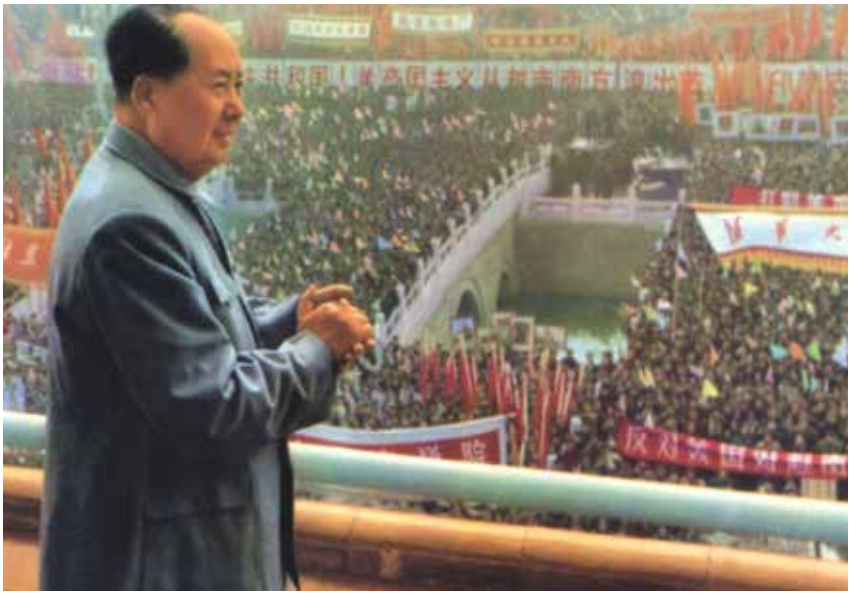

الزعيم الراحل «ماو زى دونج»

فى وجه ضغوط وحصار أمريكى وغربى، على الصعيدين الإقليمى والدولى، بما فى ذلك حرمان جمهورية الصين الشعبية التى كانت تسيطر على الغالبية العظمى من أراضى الصين فى ذلك الوقت من مقعد الصين فى الأمم المتحدة وبالتالى من المقعد الدائم لها فى مجلس الأمن وإعطاؤه لجمهورية الصين الوطنية التى نشأت فى جزيرة تايوان، ومن الصحيح أن التحالف الصينى آنذاك مع الاتحاد السوفيتى السابق كان له دور مهم فى حفاظ الصين على استقلالها وبناء عوامل قوتها الداخلية فى مختلف المجالات السياسية والعسكرية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولكن من الصحيح أيضاً، وكما برهنت الأحداث اللاحقة، أن القيادة الصينية ممثلة فى «ماو زى دونج»، والحزب الحاكم ممثلاً فى الحزب الشيوعى الصينى، والشعب الصينى، كانوا قد بلوروا وطوروا واكتسبوا مناعة ذاتية على خلفية الاعتماد على قوتهم الذاتية ونبذ الاعتماد على أية قوة خارجية، مما مثل السبب الرئيسى والتفسير الأهم لصمود الصين الشعبية فى مواجهة الكثير من المؤامرات المتعاقبة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص، وغالبية البلدان الغربية بصفة عامة. ورفعت الصين شعار «الاعتماد على الذات» وترجمت ذلك الشعار إلى سياسات وخطط وإستراتيجيات فى مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية. وتحول الشعب الصينى من كونه شعباً متهماً بزراعة الأفيون وإدمانه والاتجار فيه وبالكسل وبالإقلاع عن العمل، وكان مشهوراً عنه خارج حدود بلاده أنه مجموعة من العصابات التى تمارس كافة الأعمال المناهضة للقانون والخارجة عليه، كما كان لسنوات طويلة مستنزفاً فى حروب داخلية أضاعت طاقته وأتت على الأخضر واليابس فى بلاده، إلى أن أصبح نموذجاً فى الكد والعمل الجاد والدؤوب والاجتهاد وصاحب أعلى إنتاجية فى العالم من خلال العمل ليلاً ونهاراً بدون كلل.

وكانت الثورة والجمهورية فى الصين الشعبية قد مرتا بمراحل عديدة فى عهد الزعيم المؤسس الراحل «ماو زى دونج»، ما بين صعود وهبوط، وما بين تقدم وتعثر، فكان منها على سبيل المثال مرحلة «القفزة الكبرى إلى الأمام»، وكان منها تالياً لذلك مرحلة «الثورة الثقافية» فى النصف الثانى من عقد الستينات فى القرن العشرين، ثم جاءت مرحلة مراجعات الثورة الثقافية فى عقد السبعينات من القرن ذاته، والتى جاءت مع السنوات الأخيرة فى حياة الزعيم المؤسس الذى رحل عن عالمنا فى عام 1976. كما كان هناك تحدى إعادة توحيد كافة الأراضى الصينية تحت مظلة «جمهورية الصين الشعبية» وهو التحدى الذى تبلور تحت شعار «صين واحدة»، وهو شعار مقدس لدى الصينيين ومستمر منذ الأول من أكتوبر 1949 وحتى اليوم. وقد نجحت الصين فى إعادة كل من «هونج كونج» و«مكاو» إلى أحضان الوطن الأم، بشكل سلمى وفى ظل التزامات صينية تجاه المنطقتين، وبقيت فقط «تايوان» حتى اليوم «الصين الشعبية».

وكذلك جاءت تموجات وتذبذبات العلاقات الصينية مع القوتين الأعظم فى ذلك الزمن: الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية، لتضيف أبعاداً جديرة بالاهتمام والنظر والتحليل والتقدير لزاوية الرؤية لتطورات الصين فى عهد «ماو»، فقد بدأ عهد الزعيم المؤسس «ماو زى دونج» بتحالف قوى بدا طبيعياً ومنطقياً مع الاتحاد السوفيتى الدولة التى شهدت الثورة الشيوعية «الأم» فى العالم بأسره فى عام 1917، ولكنه سرعان ما وصل، بعد خلافه الأيديولوجى مع الزعيم السوفيتى الراحل «نيكيتا خروتشوف» خليفة «جوزيف ستالين»، وبسبب تمسك «ماو» من جهة بالستالينية كخيار أيديولوجى داخل السياق العام للماركسية اللينينية من جهة وبسبب تمسكه بالإسهامات الصينية التى اعتبر «ماو» أنها أثرت الماركسية ككل من جهة أخرى، مما وصل بالحال إلى طلاق كامل بين البلدين والحزبين الشيوعيين فيهما فى النصف الأول من عقد الستينات من القرن العشرين، ثم تفاجأ العالم بعد ذلك بسنوات قليلة بتقارب بين الصين الشعبية والولايات المتحدة الأمريكية، التى كان الزعيم «ماو» قد لقبها من قبل بأنها «نمر من ورق»، بدأ بما يعرف بـ«دبلوماسية تنس الطاولة» وتوج بزيارة الرئيس الأمريكى آنذاك «ريتشارد نيكسون» وانعقاد القمة بينه وبين «ماو» وتطبيع العلاقات الأمريكية الصينية ودعم واشنطن لعودة بيجين لتحتل مقعد الصين فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وهو ما تحقق بالفعل.

وننتقل إلى تناول الدور المحورى والمهم للزعيم «المحدث» «دينجزياو بينج» فى مسيرة الصين المعاصرة وتدشين مرحلة جديدة، أعتبر من وجهة نظرى أنها تمتد حتى الآن، فى مسار الثورة والجمهورية فى الصين الشعبية.

وكان «بينج» من الرعيل الأول من رفاق «ماو» وتلاميذه وأتباعه فى المسيرة الطويلة للثورة الشيوعية فى الصين، وترقى فى عدة وظائف رفيعة فى الحزب والدولة بعد انتصار الثورة وتأسيس جمهورية الصين الشعبية، ولكنه أيضاً كان واحداً ممن تلقوا غضب «ماو» وعقابه خلال الثورة

سبعينية الصين بين «المؤسس» و«المحدث»

الثقافية وتم تجريده من جميع مناصبه الحزبية والحكومية وتم تحويله إلى أحد معسكرات «إعادة التعليم» التى انتشرت فى تلك الأيام فى أنحاء الصين، ولكن «بينج» أيضاً مثلما هو الحال مع آخرين، استفاد من الفترة الأخيرة من حياة وحكم «ماو» التى أشرنا إليها من قبل وهى مرحلة مراجعات الثورة الثقافية، حيث تقلد منصباً رفيعاً مجدداً، وبعد رحيل «ماو» وتولى خليفته «هوا كوا فينج» زعامة الحزب والدولة تزايدت قوة ونفوذ «بينج» إلى أن قرر «فينج» رسمياً، وبعد أن كان قد تم التخلص من قبل من أرملة ماو فى إطار ما عرف بالتخلص من «عصابة الأربعة» واتهامهم بالمسئولية عن «انحرافات الثورة الثقافية»، التنازل عن السلطة وتم انتخاب «بينج» رسمياً زعيماً للحزب والدولة، بعد حوالى عامين من وفاة الزعيم المؤسس «ماو».

وقد بدأ «بينج» بإدخال إصلاحات سياسية، ولكن داخل إطار الأيديولوجية الماركسية اللينينية وبدون المساس بمكانة الحزب الشيوعى الحاكم منذ عام 1949، وذلك بخلاف ما فعله على سبيل المثال آخر الزعماء السوفييت «جورباتشوف» بدءًا من عام 1985 ممثلاً فى سياستى «الجلاسنوست» و«البريسترويكا» وهو الأمر الذى انتهى بانهيار الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى السابق والبلدان الشيوعية فى بلدان شرق ووسط أوروبا بحلول نهايات عام 1991، وقد تركزت الإصلاحات السياسية لـ «بينج» فى ضمان عدم انفراد شخص واحد بالسلطة والقرار بلا نهاية، فأدخل نظام الفترات المحددة على من ينتخب لأى موقع قيادى فى الحزب، كما سعى إلى تحويل لجان الحزب وآلياته الوطنية وعلى مستوى المحليات إلى آليات فعلية للمشاركة السياسية وليس لمجرد ضمان السيطرة على الأعضاء والاكتفاء بتنفيذهم للتعليمات والأوامر، وكذلك سعى لأن تكون الانتخابات داخل الحزب وعلى كافة مستوياته حقيقية وتعبر عن إرادة الأعضاء وليست صورية أو شكلية.

ولكن التحولات الأهم التى يعود الفضل فيها إلى «بينج» كانت فى المجال

الاقتصادى، والتى كانت لها بدورها تداعياتها على مجالات البحث العلمى والتطوير التكنولوجى وكذلك كانت لها دلالات تشريعية وقانونية وانعكاسات على مجمل المشهد الاجتماعى الصينى، حيث بدأ حزمة سياسات جمعت ما بين تبنى الانفتاح الاقتصادى من جهة وبناء عدد من المناطق الحرة فى مختلف أنحاء الصين، خاصة فى الشرق، بشكل ممنهج ومخطط وعلى مدى زمنى طويل وممتد، من جهة ثانية، كذلك كان هو من أطلق شعار «سياسات نظام السوق الاجتماعى»، من جهة ثالثة، والتى كانت إسهاماً نظرياً مهماً فى تطورات نظريات علم الاقتصاد فى حينه، كما كان هناك الدفع بأن النظرية الماركسية فى أساسها اعتبرت أن الاشتراكية لا يمكن أن تتحقق إلا فى حالة وصول النظام الرأسمالى إلى أقصى مراحل تقدمه وبالتالى تتحقق «الوفرة» المطلوبة حتى يتم التحول إلى الاشتراكية ثم إلى الشيوعية. ومن ثم أرسى الزعيم المحدث «دينجزياو بينج» معالم عهد جديد جمع على مدار أربعة عقود تقريباً ما بين التمسك بالأيديولوجية الماركسية اللينينية، بخصوصياتها الصينية المستقرة منذ زمن الزعيم المؤسس «ماو»، ومع السعى للتطوير المستمر لتلك الأيديولوجية لمواكبة احتياجات المجتمع الصينى المتغيرة ومتطلبات العصر المتحولة، وكذلك استمرار السيطرة المركزية للحزب الشيوعى الصينى الحاكم، مع إدخال إصلاحات واسعة بداخله، واعتباره ضمانة وحدة البلاد، مع سياسات الانفتاح الاقتصادى والاعتراف بأهمية الحوافز الفردية والمبادرة الخاصة والإقرار بأهمية التراكم الرأسمالى، مع السعى لتحديث سريع لقطاعات الصناعة والخدمات وتطوير تكنولوجيات تلحق بالغرب، بل ولاحقاً تتفوق عليه فى بعض المجالات، والاستمرار فى تعزيز القوة العددية والنوعية للجيش الشعبى الصينى لضمان الدفاع عن البلاد فى مواجهة أى اعتداء خارجى.

وقد جسد «بينج» طرحه الجريء والطموح لتحديث الصين بدءًا من مطلع عقد الثمانينات من القرن العشرين فيما عرف بـ«التحديثات الأربعة» والتى شملت السياسة، والاقتصاد، والبحث العلمى والتطوير التكنولوجى، والقدرات الدفاعية والعسكرية. وبدأ «بينج» بالفعل فى تطبيق هذا التصور خلال قيادته للحزب والدولة، ولكنه حرص بعد انتهاء فترتين فى موقع القيادة على الإصرار على ترك مقعد السلطة، وإن كان بقى الأب الروحى لتلك الإصلاحات الجديدة والشاملة، وإفساح المجال أمام جيل جديد من القادة والكوادر داخل صفوف الحزب الشيوعى فى الصين، وحتى يرسى القواعد الجديدة للعملية السياسية ولكى يضرب المثل لمن بعده فى احترام قواعد اللعبة السياسية، التى كان هو المساهم الأهم فى وضعها فى المقام الأول، وعدم السعى لتطويعها لخدمة أية مصالح شخصية.

وهكذا رأينا وعرضنا فى إيجاز فيما تقدم لدور شخصيتين تاريخيتين بارزتين فى تاريخ الصين الحديث والمعاصر لعبا دوراً مركزياً، وساهما بالتأكيد فى صنع التاريخ، لشعب الصين، ذلك البلد صاحب الحضارة العريقة وصاحب الإسهام فى إثراء مسيرة التقدم البشرى منذ فجر التاريخ الإنسانى، وهما الزعيم الراحل المحرر والمؤسس «ماو زى دونج» والزعيم المحدث الراحل «دينجزياو بينج»، وقدمنا بشكل سريع لمحطات ومواقف مهمة فى حياة هذين الزعيمين ولقرارات اتخذاها وكان لها أعمق الأثر فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشعب الصينى، وهو ما كان له تأثيراته على الأقاليم التى تعتبر الصين جزءًا منها، وعلى النظام الدولى وتاريخ العالم بأسره.

جمهورية الصين فى عيدها السبعين

تحتفل الصين فى الأول من أكتوبر 2019 بمرور 70 عاماً على إعلان الرئيس ماو تسى تونج قيام جمهورية الصين الشعبية.

مرت هذه الجمهورية منذ تأسيسها بعدة مراحل، يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى فى الفترة -1949 1978وجرى أثناءها القضاء على النظام الإقطاعى القديم والبدء فى بناء مجتمع اشتراكى جديد. والمرحلة الثانية فى الفترة -1978 2012 وهى فترة سياسة الإصلاح والانفتاح التى وضع أسسها الزعيم الصينى دنج شياو بنج، وقامت الصين أثناءها بإصلاح اقتصادها والانفتاح على العالم الخارجى وحققت نتائج باهرة وصلت بها إلى أن تكون ثانى أكبر اقتصاد فى العالم.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

والمرحلة الثالثة بدأت فى عام 2012 عندما تولى الرئيس شى جين بينج السلطة وأعلن عن السعى لتحقيق الحلم الصينى الذى يتلخص فى «إنجاز بناء دولة اشتراكية حديثة غنية وقوية وديمقراطية ومتحضرة ومتناغمة بحلول الذكرى المئوية لتأسيس الصين الجديدة» أى بحلول عام 2049، وكذلك «إنجاز بناء مجتمع رغيد الحياة بحلول الذكرى المئوية لتأسيس الحزب الشيوعى الصينى.

تواجه الصين حالياً ثلاثة تحديات أساسية ومترابطة:

التحدى الأمريكى

تواجه الصين محاولات الولايات المتحدة وهى القوة العظمى المتفوقة والمسيطرة فى العالم منذ سقوط الاتحاد السوفيتى فى عام 1991، ومحاولة هذه القوة مواصلة التفوق والهيمنة. وقد انشغلت الولايات المتحدة منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 فى محاربة الإرهاب وفقاً لمفاهيمها، وهى نفس الفترة التى بدأ فيها وضوح الصعود الصينى القوى والسريع. وعرض الرئيس الأمريكى باراك أوباما فى فترة رئاسته الأولى التى بدأت فى عام 2009 اشتراك كل من الولايات المتحدة والصين فقط فى إدارة شئون العالم، ولكن الصين رفضت هذا العرض على أساس أنها لا تدخل فى تحالفات وإنما تتعاون مع الجميع. واستمر الرئيس أوباما فى السياسة الأمريكية القائمة على الانخراط والتعامل مع الصين الصاعدة، وهى سياسة كان يؤيدها الكثيرون فى الولايات المتحدة ومن أبرزهم وزير الخارجية الأسبق هنرى كيسنجر، وعبر عنها فى كتابه «عن الصين».

عرض الرئيس الصينى شى جين بينج فى عام 2013 أن تبنى الدولتان نمطاً جديداً من علاقات القوى الكبرى لتجنب النزاع والمجابهة اللذين سادا فى علاقات القوى الكبرى فى الماضى.

وبتولى الرئيس دونالد ترامب الرئاسة فى عام 2017 أصبح واضحاً أن سياسة الانخراط مع الصين لم تؤد إلى دفعة قوية للاقتصاد الأمريكى، بل استمر الصعود الصينى القوى والسريع فأصبح الاقتصاد الصينى ثانى أكبر اقتصاد فى العالم بعد الولايات المتحدة وتفوق بذلك على اليابان وألمانيا وغيرها من الدول المتقدمة.

لهذا اتجهت الآراء فى إدارة الرئيس ترامب إلى أنه حان الوقت لاستخدام قوتها وقدراتها المختلفة والتى استثمرت فيها الكثير على مر السنين لتحقيق أهدافها التى تقدر أنها ملحة وأهمها التفوق على الصعود الصينى بل وتحجيم قوة وسرعة الصعود الصينى. وهكذا اتجهت إدارة الرئيس ترامب إلى « المواجهة» مع الحلفاء والمنافسين من أجل فتح كل الإمكانيات أمام الولايات المتحدة لكى تحقق هى نفسها تقدماً قوياً وسريعاً تظل به «قائدة العالم» والقوة المهيمنة عليه، إيماناً منها بنظرية سيادة السلام فى العالم فى وجود قوة عالمية واحدة مهيمنة hegemon، ولذا بدأت عدداً من السياسات أهمها:

1 – توفير كل الظروف لانطلاق الاقتصاد الأمريكى بقوة وسرعة والتخلص من قيود الاتفاقيات التى تقدر أنها تعرقل أو تقيد أو لا تفيد الانطلاقة الأمريكية (مثل بعض الاتفاقيات الخاصة بالتجمعات الاقتصادية – اتفاقية باريس للمناخ – عضوية اليونسكو – اتفاقية الصواريخ متوسطة المدى مع روسيا.... إلخ).

2 – دعم التقدم التكنولوجى والعسكرى للولايات المتحدة وإنشاء قيادات خاصة بالأمن السيبرانى وأمن الفضاء، وقد حجمت الولايات المتحدة أعمال شركة هاواوى الصينية فى مجال تكنولوجيا الاتصالات خاصة الجيل الخامس.

3 – الانتقال من إعطاء الأولوية لـ«الحرب ضد الإرهاب» إلى الأولوية لـ«مواجهة المنافسين» وأهمهم الصين، ويستتبع ذلك تخفيف التوترات فى

جمهورية الصين فى عيدها السبعين

مختلف مناطق العالم إلى الحد الذى لا يضطر الولايات المتحدة إلى التدخل بالقوة، مع التركيز على التواجد الأمريكى فى شرق آسيا ومنطقة الإندوباسيفيك.

4 - توسيع دور حلف الناتو جغرافياً ونوعياً وتوزيع المهام والأدوار على الحلفاء التقليديين للولايات المتحدة لإدارة وللتدخل فى الصراعات فى مناطق العالم المتوترة، مثل إعطاء دور أكبر لبريطانيا فى منطقة الخليج (إقامة قواعد - تحالفات)، ودور أكبر لفرنسا فى إفريقيا (محاربة الإرهاب)، ومحاولة تمديد أنشطة حلف الناتو فى أمريكا اللاتينية (طرح وزير خارجية البرازيل فكرة قاعدة عسكرية للولايات المتحدة فى البرازيل واقترح الرئيس ترامب إقامة علاقات حلفاء الناتو مع البرازيل)، واشتراك قوات أمريكية وأوروبية فى حروب ضد الإرهاب فى ليبيا ومالى والصومال وسوريا.. إلخ، ومقترح إنشاء «الناتو» العربى.

5 - إقامة تحالفات للحد من نفوذ الصين أو خوفاً من توسعها مثل إقامة قيادة موحدة للجيش الأمريكى فى منطقة المحيطين الهادئ والهندى تحت مفهوم «المحيط الإندوباسيفيكى»، ودعم التعاون العسكرى الرباعى Quad (الهند - أستراليا - اليابان - الولايات المتحدة) خاصة فى المجال البحرى لخشية الهند من التواجد الصينى (طريق الحرير البحرى) فى عدد من موانىء المحيط الهندى (يطلق عليه اسم «عقد اللؤلؤ»).

6 - مساندة الأطراف المقابلة أو المتنازعة مع الصين فى عدد من القضايا أو الخلافات وأهمها تايوان وجزر بحر الصين.

7 - «فك الارتباط» بين الاقتصاد الأمريكى والاقتصاد الصينى تدريجياً بهدف تقليل تأثير الاقتصاد الصينى على الاقتصاد الأمريكى وحتى لايكون رهينة لتذبذب العلاقات بين البلدين وكذلك لتقليل الفوائد التى يتحصل عليها الاقتصاد الصينى، وهذا واضح فى الحرب التجارية بين البلدين، وحرب العملات والإعلان عن النية فى شطب بعض الشركات الصينية من البورصات الأمريكية.

الحزام والطريق

والتحدى الثانى هو استمرار ونجاح أهم مشروع صينى مطروح وجارى العمل به فى الساحة الدولية (ومشهور باسم طريق الحرير الجديد) وحقق كثيراً من النجاح، ويركز على تنمية وتشييد البنية التحتية للدول المشاركة (65 دولة)، وخصصت له الصين مئات المليارات من الدولارات لتنفيذه.

ولكن يوجد تخوف عالمى من أن يتحول الصعود الصينى إلى هيمنة فى المستقبل. ويبدأ هذا الخوف من الدول المجاورة للصين سواء المتنازعة معها فى بعض المسائل المشار إليها عاليه أو دول آسيا الوسطى المجاورة لها خشية دخول الصين فى التنافس الجارى بين روسيا والولايات المتحدة للتواجد القوى أو العسكرى فى هذه الدول (وقد توصلت الصين إلى اتفاقيات تحديد الحدود مع 16 دولة مجاورة لها).

إن الأهداف الأساسية من طرح الصين لمبادرة الحزام والطريق كانت تنمية غرب الصين، وإيجاد تعاون مع دول وسط آسيا لتنمية البنية التحتية (وهذا يدفع إلى زيادة وسهولة التبادل التجارى بين الجانبين) ومن ناحية أخرى زيادة التعاون مع دول جنوب شرق آسيا بما يقضى على التخوف من الصعود الصينى. ولكن من الواضح أن الدول الغربية ترى أن هذه المبادرة سوف تؤدى إلى هيمنة صينية فى منطقة جنوب شرق آسيا على وجه الخصوص، وأن الدليل على ذلك تصرفات الصين تجاه مشكلة بحر الصين الجنوبى وإقامتها لبعض المنشآت فى جزر متنازع عليها. ولكن الصين تذكر أنها لا تقوم بإجراءات إلا داخل حدود مياهها الإقليمية والمنطقة الاقتصادية الخاصة بها.

وترى الدول الغربية أيضاً أن هذا المشروع سيؤدى إلى هيمنة الصين على دول العالم الثالث المشاركة فى المشروع، ويستدلون على ذلك بـ«فخ الديون» الذى وقعت فيه بعض الدول الآسيوية والإفريقية (رغم أن الديون المكبلة بها دول العالم الثالث كانت ولا تزال نتيجة لسياسات الدول الغربية والمؤسسات التى تهيمن عليها).

تدافع الصين بأن الغرب يسعى إلى شيطنتها، وأن الصين تتعاون مع الجميع وفقاً للقواعد الدولية ووفقاً لمبدأ الفوز المشترك أو المكسب للجميع win - win cooperation.

وتذكر الصين أن قائد الإصلاح والانفتاح دنج شـــياو بنج أعلن أن الصين لم ولن تكون دولة مهيمنـــة. ورغم أن تاريخ الصين الطويل مرتبـــط بتواجد الدولة الصينية فى الأراضى التى تســـود فيها الثقافة الصينية، فإن الكثيرين يخشون من تغير السلوك الســـلمى للصين إلى الهيمنة أو التوسع فى المستقبل. ولهذا ســـيكون على الصين بذل جهود كبيرة لطمأنة العالم - عن طريق سلوكها أولاً - إلى ســـلميتها وإلى أنها لا توجد لها مطامع خارج حدودهـــا، وإلى فصلها بين التعاون وتوزيع ثماره وبين الرغبة فى السيطرة.

الحلم الصينى

يتمثل التحـــدى الثالث فى إمكانية تحقيـــق الحلم الصينـــى. فمنذ طبقت الصين سياســـة الإصلاح والانفتاح فى عـــام 1978 انطلـــق اقتصادها بقوة وبســـرعة مما أدى إلى مضاعفة الدخل القومى إلى ما يزيد عـــن 16 تريليون دولار، فقد حافظت الصين على نســـب نمو لا تقـــل عن 10٪ ســـنوياً خلال الثمانينات والتســـعينات مـــن القرن الماضى، وعلى نسبة ما لا يقل عن 7٪ سنوياً منذ بداية القرن الحالى. أدى هذا إلى انتشال 800 مليون نسمة من وهدة الفقر، ومن المقرر أن تعلن الصين فى العام القادم 2020 عـــن القضاء على الفقر تماماً فيها.

وتنطلق الصين الآن بعد أن طورت وحدثـــت بنيتهـــا التحتيـــة والزراعة والصناعة والعلوم والتكنولوجيا وجميع قطاعات الإنتاج، ويدعم هذه الانطلاقة اتباع سياســـة الإبداع والابتـــكار التى تتبناها الدولة منذ عام 2014 بما جعل الصيـــن منتجاً مبدعـــاً - وليس مقلداً - كما فى الســـابق، وذلـــك فى جميع المجالات الحديثة.

وتهدف الصيـــن إلى تحقيق الحلم الصينى الـــذى يتمثل فى - كما ذكرت عاليه - إنجاز بناء دولة اشتراكية حديثة وغنية وقويـــة وديمقراطية ومتحضرة ومتناغمة، وتحقيق «رخاء البلاد ونهضة الأمة وسعادة الشعب» وتحقيق مجتمع رغيـــد الحياة بحلـــول منتصف القرن الحالى. وتؤكد الصين أن الحلم الصينى يرتبط بأحلام الشعوب حول العالم بما فيها حلم الولايات المتحدة.

والسؤال المطروح هو: هل تستطيع الصين اســـتكمال مســـيرتها الناجحة وتحقيق الحلم الصينى؟ علماً أنه بجانب المصاعب والتحديـــات الخارجية التى أوضحناها عاليـــه، فإن هناك مصاعب أخرى كثيرة على المســـتوى الداخلى يشـــير إليها الصينيون مثل أن مناطق غرب الصين أقل تقدماً بكثير من شرق الصيـــن لأن تجربة التنميـــة بدأت فى الشـــرق، ويشـــيرون إلى الآثار البيئية الســـيئة الناتجة عن التنمية السريعة، ويشـــيرون أيضـــاً إلى الفـــارق فى مستوى المعيشة بين الريف والحضر، ويشـــيرون إلى انخفاض متوسط دخل الفرد الصينى مقارنة بنظيره فى الدول المتقدمة.

إن كل من رأى الصين قبل الانفتاح أو فى بداياته، ومن يراها اليوم ســـوف يذهل من مدى التقـــدم الذى حدث فى الصين وحياة الصينيين وســـوف يدرك الجهد الخارق الذى بذله هذا الشـــعب لإحداث التنمية. لقد تحولت الصين من دولة متخلفة إلى دولـــة منتجة للعالم كله رغم عبء عدد السكان الضخم الذى تحول إلى قوة منتجة ومبدعة، وقد شهد بهذا القادة والكتـــاب والإعلاميون من الشـــرق والغرب. لقد أصبحت تجربة التنمية الصينية ملهمة لكثير من الدول الناميـــة. فى ضوء ما ســـبق فإنه من المتوقع أن تتغلب الصين على الصعاب وأن تحقق الحلـــم الصينى الذى يهدف إلى التناغم والسلام وبناء مصير مشترك للإنسانية.

حضارتان تتعاونان

بدأت العلاقـــات المصرية الصينية فى النمو بوتيرة أسرع وأشمل منذ عام 2013، ووفر مشروع الحزام والطريق فرصاً كثيرة للدول النامية ومنها مصر لجذب الاستثمارات وزيادة حجم التبادل التجارى مع الصيـــن. وتتعاون الصين مع مصر حالياً فى مجالات كثيرة أهمها بناء العاصمة الإدارية الجديدة والممر الاقتصادى لقناة الســـويس وتحديث الصناعة والطاقة والمواصلات.

ومـــن المتوقع ازديـــاد العلاقات المصرية الصينية قوة لأن ما يتم الآن من مشروعات مشتركة يبشر بفوائد كثيرة للبلدين العريقين.

وســـتحتفل مصر بدورهـــا بعيد الثورة الســـبعين بعد ثلاث سنوات أى فى عام 2022، ونأمل جميعاً أن تحتفل مصر بإنجاز وضع أسس تحقيق الحلم المصرى فى السلام والرفاهية.

الأزمة الإيرانية الأمريكية وأرامكو إلى أين؟ (4)

إلحاقاً لمقالتنا الثالثة فى هذا الشـــأن ففى رأيى أن عمليات الشد والجذب بكافة أنواعها وتطوراتها من التوتـــر والحوار بين الولايات المتحدة الأمريكية من جانب والجمهورية الإســـلامية الإيرانية من جانب آخر تدور فى غمار أزمة الاتفاق النووى الإيرانى وما لذلك من تأثير على العلاقات الإيرانية الأمريكية وأمن الخليج والأزمة اليمنية وأســـعار النفط وغير ذلك. ومن أهم الاعتبارات المؤثرة على تلك الأزمة فى المرحلة الحالية ما يلى:

سفير د. يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

- اســـتمرار الأزمة المحدقة والمؤلمة فى اليمن بـــل وازدياد آثارهـــا الكارثية والإنســـانية والدفع نحو تحقيق التقسيم وعمليـــات الانفصال فى الجنـــوب اليمنى من خلال المجلس الانتقالى لجنوب اليمن وغيـــره، وعـــدم تنفيذ اتفاق اســـتكهولم بشـــأن الحديدة، وظاهرة انتشار استخدام الطائرات المســـيرة وآثارها الخطيرة على أمـــن الخليج والنزاع العربى الإســـرائيلى والأزمات فى الشرق الأوسط وغير ذلك.

- يتصل بذلك التطور غير المســـبوق على صعيد المملكة العربية الســـعودية، وهو الاعتداء على منشأتى البترول فى بقيق وخريص المملكة والذى يعتبر فى تقديرى نقلة نوعية ونقطة تحول خطيرة فى إطار أزمة الاتفـــاق النـــووى الإيرانى فى ضوء ما ذكره الســـيد عادل الجبير وزير الدولة للشـــئون الخارجية السعودى ٢١ سبتمبر أن الهجوم الإرهابى على منشـــآت شركة أرامكو بالســـعودية ١٤ ســـبتمبر ٢٠١٩ اســـتهدف أمن الطاقة فى العالم. موضحاً أن التحقيقات ســـتبرهن على أن الهجمات تمت بأسلحة إيرانية وانطلقت من الشمال وأن إيران هى المســـئولة. وأضاف السيد الجبيـــر ٢١ ســـبتمبر ٢٠١٩ أن المملكة العربية السعودية ستتخذ الخطوات اللازمة للرد على الهجوم على حقلى بقيق وخريص إذا أثبتت التحقيقات مسئولية إيران. وعلى الجانب الآخر فقد جددت إيران ٢١ سبتمبر ٢٠١٩ نفيها التورط فـــى الهجمات على منشآت آرامكو.

- هذا ويلاحظ أن الاعتداء على معملى بقيق وخريص بالمملكة العربية السعودية قد أصاب أكبر معامل البترول فى المملكة وفى العالـــم، وأدى إلى اشـــتعال حرائق كبيرة وإلحاق أضرار جســـيمة مما أسفر عن خفض الإنتاج لأكبر مصدر للبترول فى العالم إلى النصف بوقف 5.7 مليون برميل يومياً وأثر على الاقتصاد العالمى.

- تجدر الإشـــارة إلى أن مبعوث الأمم المتحدة بشـــأن اليمن مارتن جريفث قد رحب ٢٢ سبتمبر ٢٠١٩ بمبادرة الحوثيين التى وردت على لســـان مهدى المشـــاط رئيس المجلس السياسى الأعلى فى اليمن، بوقف هجماتهم على السعودية بالصواريخ والطائرات المسيرة إذا حذا التحالف حذوها على حد تعبيره.

- تزامن ذلـــك مع تشـــديد الولايات المتحدة عقوباتها على إيـــران ومن بينها فـــرض عقوبات علـــى البنـــك المركزى الإيرانى التـــى ندد وزير الخارجية الإيرانى محمد جـــواد ظريف بفرضهـــا ووصفها بأنها محاولة لحرمان المواطنين العاديين الإيرانيين فى إيران من الغذاء والدواء.

- تأتى تلك التطـــورات الخطيرة فى الوقت الذى تنشـــط فيه دبلوماسية عمان الحكيمة من آن لآخر فى إطار محاولة حل تلك الأزمة ومن ذلك زيارة بن علوى لطهران ٢٧ يوليو ٢٠١٩.

- أنه فى هذا الإطـــار أيضاً يأتى دور فرنسا النشط والمتواصل لتقريب وجهات النظر بين واشنطن وطهران ومن مؤشرات ذلك زيـــارة وزير خارجية إيـــران محمد جواد ظريف أثناء اجتماعات قمة مجموعة السبع بشكل مفاجئ فى مدينة بياريتس، وكشف مصدر فى قصر الرئاسة الفرنسى «الإليزيـــه» أن ظريف أجرى، فور وصوله، محادثات مع نظيره الفرنسى، جان إيف لو دريان، وكانت قمة مجموعة الدول الصناعية السبع قد استمرت على مدى ثلاثة أيام من 24 إلى 26 أغســـطس ٢٠١٩ ببياريتس، وذلك بمشاركة الرئيس عبدالفتاح السيسى، ممثلًا لمصر والاتحاد الإفريقى، بعد دعوة مصر لحضور القمة. ومازالت تتواصل تلك الجهود المضنية من جانب فرنسا لحل تلك الأزمة.

- تسعى إيران إلى اتخاذ خطوات ولو مرحلية للعـــودة إلى الاتفاق النووى مقابل رفع العقوبات دون تكرار سيناريو لقاءات ترامب- كيم كونج رئيس كوريا الشـــمالية غير المثمرة بشكل معلن حتى الآن.

- إنـــه فى إطار تلـــك الأزمة فقد ذكر مســـاعد وزير الخارجية الإيرانى للشئون السياسية سيد عباس عراقجى، الذى ترأس الوفد الإيرانى خلال الاجتماع الطارئ للجنة الاتفاق النووى فـــى فيينا فى إطار الوكالة الدولية للطاقة الذريـــة ٢٨ يوليو٢٠١٩، حيث ذكر أن إيران ستواصل عملية خفض تعهداتها فى إطار الاتفـــاق النووى حتى تتحقق مطالبها للوكالة.

يتزامن ذلك مع نشـــر تقرير إعلامى للوكالة ٣٠ أغسطس ٢٠١٩ مفاده أن إيران تجاوزت الحدود المســـموح بها لتخصيب اليورانيوم وفقاً للاتفاق النووى إذ وصلت كمية اليورانيـــوم منخفض التخصيب إلى ٢٤١.٦ بينمـــا من المفترض أن تكون عند حدود ٢٠٢.٨ كيلو جرام كما وصل مستوى التخصيـــب إلى ٤.٥٪ علـــى الرغم من أن الاتفاق يقضى بأن يقف عند حدود ٣.٦٧٪.

- أنه من الاعتبـــارات المهمة المتصلة بتلك الأزمـــة إطلاق إيران ٢٥ يوليو ٢٠١٩ صاروخاً باليســـتياً من طراز شـــهاب ٣ متوســـط المدى يصل مداه حوالى ١٠٠٠ كيلو متر، فى مرحلـــة الاختبار ويؤثر ذلك على الأوضاع والأمن فـــى منطقة الخليج والشرق الأوسط.

- تتزامـــن عملية تصعيـــد العقوبات الأمريكية على طهران مع توسيع إسرائيل لعملياتها فى المنطقة فى ســـوريا ولبنان وغير ذلك وما يعنيه ذلك من رسائل تتصل بتلك الأزمة ودور إيران فى المنطقة.

- كما أن تلـــك التطـــورات المتعلقة بالتطور فى العلاقـــات الإيرانية الأمريكية تأتى وســـط إعـــلان الولايـــات المتحدة الانسحاب رســـمياً من معاهدة الصواريخ متوســـطة وقصيرة المـــدى الموقعة مع روسيا عام ١٩٨٧ (جورباتشوف - ريجان) وتوقيع ترامب ٢ أغسطس٢٠١٩ على قرار

بفرض عقوبات اقتصادية جديدة على روسيا بحجة انتهاكها قانون عام ١٩٩١ الخاص بالرقابة على الأسلحة الكيميائية والبيولوجية ومنع استخدامها.

- كما أن فرض الولايات المتحدة عقوبات على وزير الخارجية الإيرانى يأتى فى إطار الضغوط والعقوبات الأخرى لفرض عزلة دولية على تحركات إيران الدبلوماسية النشطة على الساحتين الإقليمية والدولية فى إطار عمليات التصعيد المتبادل بين واشنطن وطهران على مستويات متعددة كما أن إيران تهدف إلى رفع مستوى صادراتها التى انخفضت إلى حوالى ١٠٠ ألف برميل يومياً منذ يوليو ٢٠١٩ بعد أن كانت تبلغ حوالى 2.5 مليون برميل يومياً قبل فرض تلك العقوبات مما أدى حالياً إلى اتخاذ خطوات تتعلق بزيادة كمية اليورانيوم منخفض التخصيب ورفع مستواه.

- كما أن ملامح الحرب التجارية بين واشنطن وباريس بفرض ضرائب أمريكية على النبيذ الفرنسى مقابل شركات التكنولوجيا الأمريكية العملاقة مثل جوجل وفيسبوك ومايكروسوفت وغيرها ليست سوى تكرار للحرب بين واشنطن والصين المؤلمة فى المجال التجارى ولها بالطبع آثارها الاقتصادية والسياسية وقد ينذر ذلك بحرب تجارية أمريكية مع الاتحاد الأوروبى باستثناء لوكسمبورج وإيرلندا.

- هبوط اليوان الصينى لأدنى مستوى منذ ١١ عاماً وفى أسعار النفط والحديد بسبب فرض رسوم جمركية جديدة من جانب الولايات المتحدة واتخاذ الصين إجراءات اقتصادية جديدة ضد الولايات المتحدة تؤثر على واشنطن والاقتصاد العالمى والأوضاع فى الخليج والأزمة الإيرانية الأمريكية.

- إعادة تصعيد وإنتاج ولفت الأنظار للصراع على جامو وكشمير الذى تصاعد عدة مرات ونشبت بين باكستان والهند حروب مختلفة وكان الاتحاد السوفيتى قد ساعد فى السبعينات والثمانينات الهند سراً على تصنيع وامتلاك القنبلة الذرية لتكون عامل إشغال بالنسبة للصين. وقد ردت باكستان على امتلاك القنبلة الذرية لتهديد الهند. ويبقى السؤال وهو لماذا فى هذا التوقيت بالذات تلغى الهند مادة فى الدستور لإنهاء الحكم الذاتى للأكثرية المسلمة فى جامو وكشمير غير عابئة بما قد يترتب عليه من اندلاع لعنف طائفى قد يمتد لاشتباكات مسلحة مع باكستان، رغم أن النص عليه فى الدستور الهندى كان مشروطاً من بريطانيا قبل الجلاء عن الهند وأيضا بتوافق من منظمة الأمم المتحدة. ومن بين تلك الإجابات يمكن القول إن التوقيت مناسب بسبب الانشغال الدولى بأزمة النووى الإيرانى والتوتر المتصاعد بين واشنطن وطهران وأيضاً الصراع المتزايد بين القطبين الاقتصاديين العالميين وهما الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشعبية وأيضاً بسبب تنامى الاتجاه الشعبوى المتصاعد فى الهند والمتمثل فى رئيس الوزراء مودى.

- المناورات البحرية الإيرانية الأخيرة فى الخليج ومضيق هرمز وما تقدمه فى رأيى من رسائل إلى اللاعبين الدوليين والإقليميين وكذا إلى الداخل الإيرانى من قدرات إيران البحرية والإلكترونية والصاروخية فى الرد وأيضاً لمواجهة تلك الأزمة وزيادة التوتر فى الشرق الأوسط.

- أزمة هونج كونج وانعكاساتها على علاقات الولايات المتحدة وبريطانيا من جانب والصين من جانب آخر وتأثير ذلك على دور الصين فى أزمة الاتفاق النووى الإيرانى.

- الخلاصة أن عمليات الشد والجذب بكافة أنواعها وتطوراتها تسير بخطى متسارعة من التوتر ولكن مع جهود تبذل فى إطار الحوار بين الولايات المتحدة الأمريكية من جانب والجمهورية الإسلامية الإيرانية من جانب آخر خاصة من جانب فرنسا وعمان.

- إن تلك الأزمة تدور فى غمار أزمة الاتفاق النووى الإيرانى والعقوبات المتصاعدة من جانب الولايات المتحدة ضد إيران والتوتر المحكوم والمحسوب فى تقديرى حتى الآن فى العلاقات الإيرانية الأمريكية والسيطرة على أمن الخليج وذلك على الرغم من انعكاسات الاعتداء على شركة أرامكو فى المملكة العربية السعودية والجارى التحقيق بشأنه حتى الآن.

وفى ضوء ما تقدم وما كشفته أزمة الاتفاق النووى الإيرانى وآثارها وما تم الكشف عنه على الصعيد العملياتى والاستخباراتى من تقدم فى المجالات العسكرية خاصة فى مجالات الدفاع الجوى والصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة والعمليات التدميرية النوعية والخطيرة، فإن الحل السلمى لتلك الأزمة هو الأساس حتى لا تتعرض المنطقة ودول الخليج وإسرائيل لاحتمالات أخطار وفوضى بدلاً من استغلال عمليات إشعال تلك الأزمة وإجراء توسعة خطيرة بالمنطقة بسببها لتهيئة الأجواء والأرض لتنفيذ سايكس بيكو ٢..

إن تفعيل أدوار منظمة الأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية وجامعة الدول العربية والاتحاد الأوروبى يكتسب أهمية كبيرة لحل أزمة الاتفاق النووى الإيرانى من خلال آلية الحوار مع إيران، التى دعا إليها السيد الأمين العام السابق للجامعة عمرو موسى، مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة تطبيق احترام مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول، وحل النزاعات بالطرق السلمية، واحترام ميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولى فعلاً وليس قولاً فقط بهدف حل أزمة الولايات المتحدة مع إيران على غرار ما تم قبل ذلك من حل أزمات دولية وإقليمية محدقة مثل الأزمة الفيتنامية الأمريكية وأزمة كوبا، مع أهمية استمرار الدور الفرنسى النشط والممتد حالياً والدور العمانى الحكيم وغير ذلك من أجل تقريب وجهات النظر للحل الدبلوماسى لأزمة الاتفاق النووى الإيرانى، ودفع الجهود اللازمة لتنفيذ المبادرة المصرية لجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من جميع أسلحة الدمار الشامل مع تطبيق ذلك على جميع دول المنطقة دون تمييز فعلاً وليس قولاً.

رعاية الطفولة والانتماء الوطنى

يبدو أنه قدر على الجيل الأوسط الحالى الحامل لواء المسئولية، أن يحمل حملين كلاهما كبير، أولهما القيام بواجب الوفاء والرعاية لجيل سابق أعطى ما وسعه العطاء، ولم يعد فى مقدوره إلاّ أن يسند ظهره إلى بنيه، جيل اليوم، وأن يفىء إلى ظلهم ويخلد إلى واجب قيامهم بما ينبغى عليهم إزاءه، والثانى جيل قادم.. فلذات أكبادنا: أطفال اليوم، وعمد الغد.. الذين انفتح الستار من عدة سنوات على غير ما نتوقع على مشهد مأساوى بالغ المرارة يورى بأننا لم نحسن التحضير لمن أتينا بهم إلى الحياة، لا خططنا كما يجب، ولا رعينا وبذلنا كما يرعى ويبذل أهل الجد والالتزام وأصحاب الاستبصار بأن الأمم كالأفراد، هما معاً حاصل بناء طويل عريض، لا بد له من أساس، ولا بد بعده من بناء شامل بعرض مطالب وتحديات الحياة، فى النفس والبدن والعقل والعلم والمعرفة..

رجائى عطية

rattia2@hotmail.com

خلدنا إلى الصورة المريحة التى قد نراها فى بعض المدارس والمعاهد الخاصة هنا وهناك، وعلامة النعمة التى نطالعها فى أبناء وبنات السراة والأثرياء فى النوادى والمقاهى والمنتديات وبعض المعاهد والجامعات الخاصة التى أخذت تزاحم الجامعات العامة وتسحب البساط من تحتها، لا يعنيها مثلما لم يعننا أكوام الأطفال التى صارت تتعاطى البؤس والشقاء والتعاسة فى الشوارع والطرقات، وتتلقى ضربات الجانحين هتكاً واغتصاباً وتقتيلاً، أو تقع فى أحضان تجار ومروجى المخدرات وأشباههم فى قاع المدينة، أو تسقط فى براثن الإرهاب الذى يغذيه اليأس وتراكم الشعور بالضياع واللاّ جدوى!!

ليس بوسع أحد أن يشيح أو يعرض عن الكوارث المحيقة بقطاع كبير من أطفالنا الضائعين فى الشوارع وغيرها.. ربما يقفز إلى الذهن فور التأمل فى المشكلة والبحث عن حل يقى هؤلاء الأطفال من الضياع ومن المحن التى يتعرضون لها، أن عمالة الأطفال ربما كانت طوق نجاة وبديلاً لاغناء عنه لحماية أطفال الفقراء مما يتعرضون له من أهوال. وربما كان هذا صحيحاً بقدر أو بآخر. تقول دراسات منظمة العمل الدولية أنه مع ندرة تشغيل الأطفال فى الدول الغنية، فإن الطلب يزداد على تشغيلهم فى الدول الفقيرة أو النامية (لجبر الخاطر!)، وأن ذلك قد يساهم بقدر أو بآخر فى حمايتهم من التشرد وتعرضهم لأهوال العصابات وأوكار الفساد، ويحقق فى ذات الوقت دعماً لدخل الأسر الفقيرة يساعدها على معالجة مشاكلها الاقتصادية.. إلاّ أن ذلك مع ما فيه من منطق، لا يقدم إلاّ مسايرة المشكلة والتماشى معها، ولكنه لا يقدم لها حلاً يوقف زحفها أو يقلص مضاعفاتها، بل إن إطلاق تشغيل الأطفال قد يشجع الفقراء على المزيد من الإنجاب طلباً لهذه العمالة- اللا إنسانية!- ما دامت ترفع دخل أو مستوى الأسرة!

بالاستسلام والمسايرة تزداد المشكلة تعقيدًا، وتتراكم آثارها، ويمضى الانفجار السكانى بلا عقل ليقذف إلى المجتمع بأبرياء يعانون البؤس والتعاسة والضياع، ويصيرون بصورة أو بأخرى نهباً لذئاب بشرية بالطبع والسليقة أو بحكم ضغط الظروف التى اجتاحت قاع المدينة!

لعل الأوجب من استسهال التسليم والانصياع لما نحن فيه والاكتفاء بمنطق المسكنات، أن نواجه المشكلة مواجهة عريضة تحيط بالأسباب والجذور، وتقدم العلاج والحلول، وتتبنى فيما تتبناه تنوير العامة والبسطاء أن «الخلفة» وكثرة الإنجاب، ليست بذاتها مجالاً للتباهى، أو بابًا حكيمًا لزيادة أعداد العاملين فى أسر تدفعها الحاجة إلى تشغيل صبيتها وأطفالها بحثًا عن موارد للحياة، وإنما تكون المباهاة بالنوع والكيف وبما تنجح الأسر والمجتمعات أو تخفق فيه، فى رعاية وحسن تنشئة وتعليم وتثقيف وتأديب وصقل من نقذف بهم إلى خضم حياة لم تعد ترحم، وأوكار انحراف أو فساد أو إرهاب لا يعنيها إلاَّ مآربها الضيقة وليذهب كل شىء عدا ذلك إلى الشيطان.. فلا شىء يهم!

أخطر ما يقع فيه الأفراد والجماعات، الإخلاد إلى إلف العادة أو الاعتياد، وضمور ملكة الالتفات والتفطن والتأمل فيما يجرى ويدور من حولها.. لولا هذا الإلف والاعتياد ما فاجأتنا أنباء الكوارث التى أزاحت المصادفات الستار عنها، فإذا من خلفه مآسٍ تنفطر لها القلوب على ما يجرى لأطفالنا فى الشوارع والحوارى والأزقة، وفى أنفاق ومحطات وخطوط القطارات، انصرفنا باللا وعى عن التنبه لها والالتفات إليها، لأننا تصورنا أن الحلول توضع على الأوراق.. ألم نضع فى المادة/10 من دستور 1971 أن الدولة «تكفل حماية الأمومة والطفولة وترعى النشء والشباب وتوفر لهم الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم»؟!، وأصدرنا قانون الطفل (12/ 1996) ولائحته التنفيذية، ووضعنا منظومة متكاملة لرعاية الطفولة والأحداث، شملت فيما شملت قانون العمل (137/

1981)، وعنينا فى قانون الطفل بتعديل وتطوير مـــواده من 143 إلى 150 التى اهتمت بتنظيم تدريب وتشغيل الأحداث، وضمنا القانون مواد بالغة الالتفات إلى مطالب وشروط تشـــغيل الأحداث سواء من ناحية السن أو ساعات العمـــل أو الراحـــات والأجـــازات أو ضمان صرف الأجر أو المكافأة للحدث نفسه!

الغريب اللافت أننا رغم التفاتنا إلى سن القواعد والقوانين واللوائح والارتفاع بتقنين الحماية والرعاية إلى الدســـتور، إلاَّ أننـــا تراجعنا تراجعًا مخيفًا فى واقع الحياة الملىء بالعديـــد من «الثغرات» التى يتســـلل منهـــا الجانحون وطلاب الهوى والأغـــراض والمـــآرب الذين لا يتركون فرصة دون اســـتغلال الأطفال أسوأ اســـتغلال ودفع من يقع منهم إلى أوكار الرذيلة ومواخير الفســـاد وأسواق المخدرات، واتخاذ البؤس والفقر والإملاق عنصر جذب للتسول الذى صار صناعة، تنهض عليها عصابـــات تتلقف أطفال الشـــوارع والأزقة، لتدربهم فى مدارس احتراف التسول، وتستكمل لهم الصورة حتى وإن اقتضـــت اقتلاع أو بتر أعضاء لمزيد من استدرار الشفقة والإحسان!

ما أصاب ويصيب أطفالنا يحتاج إلى وقفة تأمل ومراجعة، ترصد بعين العقل وتعالج بمنطق الحكمة، وتدرك أن هنـــا مكمن الخطر الحقيقى، والأمل أيضًا فى إشراقة صباح!

رعايـــة الطفولة، ليســـت محض عاطفة إنســـانية، وإنما هى رؤية عاقلة مستبصرة بمصير ومستقبل الوطن.. من قصور الفهم والإدراك أن نحصر العناية بالطفولة فى جوانبها الإنسانية، وهى بلا شك جديرة بكل عناية ورعاية، وإنما هى تصب أيضاً فى بناء الأمم، فالأطفال هم عماد المستقبل، وعلى صفحتهم النقية تبذر من البدايـــة بذور الانتماء الوطنى، وتســـتمر مرعية موصولة مع رعايتهم والعناية بهـــم فى مراحـــل طفولتهم فصباهـــم ففتوتهم حتـــى يبلغوا مبلغ الرشد ويتأهلوا للإسهام فى صنع الحياة والقيام بأمانة الوطـــن الذى احتضنهم وكفلهم ورعاهم حتى هيأهم لما يأمل أن يضطلعوا به!

مـــن اللافت أننا كنا أكثـــر اهتماماً ورعايـــة للطفولة والأطفـــال وتراحم المجتمع من قبل أن نشـــرع ما شرعناه فى الدستور وفى مجموعة القوانين التى أحاطـــت بالطفل والحـــدث من جوانب عديـــدة لا ينقصها إلاَّ تجـــاوب آليات المجتمـــع والناس مـــع المنظومة التى وضعنـــاها علـــى الأوراق.. ليس مجرد نزوع أو حنين إلـــى الماضى أن نتذاكر ما كان عليه أسلافنا من اهتمام بالطفولة والأطفـــال، وعناية اســـتمدت جذورها وسقفها من المنظومة الدينية والأخلاقية والمجتمعية التى كانت إسهام المجتمع برمته- مع الأســـرة- فى رعاية وتنشئة وكفالة وصناعة الأجيال، وتعطى الطفولة حقها الأكبر فى هذه الرعاية التى عاشت فى وجدانات عامة الناس، وفى نســـيج أعمال المفكرين والأدباء والشعراء..

رأينا أمير الشـــعراء أحمد شـــوقى لا يـــكاد يعجب إعجابًا شـــديدًا بصوت وشـــدو الطفل محمد عبدالوهاب حتى يغلبه الإحساس بالواجب إزاء الطفولة- على متعة الاســـتماع، فينهى الطفل عن الغناء والتردد على الملاهى فى طفولتـــه الغضـــة، ويظـــل يرعـــاه ويـــرعى موهبتـــه حتـــى

لا يكاد موســـيقار الأجيـــال محمد عبدالوهاب يتحدث حديثاً إلاَّ ويذكر فيه بالفضل والعرفان أمير الشعراء..

على تنوع أغراض الشـــعر وكثرة شواغله وهمومه فى الثلث الأول من القرن الماضى، نرى شاعر النيل حافظ إبراهيم ينظم قصيدة بعنوان «رعاية الأطفال»، ينشدها بنفســـه فى الحفل الذى أقامته جمعيتها بالأوبرا فـــى 8/ 4/ 1910.. يستهلها شادياً:

شبحـاً أرى أم ذاك طيف خيال لا
بل فتاة بالعراء حيالى
أمست بمدرجة الخطوب فما لها
راع هنا وما لها من وال
واصفًا إحـــدى اللاجئات إلى دار الرعاية:
ما خطبها وما خطبى بها؟ مالى أشاطرها الوجيعة مالى؟
قـد مـات والدهـا، وماتت أمهـا
ومضى الحمام بعمها والخال
قلـــت انهضى، قالـــت أينهض ميت؟! من قبره ويسير شَنٌّ بالى؟!
فحملـــت هيكـــل عظمهـا
وكأننـــى حملت حين حملت عود خلال
وطفقـــت أنتهـــب الخُطـــا متيممـاً بالليل (دار رعايـة الأطفال)

لـــم تكن هذه القصيدة التى زادت على خمســـين بيتاً محض نبت مناسبة أو مصادفـــة، فنرى شـــاعر النيل يعود إلـــى ذات القضية بقصيدة تحت عنوان: «جمعية الطفل» ينشدها بنفسه فـــى حفـــل جمعية الطفل فى مايو 1928.. يستهلها ناشـــدًا:

أيها الطفل لا تخف عنت الدهر
ولا تخش عاديات الليالى
قيض الله للضعيف نفوسًاتعشق البر من ذوات الحجال
وفى التفات إلى انعكاس قضية الطفل على المجتمـــع برمته يقول

رعاية الطفولة والانتماء الوطنى

شاعر النيل الشادى:

أنقـــذوا الطفل إن فى شـــقوة الطفل شقاءً لنا على كل حال

إن يعش بائساً ولم يطوه البؤس يعش نكبة على الأجيال

كانت هذه الأشـــعار تحتـــل مكانة ملحوظة فـــى المحفوظات الشـــعرية والأدبية فى مراحل التعليم، إلى جوار ما كتبه المنفلوطى عن التراحم فى المجتمع وقوله فيه: «لو تراحم الناس مـــا كـــان بينهـــم جائـــع ولا مهضوم، ولا مظلـــوم ولا مغبون، ولأقفرت الجفون من المدامع، واطمأنت الجنوب فى المضاجع!».. إلى آخر ما كنا نحفظـــه عن ظهر قلب منها ومن قطعة بديعة لبنت الشاطئ ترد فيها علـــى اتهام حواء بالتحول والتقلب بأن الأمومة هى أعز ما فيها، وأن هذه الأمومة تدعوها إلى الاســـتقرار وتواصل العطاء وصناعة الأجيال!

كانت عيون الناس لا تزال على جوهر الدين وقيمه النبيلـــة.. لا تنصرف عنها إلى القشور والهامشـــيات والشكليات.. تســـتوعب كيف اعتنـــى الدين الحنيف بالطفولة والأطفـــال، وتتبعهما بالرعاية ليكفل من البداية كيف تقام الأسرة التى منها ســـيتوالد الأطفال.. ينشغل بسلامة الاختيار، وعناصره وضوابطه.

هـــذه المنظومـــة المجدولة بالقيم المجتمعية هى التى كانت تشـــعر أفراد المجتمع بقدسية الأمومة التى تغنى بها الشعراء فقالـــوا:

الأم مدرسة إذا أعددتهـــا أعددت شعباً طيب الأعراق

تلفتهـــم المنظومة إلى أن إنجاب الأطفال مســـئولية كبـــرى تكمن فيها صناعة الحياة ذاتهـــا، وتعى أن رعاية وتنشئة وبناء الطفل مردودة عليه وعلى أســـرته وعلى المحيـــط الكبير، وتنأى بالآدمى أن يتوالد لمجرد إشباع الحواس، أو للتباهى الأجـــوف بكثرة العـــدد برغـــم التعاســـة والبؤس والجهالة.. فلا إنجاب بـــلا نجابة.. لا تأتـــى النجابة من توالد يقذف إلى الشـــوارع والضياع بفلذات بريئة تلقـــى الهوان بـــدلاً من الحضن والكنف والحنان والرعايـــة.. لا يغادر الآدمى فصيلـــة الثدييات ما لم يدرك أن التوالد رسالة كبرى.. مهمة المجتمع أن يتدارك البسطاء بهـــذه المعانى حتى لا تتـــوه منهم البوصلـــة، فيفرحون أو لا يبالون بمن يقذفـــون بهم إلى الفاقة والتشرد والضياع!

العنايـــة بالطفولة والأطفال لا تأتى بمجرد ســـن القواعد والقوانين، وإنما قوامها يجب أن يكون آلية حية متفاعلة ومتناغمة بين الأســـرة، الحاضنة الأولى للطفـــل، وبين المجتمـــع برمته بكافة طوائفـــه وأجياله وهيئاته ومؤسســـاته ومنظماتـــه. واجب أساســـى مهم بل بالـــغ الأهمية على المجتمـــع، أن يهيئ للأطفـــال- ومن قبل ميلادهـــم- عالمًا صالحًا لاستقبالهم.. عين المجتمع يجب أن تكون ملتفتة- ومـــن قاعدة بيانات حقيقية- تطلعه سلفـــًا علـــى أعداد المواليد المتوقعة فى كل عام، وتفريدات هذا التعداد المتوقع تبعًا للمســـتويات الاجتماعية والأماكـــن والمحيط المتوقع النشـــوء فيه.. يرتبط بذلك كله، ارتباط لزوم، التفات المجتمع بكافة أفراده إلى أن الإنجاب وإن كان اختيارًا ومســـلكًا شـــخصيًا، إلاَّ أنه مســـئولية يجب على صاحبها أن يقدر لها مســـتلزماتها، ثم هو ينعكس على المجتمع وعلى قضاياه ومشـــاكله العامة فى الصحة والإسكان والتعليم وفرص العمل والإنتاج إلى آخر ما يمكن بل يجـــب على كل حصيف أن يلتفت إليـــه، ويجب علـــى المجتمع أن يلفته إليه إن لم يكن قادراً على استيعاب معنى ومسئولية التوالد والإنجاب!

يورى واقع الحـــال، ويدل التأمل، على أن جذور الجنوح متشابكة ضاربة فى الأعمـــاق.. حالهـــا كالدغل الكثيف فـــى الغابات والأدغال! مـــن تراكماتها وتشـــابكاتها وامتزاجها تتشـــكل رياح الجنـــوح وتخلق فرصه التـــى ينتهزها الأوباش والأشـــرار من عصابات العالم الســـفلى الملىء بالمخدرات والشـــذوذ الجنســـى وهتك الأعـــراض والاغتصاب وصناعة التسول.. هذه العصابات تتحين الفرص فى «الأرضيـــة» الموبوءة التى تركناها تحتوى أطفالنا بدلاً من أن نهيئ لهم أرضاً صحية تقيهم من الجنوح ومن شراسة الاستغلال والاجتياح!

كثيـــر من أســـباب التراجع الفردى والمجتمعـــى التى تظهر أعراضهـــا الفاجعة فيما أصـــاب الطفولـــة، أشبه بالطفـــح أو العرض الذى كلما فتشنا عن جذوره وجدناها فى الفقر والجهل.. خذ العشوائيات التى نمت فى العواصم وتخومها وصارت مباءات إفراز للجنوح والســـلبيات، ســـتجد أن الفقر الفردى والمجتمعى هو الذى قاد السلوك الفردى إلى عشـــوائيات إنشائها، وأجبر السلوك الجمعى على الســـكوت عنها.. لأن فقر الحلول أو فقر الإمكانيات المتاحة،

لا يُعطيه فرصة لترتيب بديل مقبول يهيئ لراغبـــى الحياة أمكنـــة معقولة للسكن الإنسانى

الآمن.. فحمى ارتفاع أسعار الأراضى وندرة المتاح منها خارج الرقعة الزراعية التى تتآكل يوماً بعد يوم، حالت وتحول دون إفساح الســـبيل لتدبير المساحات المعقولة أرضاً ومرافق لأعداد المتسربين من الريف الذى صـــار مجتمعاً طارداً بحكـــم تناقص فـــرص العمالة فيه مع انعدام المرافق والخدمـــات.. وطغيان جنون أســـعار الأراضى هو الذى يدفع التصرف الجمعى إلى الإسراع باستغلال ما عســـاه يخلو من الأراضـــى - كحىّ عشش الترجمان- فيما يسمى مشروعات استثمارية سرعـــان ما تهتلب الأراضى ومعها ذمـــم المتحكمين فى تصريفها، فيتناقص تباعًا ما كان مأمولاً تخصيصه للمرافق العامة كالحدائق وأشباهها، أمام زحف المال الذى تتســـرب إليه الأراضى ليجد العمل الجمعى نفسه خالى الوفاض من أية مقدرة على إتاحة البدائل المعقولة التى تقى فى البداية من العشوائيات أو تقلص من زحفها وانتشارها، يسلس إلى ذلك الجهل الفردى والجمعى أيضاً، فلا الأفراد نجوا من الجهالة التى لم تتنبه إلى أن الهروب غير المنظم من الريف إلى قاع العواصـــم.. شأنـــه كشأن المستجير من الرمضاء بالنار، ولا نجا العمل الجمعى بدوره من جهالـــة قصور الرؤية وغياب السلوك العلمى فى التنبه إلى «بدايات» المشاكل وابتداع سبل وبدائل مواجهتها بما يزيل أسباب تجمعها أو يحول دون تراكمها!

المصطلحات والتعريفات المرتبطة بمنظمات ووكالات الامم المتحدة:

معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية

(United Nations Research Institute for Social Development (UNRISD

UNRISD
UNITED NATIONS
RESEARCH INSTITUTE
FOR SOCIAL DEVELOPMENT

أولاً: تعريف المعهد

معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية هو معهد أبحاث مستقل داخل منظومة الأمم المتحدة ويتولى البحوث متعددة التخصصات وتحليل السياسات على الأبعاد الاجتماعية لقضايا التنمية المعاصرة.

أنشئ المعهد فى عام 1963 باعتباره مساحة مستقلة داخل منظومة الأمم المتحدة لإجراء أحدث الأبحاث العلمية ذات الصلة بسياسات التنمية الاجتماعية وتقديمها إلى الأمانة العامة للأمم المتحدة.

ثانياً: أهداف المعهد

- التركيز على المحتوى والآثار المترتبة على عمليات التنمية الاجتماعية ودور المؤسسات الاجتماعية، والعلاقات والجهات الفاعلة فى صياغة السياسات ومسارات التنمية.
- إشراك الباحثين وصانعى السياسات والجهات الفاعلة فى المجتمع المدنى من مختلف أنحاء العالم فى توليد وتبادل المعرفة، من أجل صياغة السياسات داخل وخارج منظومة الأمم المتحدة.
- تعبئة وتعزيز القدرات البحثية من الأفراد والمؤسسات فى البلدان.
- توفير مساحة لتبادل الأفكار، وإعطاء الأولوية للجهات المهمشة، وتقديم خيارات السياسات البديلة.

ثالثاً :أعمال المعهد

يشمل المعهد بحوثاً متعددة التخصصات على الأبعاد الاجتماعية لقضايا التنمية المعاصرة.

يدرس المعهد القيادات الاجتماعية،

سفير: د. سامح أبو العينين

المندوب الدائم لجامعة الدول العربية لدى الأمم المتحدة بجنيف

وتأثيرات عمليات تغيير الهيكلية الاجتماعية، وعلى وجه الخصوص إستراتيجيات وسياسات التنمية.

أبحاث المعهد قد تحدت فى كثير من الأحيان أفكار التنمية الرئيسية، وتوفير رؤى التطوير وقد شكل بحث المعهد تحولات كبرى فى التفكير فى قضايا التنمية الحرجة بما فى ذلك: المؤشرات الاجتماعية للتنمية، والمجتمع المدنى، والحركات الاجتماعية، والسياسة الاجتماعية والآثار الاجتماعية للعولمة.

رابعاً: مخططات المعهد

إستراتيجية المعهد تستجيب لاتجاهات التنمية المعاصرة وشئون السياسة والمناقشات العلمية، ويهدف إلى سد الثغرات المعرفية المحددة، فى حين توقع أيضاً بعض القضايا الاجتماعية التى لا تشكل جزءاً من الخطاب السائد حتى الآن.

تشكل إستراتيجية المعهد روابط قوية مع الأسس المعيارية والعمليات التنفيذية لمنظومة الأمم المتحدة، وتضمن الاستفادة الكاملة من موقع المعهد الإستراتيجى المؤسسى والعلاقات داخل منظومة الأمم المتحدة، وولايتها على إجراء البحوث ذات الصلة بالسياسات بشأن قضايا التنمية الاجتماعية.

من خلال تنفيذ إستراتيجية المعهد 2016 - 2020، سيسهم المعهد إلى فهم أفضل سياسات التغيير، والممارسات والنهج فى التنمية الاجتماعية، والمساواة، والاستدامة، والحكم الديمقراطى والعدالة الاجتماعية.

المعهد يساهم فى تحليل الأفكار والإستراتيجيات التى يمكن أن تشكل المناقشات وسياسات ونهج الإطار، وتوجيه واضعى السياسات والممارسين فى جهودها لمكافحة التحديات المعاصرة من عدم المساواة والصراعات، وتحقيق نتائج التنمية المستدامة.

خامساً: علاقة المعهد بالأمم المتحدة

المعهد لا يتلقى أى تمويل من الميزانية العامة للأمم المتحدة ولديه ميزانية منفصلة ويقوم بجمع جميع الموارد المالية اللازمة لتنفيذ إستراتيجيتها للأبحاث، والاتصالات، والمشاركة فى صياغة السياسات.

من خلال وضع الحكم الذاتى للمعهد، والمكان المؤسسى داخل منظومة الأمم المتحدة، يمارس المعهد سلطة ملحوظة عقد فى الأوساط الأكاديمية والمجتمعات السياسية والمجتمع المدنى من مختلف أنحاء العالم، وله فرص فريدة للتواصل مع والتأثير على المناقشات الجارية بشأن السياسات.

لمزيد من المعلومات، يمكن الاطلاع على الرابط الإلكترونى للمنظمة:

https://www.unrisd.org

منخفض القطارة
الحـــلم المنســـى

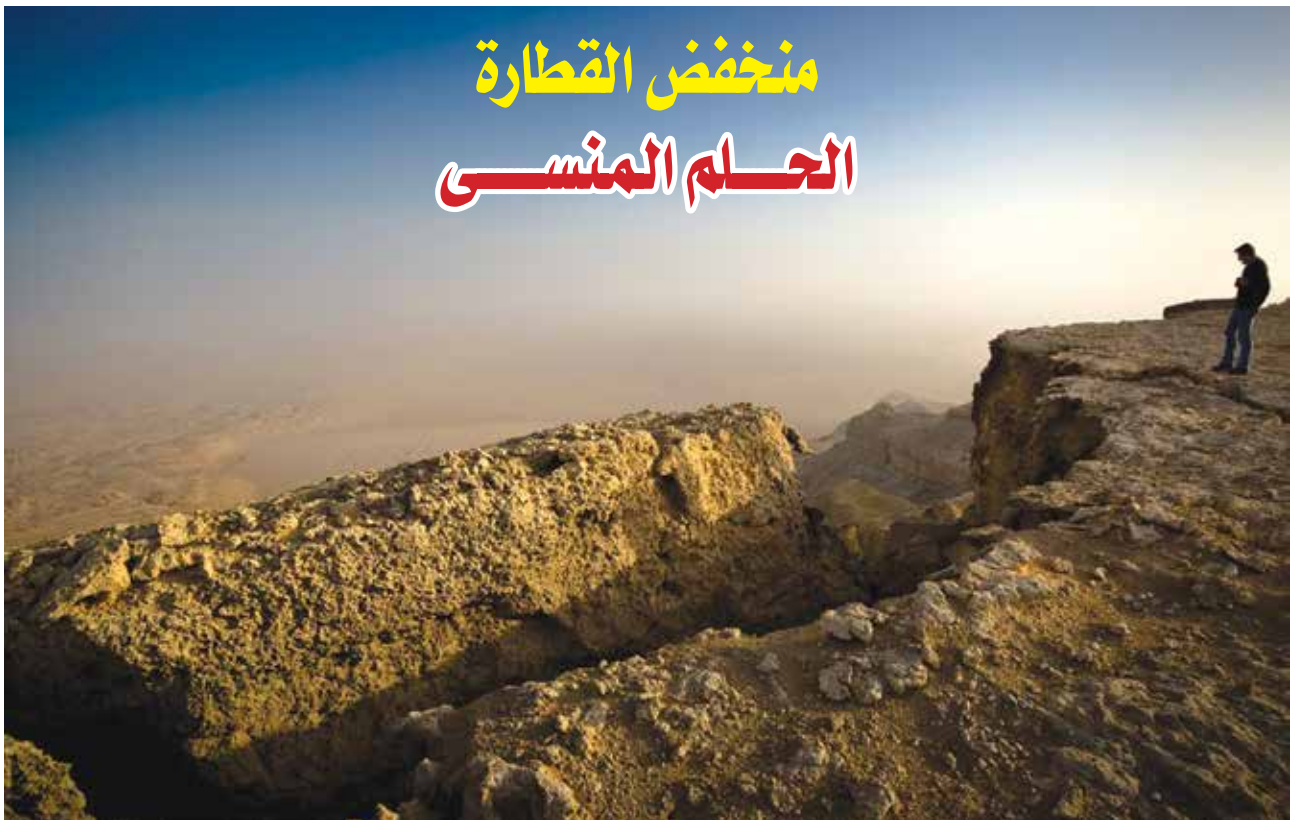

منخفض القطارة هو تكوين جغرافى طبيعى يقع غرب مدينة الإسكندرية فى محافظة مطروح على بعد 56كم من ســـاحل البحر المتوســـط. وكما يوحى اســـمه فهو منخفض فى الأرض يبلغ متوســـط عمقه 60 متراً تحت مستوى البحر ويبلغ أقصى عمق له 133 متراً تحت مستوى البحر. يبلغ أقصى طول للمنخفض 300كم وأقصى عرض له 135كم وتبلغ مســـاحته الكلية 19605كم مربع أى ضعف مساحة لبنان وهو قادر على استيعاب 1213كم مكعب من المياه.

كان أول من قام بمســـح جغرافى للمنخفض هـــو البريطانى John Bull وهو مهنـــدس تعديـــن وحاصل على الدكتوراة من جامعة زيورخ فى سويسرا وقام بمســـحه فى عام 1897. وهو من أعطى المنخفض اسمه نسبة إلى قرية القطارة. ومن المفارقات أن أول من فكر بوصل المنخفض بالبحر المتوسط عن طريق قناة أو نفـــق كان كاتب الخيال العلمى الشهير الفرنسى Jule Verne فى كتابه invasion of the Sea الذى صدر فى يناير عام 1905 قبل أيام من وفاته فى فبراير 1905 وكان آخر كتاب يصدر له.

وكان الضابـــط البريطانى Ralph Alger Bagnold أول من عبر المنخفض من الشرق إلى الغرب أثناء رحلته الكبرى لاختراق الصحراء الكبرى من الشـــرق إلى الغرب فى عام 1932 درس خلالها

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

الصحراء ودروبها والتكوينات الصخرية وأثر الرياح وعوامل التعرية فى تشكيلها فيما يعرف علمياً بـ Aeolian Process ونشـــر حصيلة تجاربه وأبحاثه خلال الرحلة فـــى كتابـــه The Physics of Blown Sand and Desert Dunes الـــذى صدر فى عـــام 1941. وقد اســـتخدمته وكالـــة NASA الأمريكية للفضاء كأســـاس لدراســـة تكوينات الكثبان الرملية على سطح كوكب المريخ وتكريمـــاً للمؤلف أطلقت اســـمه على مجموعة كثبان على المريخ Bagnold Dunes تكريمـــاً له وكان من الطبيعى أن تستغل بريطانيا رجلاً بهذه الخلفية والخبرة خلال الحـــرب العالمية الثانية أثناء المواجهة فى الصحراء الغربية بين الجيش البريطانـــى بقيادة مونتجمرى والجيش الألمانى بقيادة ثعلب الصحراء رومـــل فقام باجنولد فـــى عام 1940 مجموعـــة long rang Desert group للاستطلاع خلف خطوط العدو والقيام بعمليات التخريـــب واختطاف الضباط والجنود الألمان للحصـــول منهم على المعلومات.

وكان أول مـــن طـــرح فكرة توليد الكهرباء من المنخفـــض هو الألمانى Albrecht Pench أســـتاذ الجغرافيا فى جامعة برلين فى عام 1912، مؤكداً

Jule verne

Penck Albrecht

أن حفر قناة من البحر المتوسط إلى المنخفض طولها 56كم سيكون أمرها أسهل من حفر قناة السويس التى يبلغ طولها 193كم خاصة مع التقدم التقنى والهندسى الذى حدث منذ منتصف القرن 19 إلى بداية القرن 20. حالت الحساسية البريطانية تجاه انتشار النفوذ الألمانى ثم اندلاع الحرب العالمية الأولى دون أى إنجاز لفكرة البروفيسور الألمانى.

وفى عام 1927 تلقف البريطانى john Bull السابق ذكره فى رأس المقال الفكرة وقدمها فى مقال نشرته مجلة The Geographical Journal بعنوان the Qattara Depression of the Libyan Desert and The Possibility of its Utilization for Power Production وقدمها فى عام 1933 كمقترح للحكومة المصرية إلا أن الحكومة لم تتحمس للفكرة وظلت حبيسة الأدراج.

وكان الظهور الأخير لفكرة مشروع منخفض القطارة محاطاً بكثير من الغموض والضبابية المثيرة للشكوك والتساؤلات. ففى عام 1957 قدمت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA مذكرة إلى الرئيس إيزنهاور تقترح فيه دعم الولايات المتحدة لمشروع منخفض القطارة لأنه مشروع ضخم ورائد يمكن أن يحول جمال عبدالناصر عن الاتحاد السوفيتى الذى يدعم مشروع السد العالى الذى سيزيد النفوذ السوفيتى فى مصر خاصة بعد صفقة السلاح المصرية مع الكتلة الشرقية وبعد النفور المصرى من الكتلة الغربية بعد حرب السويس كما أن هذا المشروع يمكن أن يشغل عبدالناصر عن مشروعاته القومية فى العالم العربى وعن عدائه مع إسرائيل ويزيد النفوذ الأمريكى فى مصر ويمكن أن يوفر العمل لأعداد كبيرة يمكن أن تستوعب أعداداً كبيرة من الفلسطينيين فى معسكرات اللاجئين. مما يدفع أن فكرة تصفية قضية اللاجئين وإعادة توطينهم فى البلاد العربية له جذور قديمة فى الأجندة الأمريكية.

لقد أرادت الولايات المتحدة أن تجعل من مصر مزرعة تجارب للمبادرة التى أطلقها الرئيس إزينهاور عام 1975 بعنوان الذرة من أجل السلام Atomo for Peace ويقترح المشروع تفجير 213 قنبلة نووية قوة كل منها 1.5 ميجاتون على عمق يتراوح بين 100 و150 متراً تحت الأرض لشق نفق من البحر إلى المنخفض وستسهم هذه الطريقة فى خفض التكلفة لأن الحرارة الناجمة عن الانفجار ستؤدى إلى انصهار الرمال وتحولها إلى بطانة زجاجية تغنى عن تبطين جدران الأنفاق بالأسمنت والخرسانة.

رفضت مصر هذه المغامرة تحسباً للآثار الإشعاعية المدمرة للتفجيرات النووية وتحسباً من الأبعاد السياسية للمخطط الأمريكى.

وفى عام 1964 تم تعيين المهندس محمد عزت سلامة كأول وزير للكهرباء فى مصر وعادت فكرة مشروع منخفض القطارة للظهور مرة أخرى فكلف المهندس صلاح الشاذلى وهو عم كاتب هذه السطور بالإشراف على المشروع واستعانت مصر بخبرة من ألمانيا الغربية التى تحمست للفكرة وتكونت فى برلين المجموعة الاقتصادية Qattara Joint veuture من مجموعة من الشخصيات الألمانية إلا أن النكسة التى تعرضت لها مصر فى عام 1967 جعلت الأولوية لإعادة بناء القوات المسلحة واستعادة الأرض المحتلة وغض النظر عن المشروعات الكبيرة الأخرى.

واليوم وقد مر أكثر من نصف قرن على آخر مرة طرحت فيها فكرة مشروع منخفض القطارة وبعد أن حدث تطور كبير فى تكنولوجيا شق الأنفاق والقنوات وبعد أن تراكمت فى مصر خبرات عميقة ومدرسة هندسية عريقة قامت بشق أنفاق السد العالى وتفريعة قناة السويس الجديدة وترعة السلام وأربعة خطوط لمترو الأنفاق ألم يحن الوقت للتفكير مرة أخرى فى هذا المشروع الكبير وننفذه بخبرة مصرية خالصة دون الاستعانة بمن ينصحنا باستخدام التفجيرات النووية التى تعرضنا لخطر الإشعاعات أو توطين العمالة الفلسطينية لتمرير أجندات خفية بل خبرة مصرية تعمل فقط لمصلحة البلاد ورخائها.

إن هذا المشروع لا يقدم فقط طاقة كهربائية لكنه يخلق بحيرة داخلية عظيمة تفوق مساحتها كل البحيرات الشمالية المصرية مجتمعة تتيح مورداً للثروة السمكية بعد أن لوثنا البحيرات القديمة حتى ماتت أسماكها وتوفر على شاطئها إمكانية لمستوطنات للصيادين وغيرهم وتزيد فرص سقوط الأمطار على مناطق قاحلة.

Asian The future is
المستقبل آسيوى (1)

يمثل كتاب «المســـتقبل آسيوى: النظام العالمى فى القرن الحادى والعشرين» لمؤلفه Parag Khanna الصادر من دار نشر The Orion Publishing group. London 2019

والمؤلف من أبرز الإستراتيجيين العالميين وممن يسافرون كثيراً وممن تحظى مؤلفاتهم بأنها من أكثر الكتب مبيعاً، وهو من المســـاهمين العالميين فـــى قناة الـCNN ومن كبار الباحثين فى المركز الآسيوى والعولمة « معهد لى كوان يو: للسياسة العامة» فى سنغافورة، بجامعة سنغافورة الوطنية.

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

والكتـــاب يمثل وجهـــة نظر حول التطورات فى العلاقات الدولية وانتقال مركـــز القوة الدولية إلى آســـيا. ويقع الكتاب فى 433 صفحة، وينقسم إلى عشرة فصول بالإضافة لمقدمة وخاتمة وفى بداية الكتاب توجد خارطة للقارة الآسيوية شـــاملة الأبعاد الآسيوية فى مختلف مواقعهـــا الجغرافية من دول آسيا الوسطى إلى دول المحيط الهادى، ومن سرى لانكا إلى إندونيسيا والفلبين واليابان وســـنغافورة فضلاً عن شرق آسيا (دول الآســـيان) وإيران وبعض دول الخليـــج العربى والعراق وبعبارة أخرى تأثر المؤلف بعمله فى الإمارات ونسى باقى دول غرب آسيا العربية.

وتبدأ المقدمة بعنوان «آســـيا أولاً» إذ يتســـاءل المؤلف متى سيبدأ القرن الآســـيوى؟ حيث تمثل آســـيا نهوضاً واضحاً مقتبســـاً مقولـــة نابليون منذ قرنين عن الصين وهـــى «دع الصين نائمة لأنها إذا استيقظت ستهز العالم» ثم مقولة للجنرال الألمانى كارل هانز هوفر عـــام 1924 حيـــث تنبأ بقدوم «العصر الباسيفيكي» ويصف المؤلف بأن آسيا أكبر من مجرد دول الباسيفيك وإنه من الناحية الجغرافية فإن آســـيا تمتد من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر عبر ثلثى الامتداد الأوروآسيوى حتى المحيـــط الهادى وتضم 53 دولة و5 مليارات نســـمة منهـــم 1.5 مليار نسمة من الصينيين مؤكداً أن آسيا أكبر من مجرد حاصل جمع أجزائها العديدة، وإن هـــذه العملية فى صـــدد التبلور.

وأضاف مؤكداً أن القرن الآســـيوى بدأ بالفعل منذ عـــام 2017 ففى مايو من ذلك العام اجتمعت 86 دولة فى بكين فـــى مؤتمر مبادرة الطريـــق والحزام وضم ذلك المؤتمر ثلثى ســـكان العالم ويســـاهمون بنصف الناتج المحلى الإجمالـــى العالمى World GDP، وقد شـــارك فى ذلك التجمع 53 دولة على مستوى القمة من دول آسيوية وأوروبية وإفريقية حيث أطلقوا أكبر بنك وخطة استثمار فى البنية الأساسية فى تاريخ البشرية ووعد قادة الدول المجتمعة أن ينفقوا تريليون دولار فى العقد القادم لربط مراكز السكان الكبرى فى العالم عن طريق التبـــادل التجارى والثقافى مما أطلق عليـــه طريق الحرير الجديد وإن هذا الطريق هو أكبر وأهم مشروع عالمى فى القرن الحادى والعشـــرين وهـــو يعـــادل مشـــروعات منتصف القرن العشـــرين مثل الأمم المتحدة، وصندوق النقـــد الدولى والبنك الدولى للإنشـــاء والتعمير ومشروع مارشال مجتمعـــة. والاختلاف الرئيســـى بين الحالتين أن طريـــق الحرير والحزام طرحته آسيا (الصين) وتم التفكير فيه آسيوياً وأطلقته آســـيا ويقود مبادرته الآسيويون. وهذا هو أحد جوانب قصة العالم اليوم فى بعده الآســـيوى وأثره على القرن الحادى والعشرين. وأضاف المؤلف أنه فى معظم تاريخ البشـــرية فإن الإقليم الآسيوى كان هو أهم أقاليم العالم. وقـــد أوضح عالـــم الاقتصاد البريطانى أنجوس ماديسون أنه خلال القرنين الســـابقين وحتـــى منتصف 1800 فـــإن الصين والهنـــد واليابان مجتمعة ســـاهمت بأكبر إنتاج عالمى GDP على أساس القوة الشرائية أكبر من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليـــا مجتمعة، ولكن بعد ذلك نجحت الدول الغربية فى تحديث اقتصادياتها وتوســـيع إمبراطورياتها وإخضاع معظم دول آسيا. وبعد قرنين من الســـيطرة الأوروبية علـــى العالم نهضت الولايات المتحدة لتصبح القوة العالميـــة بعد انتصارهـــا فى الحرب الأسبانية الأمريكية مما أتاح لها السيطرة على كوبا والفلبيـــن ومكنها من القيام بدور حاسم فى الحرب العالمية الأولى. ولكن بعد الحرب العالمية الثانية عندما توقفت الدول الأوروبية عن غزو بعضها البعض ظهر نظام غربى مستقر ممثلاً فى الولايات المتحدة وقوتها العسكرية والاقتصادية وأنشـــأت منظمة الناتو وتحالفات عبر الأمـــم المتحدة والبنك

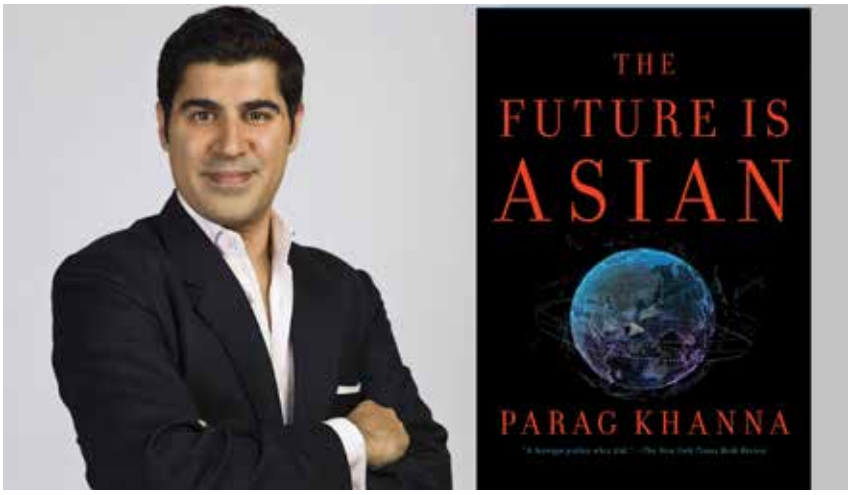

الدولى وصنـــدوق النقد الدولى وخلال سبعين عاماً حيت انقســـم العالم فى غمار الحرب الباردة التى شعرت الدول الغربية بعد انتهائهـــا، بأنها منتصرة بنظامها الحر وديمقراطيتها ونظامها الرأسمالى. ولكن فى العقد الأخير من القرن العشـــرين أصبح النظام الدولى عالمياً بحق حيث انضمت دول عدة من الجمهوريات السوفيتية للناتو وانضمت العشـــرات من الدول النامية لمنظمة التجارة العالمية وهو مـــا أطلق عليه مفهوم «توافق واشنطن» Washington Consensus عبـــر التجـــارة الحرة والقوانين الأوروبيـــة والتدخلات عبر السياســـات النقدية والثقافة ووضعت الأجندة الدولية. ولكـــن خلال عقدين مـــن 11/ 9/ 2001 ثم حرب العراق 2003 والأزمة المالية 2007 – 2008 حتى انتخابات عام 2016 فى الولايات المتحدة التى أسفرت عن وصول دونالد ترامب للســـلطة فى الولايات المتحدة. وأشار المؤلف إلى أن العالم سيذكر أنه منذ تولى ترامب السلطة فإن ثمة قطيعة عميقة مع العقود السابقة التى سادت فيها الســـيطرة الغربية حيث أخفقت حروب أفغانستان والعراق وتراجع دور شـــارع المال الأمريكى Wall street واقتصاده، وعجز الغرب عن ضم روسيا وتركيا، واختطفت القوى الشـــعبوية الديمقراطية، وهـــذا ما دفع العديد من النخب فى الغرب للتساؤل عن مستقبل نظمهم الاقتصادية، والسياسية والقيم الاجتماعية.

واليوم فالعالم الغربى منغمس فى مشـــاكله وأمراضه الداخلية، وتدهور متوسط الدخول وتزايد التوتر العنصرى والعنف الديماجوجى ويكافح الشباب الأوروبى سياســـة التقشف الاقتصادى والبطالـــة المرتفعـــة والابتعـــاد عن السياســـيين، ورغم تقـــدم الغرب فى مجالات الاتصالات والطب ولكن سكانه لم يتمتعوا بمزايا ذلك بالتساوى.

وفى حين كان الغرب يناضل لكسب الحرب الباردة، فإن آســـيا بدأت ترفع مكانتها لنفس المستوى الغربى، حيث حصلت آسيا على نصيب كبير ومتزايد من الناتج العالمـــى الإجمالى وتحول الغرب إلى حالـــة معاناة إزاء التصنيع الآســـيوى. وقد نما بلايين الآسيويين فـــى العقديـــن الماضييـــن وتعلموا الاســـتقرار الجيوسياســـى وزاد من قوتهم وازدهارهم مما عزز إحساسهم بالافتخار الوطنـــى. وإن العالم الجديد لم يعد يعيش تحت ســـيطرة الغرب بل سيشهد الصعود الآســـيوى. وأضاف المؤلـــف بأنـــه فى عـــام 1998 فإن مواطنه الســـنغافورى وزميله كيشور محبوباتـــى Kishore Mahbubani نشـــر كتاباً مثيراً للجدل ضم مجموعة مقالات بعنوان «هل يستطيع الآسيويون أن يفكروا ولكن عم يفكرون؟ ويعقب المؤلف على السؤال قائلاً:

It is time to explore not if the Asians can think? But what they think?

موضحـــاً أن العالـــم يتغيـــر وأن الآسيويين الآن ينظرون لأنفسهم بأنهم ليســـوا فقط مركز العالـــم وإنما هم مستقبله. وإنه يمكنهم أن يعلموا الغرب أيضاً، وأن الوقت قـــد حان لكى يتبنى الآســـيويون وجهة نظر مشتركة تجاه العالم، وأن الوقت قد أزف لكى يطرح الآســـيويون الســـؤال «ليس بالقول» هل يســـتطيع الآســـيويون أن يفكروا ولكـــن عم يفكر الآســـيويون Not by saying. «Can the Asians think. but think about what? وإن العالم الآسيوى من شبه الجزيرة العربية إلى تركيا شمالاً إلى اليابان ونيوزيلندا فى الشرق، ومن روســـيا فى الشمال إلى أستراليا فى الجنوب يمثلون الآن 50٪ من الناتج العالمـــى الإجمالى Global GDP وثلثى النمو الاقتصادى العالمى. ومن التقديرات حول الناتج العالمى ما بين 2015 – 2030 ســـيصل إلى 30 تريليـــون دولار، وإن الاقتصاد الغربى ستكون مساهمته تريليون واحد فقط، ومعظم الباقى ســـيكون مصدره من آســـيا. وإن نصيب آســـيا فى التجارة والصادرات والاســـتهلاك والاستثمار فيما بينهم سيكون أكبر من نظيره بين أوروبا وأمريكا الشـــمالية حيث يزداد عدد البنوك الآسيوية الكبرى، وشركات التكنولوجيا المتقدمة، وأكبر الجيوش العالمية وستكون نســـبة سكان آسيا 80٪ من سكان العالم عشرة أضعاف سكان أوروبا واثنى عشر ضعف سكان الولايات المتحدة.

ويطرح المؤلف التســـاؤل ما هى آســـيا؟ ويذكر فى الإجابة على السؤال أن معظـــم الناس لا يعرفـــون ما هى آسيا! حتى فى آســـيا ذاتها. فآسيا هى قارة واســـعة وكبيرة ولديها سلســـلة من الحضـــارات المكتفية ذاتياً. كما أن معظم آسيا تضم أقاليم غير متجانسة Heterogeneous ومـــع ذلك فهناك نوع من التوافق والتماسك رغم التنوع وثمة تشابه وتآلف وخطوط ثقافية من شـــأنها إحداث الترابط الآسيوى رغم الاختلاف عن الأقاليم الأخرى.

فالاختلافـــات الثقافية والحضارية والتاريخية حيث ســـيطر عليها الغرب

مما خلق تناقضاً فى الآراء والأفكار بين الأقاليم الآسيوية. ومع هذا فإن آسيا بها دول كبرى مثل الصين والهند وروسيا وأستراليا وكازاخستان. ولدى آسيا دول كبرى من حيث السكان بما فى ذلك الصين والهند وإندونيسيا وباكستان وبنجلاديش واليابان والفلبين وفيتنام. وفى آسيا مركز دول عديدة ذات ثورة ضخمة رغم صغر حجمها مساحة وسكاناً ومنها قطر وسنغافورة. (يلاحظ أن المؤلف ساوى فى النظرة بين قطر وسنغافورة وهو أمر خاطيء. إذ أن قطر لديها موارد طبيعية وليست لديها كفاءات بشرية فمعظمها مستورد من مختلف مناطق العالم، بخلاف سنغافورة فلديها كفاءات بشرية من سكانها وليس لديها موارد طبيعية.

ورغم أن آسيا ذات بعد جغرافى فإن دولاً من أعضائها عبر القرون نظروا لأنفسهم كأوروبيين ومنهم روسيا وتركيا وإسرائيل ودول القوقاز وهم جزء من المجموعة الأوروبية فى الأمم المتحدة. ومع كون دول مثل روسيا وأستراليا من الجنس الأوروبى فهذا لا يمنع من وصفهم بأنهم آسيويون من الجنس الأبيض White Asians ويوضح المؤلف أن المصطلحات الغربية عن أقاليم آسيا مثل الشرق الأقصى، والشرق الأوسط ونحو ذلك تجب إعادة النظر فيها وتصحيح التسميات لتعبر عن الجغرافيا الواقعية وليس عن السياسة الأوروبية فى مرحلة تاريخية معينة إذ أن مصطلح شرق آسيا وغرب آسيا، أو حتى غرب آسيا وشمال إفريقيا لتشمل الدول العربية الإفريقية. ومع هذا فلا تشعر دول شمال إفريقيا بأنهم آسيويون بحكم الموقع الجغرافى.

بينما أوروبا أصبحت أكثر تماسكاً عما كانت عليه من قبل. وشمال أمريكا أكثر الأقاليم تماسكاً بما فى ذلك المكسيك وكندا الأكثر شراكة مع الولايات المتحدة.

يبرز المؤلف أن آسيا تتجه نحو مزيد من التشابه والتماسك رغم وجود الاختلافات وذلك كله نتيجة للتطور الاقتصادى والتكنولوجى والتشابك الدبلوماسى بين دول القارة، رغم اختلاف مساحات كل دولة والتنوع الحضارى والثقافى بين دول القارة. كما أبرز المؤلف مقالاً نشره أستاذ يابانى هو البروفيسور والصحفى Yoihi Funabashi فى مجلة الفورين أفيرز حول ضرورة آسيوة آسيا Asianization of Asia موضحاً أن الآسيويين يتشابهون فى الأكل بالعصى Chopsticks وهذا يشمل اليابان والصين والكوريتين وفيتنام. وفى تقديرى إن هذا التعريف لآسيا يعبر عن ضيق الأفق ومحدودية النظرة لآسيا. وأضاف البروفيسور اليابانى بأن المفهوم الآسيوى ممكن أن يمتد لدول مثل الهند وأن العامل المؤثر أو القوة الدافعة لبلورة المفهوم الآسيوى هو النمو الاقتصادى، الاستقرار الجيوسياسى، البراجماتية التكنوقراطية، وهذا سيساعد فى إنماء الفكر الآسيوى ونظرته المختلفة نحو النظام العالمى. وأوضح المؤلف أن العوامل التى دفعت أوروبا للتضامن مع بعضها وكذلك مع الولايات المتحدة هى العوامل التى تمثل قوة دفع لتماسك الدول الآسيوية. وهذه العوامل فى مقدمتها البحث عن الأسواق، الرأسمالية الصناعية، والاستقرار الداخلى. وأضاف أن الصين تفوقت فى اقتصادها على الولايات المتحدة من حيث القوة الشرائية المتعادلة وبالمصطلح الإنجليزى Purchasing Power Parity (PPP). وإن الهند فى طريقها لتصبح من أكبر القوى الاقتصادية حيث هى من أعلى الدول فى معدلات النمو، وإن الدول الآسيوية تعيش حالة سلام مع بعضها رغم الاختلافات. وإن مؤسسات مثل بنك الاستثمار الآسيوى فى البنية الأساسية، أو المنتديات تسهل تدفق الاستثمارات بين الدول الآسيوية وإن الولايات المتحدة رغم انتصارها فى الحرب الباردة وسيطرتها على آسيا فهى الآن أصبحت مستبعدة من التجمعات الآسيوية. وإن صعود شرق وجنوب آسيا دفع دول غرب آسيا للبحث عن ذاتيتها وجغرافيتها الآسيوية. وإن دول وشعوب جنوب شرق آسيا وجنوب آسيا وشرقها لا يطلقون على غرب آسيا اسم الشرق الأوسط، وإن غرب آسيا يزداد انفتاحها على الدول الآسيوية وإن الدول الآسيوية الفاشلة مثل العراق وأفغانستان (ونضيف اليمن وسوريا) تسعى لإغلاق ملفها مع الدول الغربية ولربط مستقبلها مع آسيا.

ويوضح المؤلف أنه وفقاً لمعادلة القوة الشرائية فإن (الناتج الأمريكى الإجمالى GPD 18.75 تريليون دولار والصين 21.42 تريليون دولار والهند 8.7 تريليون دولار. وقد أعلن الرئيس الصينى شى جين بينج فى عام 2014 أمام تجمع قادة الدول الآسيوية فى شنغهاى «إنه على الشعوب الآسيوية أن تدير شئونها بأنفسها وتحل مشاكل آسيا وتتمسك بالأمن الآسيوى». ويضيف المؤلف أنه رغم صعود الصين وطموحاتها فإن الدول الآسيوية لا يرغبون التورط فى اللعبة الدولية وفقاً للقواعد الخارجية ويؤكدون بأن آسيا أولاً: وهذا ما دفع الرئيس الأمريكى ترامب ليؤكد أن أمريكا أولاً للرد على ما يراه استغلال الآسيويين للاقتصاد الأمريكى الذى أصبح فريسة للاقتصادات الآسيوية. واتهامه للآسيويين بأنهم يرفضون العمل وفقاً لقواعد اللعبة الأمريكية بما يؤكد استغلالهم للاقتصاد الأمريكى.

ويلاحظ المؤلف أن الدول الغربية تنظر للتطور فى آسيا بأنه يحدث الفوضى فى النظام العالمى World Disorder وبالمثل تنظر الدول الآسيوية لمساعى أوروبا وأمريكا للسيطرة على آسيا من خلال تحالفهما بينما الآسيويون يرون مساعيهم تستهدف الجلوس فى كابينة القيادة التاريخية Cockpit of History باعتبار ذلك مصيرهم الطبيعى بغض النظر عن أية أهداف أوروبية أو أمريكية. وإن سعى الآسيويين هو لإقامة نظام آسيوى

لمصلحة معظم شعوب وسكان العالم.

وهذا التقارب الآسيوى لا يعنى أن آسيا أصبحت أكثر أمناً وبعيدة عن الصراعات فيما بينها بل هناك صراع سعودى إيرانى يستند للخلاف السنى الشيعى، وصراع فى شبه الجزيرة الكورية، وآخر بين الصين وكل من اليابان والهند وفيتنام. وإن تلك الدول تعيش فى صراعات كما كانت أوروبا فيما بينها فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. ويذهب المؤلف إلى أن كلاً من الصين واليابان والهند لديهم قادة أقوياء يمسكون بزمام السلطة لفترات أطول وهم وطنيون وينفقون الكثير على جيوشهم وبينهم مناوشات فى البحار أو عبر الحدود. والولايات المتحدة مازالت تساعد حلفاءها لردع الصين، وفى نفس الوقت فإن اليابان والهند وأستراليا وفيتنام يدعمون علاقاتهم وروابطهم لردع العدوان الصينى ويلاحظ أن الصين تضع ضوابط على تصرفاتها تجاه جيرانها ومنافسيها وكلما زادت مبادرات الدول كلما زاد النظام الآسيوى ديناميه وتعقيداً. والنظام الآسيوى مازال لم يتطور كما حدث فى أوروبا حيث لا يوجد برلمان آسيوى أو جيش آسيوى أو اقتصاد آسيوى كما هو حادث فى أوروبا، أو بنك آسيوى ومازال المسعى الآسيوى لم يصل للحالة الأوروبية فى التعاون والتكامل ومازال النظام الآسيوى يسعى للاحترام تجاه الآخر أكثر من التكامل أو الاندماج كما لا يسعى النظام الآسيوى للغزو، وبخلاف الأوروبيين حالياً حيث مراكز الأبحاث والنخب الفكرية ومراكز التفكير ورجال الأعمال والأكاديميين يتشاركون فى تفاعلاتهم بما فى ذلك الأندية الرياضية ومنظمات الشباب. ولكن مازال الآسيويون منذ فترة طويلة يغذون فى شعوبهم النظرة العدائية تجاه الدول الآسيوية الأخرى، ونموذج ذلك العلاقات الهندية الباكستانية، وبين الصين واليابان، والسعودية وإيران. وإن كانت الشعوب الآسيوية بدأت فى التعرف على بعضها البعض بدرجة أفضل من وضع علاقاتهم الدبلوماسية أو السياحية أو التجارية أو التبادل الثقافى والإعلامى.

ونلاحظ هنا النظرة العلمية تجاه الصين كدولة آسيوية بل هى نظرة تأثر فيها المؤلف بأصوله الهندية وتاريخ الخلاف بين الدولتين وبالدور الأمريكى فى التأثير على الهند وجذبها لمزيد من معاداة الصين حتى يمكن حصار الصين من الشرق والغرب والحد من نموها وصعودها السلمى بل وأيضاً احتمال توريطها فى صراع إقليمى آسيوى يؤدى لتوقف أو على الأقل الحد من نموها وقدرتها على منافسة الولايات المتحدة.

وأشار المؤلف إلى ما أسماه «آسيا فى النظام العالمي» مقتبساً من السؤال الذى طرحه الرئيس الألمانى «فرانك والتر، شتيماير»Steamier Frank Walterحيث شارك مع المؤلف فى ندوة تليفزيونية بعنوان «نظرة آسيا لمستقبل الحضارة الأوروبية» وأضاف المؤلف رأيه بأن آسيا لا تنظر للتاريخ بأنه انتهى وإنما عاد. History has not ended but returned فآسيا لديها معظم سكان العالم ومعظم اقتصاد العالم، ودخلت مجال التحديث وحافظت على الاستقرار بين القوى الكبرى الآسيوية ولديهم قادة يعرفون ماذا يريدون؟ وماذا يفعلون؟ ويقومون بذلك. وهم يحرصون على إعداد شعوبهم لعالم أكثر تعقيداً، بينما المثقفون الأوروبيون ينظرون للعالم وفقاً لأفكارهم باعتبارهم هم المنتصرون. ولكن الأفكار تتصارع ليس فى فراغ وإنما على أساس التأثير فى العالم الحقيقى. وأضاف بأنه لو نمت وازدهرت أوروبا وآسيا معاً فإنهما سيشكلان محور القارة العالمية. واستطرد بأن العالم يتغير بسرعة، فقد تفكك الاتحاد السوفيتى ودخلت أمريكا عصر النفط الصخرى مما حقق ثورة فى مجال الطاقة ومازال الاتحاد الأوروبى قائماً ونهضت الصين. وإن النظام العالمى ينبغى أن يحرص على توزيع الثروة وبلورة مباديء حول كيف يمكن إدارة القوة ولا يمكن لدولة واحدة أن تسيطر على النظام العالمى. وإن النظام العالمى البازغ ينبغى أن يعتمد على الولايات المتحدة وأوروبا والنظم الآسيوية، وكل من تلك التجمعات لديها خدمات واستثمار وتنمية أساسية وقوة عسكرية بدلاً من سيطرة مفهوم «إن تراجع قوة عظمى وحيدة يؤدى لأن تحل محلها قوة أخرى جديدة وحيدة». ولكن من الضرورى تعدد مراكز القوى وأن يشمل النظام الدولى أمريكا وأوروبا وآسيا وكل منها يمكن أن يحصل على نسبة معينة من حصيلة فى النظام الدولى الجديد إذ أن العالم يعيش حالياً حالة من تعدد الأقطاب تشمل أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا. ونلاحظ هنا أن المؤلف يتسم بعدم الحيادية بل والتحيز للثقافة الأوروبية والأمريكية ونسيان ثقافتين مهمتين الثقافة الإفريقية العربية والثقافة الأمريكية اللاتينية. وكلتا الثقافتين لدى دولهما تطور اقتصادى مهم وكثافة سكانية تزيد مواردها الطبيعية وهذا يدل على أنه مهما كان المفكر مثقفاً فإنه يركز كأولوية، بوعى أو بدون وعى، على ثقافته وثقافة الشعوب والدول التى تعلم لديها أو عاش فيها أو انتمى إليها بأصوله وجذوره.

ولكى ندرك التطور السريع فى النظام العالمى ومقدرته على إعادة تنظيم صفوفه وتحالفاته علينا أن نسترجع قوس عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث ورثت الولايات المتحدة بريطانيا العظمى حليفتها أثناء الحرب، وبذلك قدمت الأمن بإقامة مظلة أمنية لأوروبا لكى يتسنى لها إعادة بناء ذاتها أثناء الحرب الباردة والآن أصبح الاتحاد الأوروبى يمتلك اقتصاداً كبيراً ويلعب دوراً كبيراً فى التجارة العالمية، ويصدر أموالاً للاستثمار فى الخارج أكبر مما تصدر الولايات المتحدة. كما قدمت الولايات المتحدة مظلة أمنية لليابان وكوريا الجنوبية وبذلك مكنت اقتصاد الدولتين أن ينهض بعدعقدين من الحروب. وبما أن العولمة الاقتصادية تسارعت منذ عام 1970

فقد ارتكزت الصين على اقتصاد النظام العالمى الـذى تقوده أمريكا لكى تحل محل اليابان كقوة اقتصادية آسـيوية كبرى بل سـبقت الولايـات المتحدة كأكبر اقتصاد عالمـى وأصبحت على رأس شـركاء التجارة مثل دول كثيرة كالولايات المتحـدة وبانهيار الاتحاد السـوفيتى أصبحت الولايات المتحدة هى القـوة العظمى الوحيـدة وكانت فرصتها خلال عقد التسعينات وبداية الألفيـة الثالثة مما أثبت أن حروب تلك المرحلة فشـلت وأدت للأزمات المالية وتحولت لحظـة المناعة إلى خوف من نتائج امتداد الإمبراطورية. وقد أصبح الإقليمان اللذان أمدتهما أمريكا بالأمن كل منهما يسـتدعى قواه حيث زادت تجارة كل من أوروبا وروسيا مع الصين وأصبحت أكبر من تجارة كل منهما مع الولايات المتحدة وكلاهما نظر لمبادرة الحزام والطريـق BRI كفرصة متاحة لزيادة التجارة عبر القارة الأوروآسيوية الكبيرة ولم يكترث أى منهما بالشكوك الأمريكية حـول الحزام والطريق BRI وكلاهما نظر للعلاقـات والتجارة عبر الأطلنطى بعـدم ارتياح وكلاهما ينظر للمرآة الخلفية ببعض الحنين مثل قائد السـيارة الذى يتجه للأمام وينظر عبر المرآة الخلفية بنوستالجياNostalgia .

ويمكننا القول بارتياح تام أن آسيا اليوم هى القوة الأقوى فى إعادة هيكلة النظام العالمى فهى تقيم مركزاً تجارياً ونظاماً سياسـياً عبر المحيط الهندى يمتد إلى إفريقيا، وتعيد توجيه الاقتصاد والإسـتراتيجية للولايـات المتحـدة وأوروبـا وترفع الجاذبية الآسـيوية وقيمها الاجتماعية فى مجتمعات العالم حيث تسود التنبؤات بطرح السؤال من هى القوة الأولـى؟ Who is the first force? ولكن القوة لا يمكن قياسـها فقط بطريقة حسابية واحدة وبسيطة فالولايات المتحدة لاتزال تقود العالم فى حجم الأسواق نتيجة نوعية مؤسساتها الديمقراطية ومستوى المعيشة المرتفع بوجه عام. وآسـيا عمومـاً والصين خصوصـاً لاتزال تتباهى بـأن لديها حجم السـكان الأكبر والجيوش الأكبر فى العالم، ونسبة المدخرات الأكبر فى العالم، والاحتياطى الأكبر من العملات فى العالـم. وكلا الدولتين لديها نوع مختلف من القوة من حيث الحجم ومن حيث القوة الجغرافيـة، ولذا لا توجد إجابة حاسمة على سؤال من هو الأول فى العالم اليوم؟

ومـن الملفت للنظـر أن الصين عندما كانت الولايات المتحدة هى القوة العظمى الأولى لم تكـن بنفس قوتها الحالية ولذلك ظلـت الولايات المتحدة هى القوة العالمية الوحيدة لعدة عقود فلديها القوة العسكرية الأكبر والاقتصاد الأغنى وقامت بحماية السـلع العالمية المشتركة Global Common Goods فهى المسـتهلك الأخير الذى تلجأ له الـدول لتصدير سـلعها. وهى الدولة التى لديها العملة الوحيدة المقبولة فى العالم. وبالمقارنـة بالوضع العالمى اليوم يظهر التناقض. فاليوم أصبحت الولايـات المتحدة وأوروبا والصين كل منها لديها مـا يزيد عن 10 تريليونات فى الدخل الوطنى. وهناك دسـتة من الدول الأخـرى اقتصادهـا يزيد عن تريليون دولار وهنـاك كثير من الدول أصبحت لديها جيوش قوية وقادرة على الحفاظ على مجالها الحيوى بمفردها أو بالاشـتراك مع آخريـن. فالصين أصبحت قوة كبرى ولكن صعودها أكد تعدد مراكز القوى العالمية وفى نفس الوقت لا تستطيع أية قوة أخرى أن تحل محلها.

ومن الملفـت للنظر أيضاً اليوم أن آسيا هى اللاعب الأكثر قوة وتأثيراً فى النظام العالمى، بـل أصبح لها مركز ونظام آسـيوى تجارى ودبلوماسـى عبر المحيط الهندى إلى إفريقيا وتؤثر فى التوجيه الاقتصادى والإستراتيجى للولايات المتحـدة وأوروبا بل وترفع من شـأن الجاذبية للقيم الاجتماعية والسياسية وأصبح العالم يتساءل من هى القوة الأولى؟Who is the First Power?، هـذا وقـد ظلت الولايات المتحدة هـى القوة العالمية الوحيدة لعـدة عقود فلديهـا القوة العسـكرية الأكبر والاقتصـاد الأغنى وقامت بحماية السلع العالمية المشتركة Global حيث كانت المسـتهلك الأخير الذى تلوذ به كثير مـن الدول الأخرى وهى القوة الوحيـدة التى لديها العملة الرئيسية الوحيدة فى العالم.

ورغم ما سـبق فإنه فى الماضى كانت اليابان هى الدولة الآسيوية المؤثرة واليوم الدولة الآسـيوية الأكثر تأثيراً وقوة هى الصين والهند القوية ومعظم سكانها من الشـباب وقريباً ستكون أكثر من الصين من حيث السـكان من الشباب.. وروسـيا وإيران تتحدث كل منهما عن عضلاتها. ونظرية صامويل هنتنجتون عـن صراع الحضارات فإن معظم مناطق العالم الثقافية فى آسيا مثل الهنـدوس، البوذيون والصينيون والمسلمون واليابانيون ومناطق يطغى عليها الأرثوذكـس أيضاً. ولكن أى من تلك الثقافات لم تسـيطر على غيرها من الثقافات لفترة طويلـة. والنظام الآسيوى لم يمثل كتلة واحدة فى معظم فترات التاريخ وقد ساد آسيا الاستقرار فى معظم أقاليمها وسـادتها السيولة أكثر من التراتيبية (الهيراركية) ولذلك فلن تكون هنـاك قطبية صينية واحدة سواء عالمياً أو حتى آسيوياً فالآسيويون أكثـر ارتياحاً لتعدد الأقطـاب عالمياً بخلاف الأمريكييـن الذين قاتلوا لفترة من تاريخهم الحديث بل إن المفكرين والأكاديميين لديهم يتحدثون ويركزون على مفهوم السيطرة الأمريكية والقطب الأمريكـى الواحد عالميـاً. ولكن كلما تحول العالم إلى التعددية كلما أصبح يشـبه الماضى الآسـيوى. وهنا تبرز أهمية الفهم الصحيح لآسيا فى تاريخها العريق وفى العصر الحديث.

ونرى أن هذا يؤكد من جديد أنه مهما كان صعود بعض الدول الآسيوية فإن المسافة لاتزال بعيدة لتحقيق بعض من التوحد أو التنسيق بين الدول الآسيوية جميعاً كما هو حادث فى أوروبا ومازال المفهوم الإقليمى فى آسيا مسيطراً رغم بعض عناصر التشابك والتقارب.

يوم فى حياة فينا

تخيل لو اســـتيقظت ذات صباح وشعرت بانتعاش، وأمكنك فى خلال نصف الساعة أن تتناول إفطارك وتستحم وترتدى ملابسك الأنيقة وتترك شقتك مرتبة، ثم تمر فى شارعك النظيف بمنازل جميلة لها حدائق صغيرة يتفنن فى رعايتها السكان لتصل إلى مكتب بريد أو مصلحة حكومية، يقابلك فيها موظف بشوش متعاون يعلم دقائق عمله ويؤديه بســـرعة وكفاءة ويقترح الحلـــول المنطقية لأية عقبة تواجهك وكأنه شريك متضامن، وأنك انصرفت شاكراً لتلحق بموعد توقف الحافلة العامة على المحطة فتأتى دون تأخير أو ضجيج، وتجد فيها مقاعد خالية وأناساً تنطق وجوههم بالحيوية والاسترخاء والود.

تصـــل إلى عملك فى موعـــدك تماماً لتجد مكاتب حديثة أنيقة عملية متجانسة، وزملاءك يعملون فى هدوء حتى يعودوا إلى منازلهم فى مواصـــلات مريحة خطوطها متشابكة فلا يحتاجون لاستخدام السيارات إلا للخروج من المـــدن فى نزهات خلوية فى نهاية الأسبوع، لو لم يريدوا الارتباط بمواعيد وخطوط القطارات والطيران.

تخيـــل أن النظام والهدوء يســـودان المدينة، وأن طاقـــات المواطنين موجهة للعمل والمتعة، وأنهم متحابون متضامنون، يتعاملون باحترام ومصداقية، ويشعرون بأمان تحت مظلة قوانين تحمى مصالحهم وتصون حقوقهم وتنظـــم العلاقات فيما بينهـــم والدولة، وأنهم يحســـون بانتماء وفخر بوطنهم، ويحاســـبون سياسييهم على وعودهـــم الانتخابية، ويطلعون على الحقائق السياســـية المحلية والخارجية، ويتضامنـــون مـــع الشـــعوب المقهورة وحقوق الإنسان.

تخيل أن الرياضة وحفلات الموسيقى والمســـرح والمتاحف هى وسائل الترفيه المختارة، وأن الأصدقاء يلتقون فى مقاهٍ أنيقة وحدائق جميلة بكل حى، وأن محال الشراء على جاذبية بضائعها ليست أكثر ما يجـــذب النـــاس، وأن الثقافة والفنون والقراءة تلهمهم الابتكار والتطور وتقربهم من إنسانيتهم وفهم حقائق الحياة وترقى بأسلوب حياتهم وتهذب تعاملاتهم.

يـــدرك بعض منا أن ذلك ليس وصفاً لمجتمعات خيالية، لأنـــه زار مدناً مماثلة كان ذلك طابعها العـــام، وأن ما بها من انحرافات أو جرائم هى اســـتثناءات تثبت القاعـــدة، بل إن مدناً كهـــذه كانت دماراً خلفته حروب، وأعقبها مظالم وسلوكيات تتنافى مـــع الكرامة الإنســـانية، أملتها ضرورات البقـــاء ونزعات وغرائز وطبائع الإنســـان، ولكنهم نفس الأفـــراد الذين بنـــوا بإراداتهم وعلومهـــم واجتهاداتهم ونظمهم مجتمعاتهم مـــن جديد. كما أن

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

مجتمعات أخرى كانت منذ خمسين عاماً أو يزيد ريفية أو متخلفة ومنغلقة وفقيرة، ولكنها اســـتطاعت بتعليم رشـــيد ودون ثراء بالمـــوارد الطبيعية أن تدفع بالتنمية البشرية وتخلق إنســـان المستقبل، فرداً يشـــب على أولويات قيمية وسلوكيات- تتفق وجوهر الأديان- يتحقق من خلالها التقدم والرفاهية والسلام والعدل. فيتعلم الطفل منذ نعومة أظافـــره آداب التعامل والاحترام والتسامح والنظام والجماليات وحب الطبيعة والنظافة والصدق والجدية والاستقامة، ينمون فيه الخيال والمواهب، ويشـــجعونه على التعبير الحر والتلقائية والابتكار، يعودونه علـــى التفكير النقدى وحل المشـــاكل والعمل المضنى والبحث العلمى والإتقان والتعليم الذاتى وعلى أن يكون دوماً مستعداً لتقييم صارم مفاجئ، يشـــعرونه بفرديته وحقوقـــه ويعلمونه تجارب وثقافات الشـــعوب، ينال المجتهد نصيبـــه ويحترم الفرد قواعد المســـاواة والقانون، يقدمون له أعلاماً وثقافة وفنوناً تحترم عقله وآدميتـــه وترقى بمفاهيمه وأساليبه وفكره وتدفعه للعمل والاختراع من أجل المستقبل والآخرين.

لم يدفـــع الدمار أو التخلف والانغلاق والفقر هذه المجتمعـــات إلى زيادة غير محســـوبة لتعـــداد الســـكان تعبيراً عن اليأس أو إصراراً غريزياً غير مسئول على البقاء، فلم تستشـــر فيها أخلاق الزحام واحتفـــظ الفرد بحيز مريـــح من المكان والزمـــان والموارد بـــل وتناقص التعداد أحياناً إن لم يتوازن. والنتيجة هى التنمية البشرية والإنتاجية وما أصبحت عليه تلك المجتمعات الآن، وقد يتطلب الأمر أيضاً فى مصر مشروعات للتنمية الريفية وللخروج من الوادى ولتفريـــغ المدن من الازدحام ووقف الزيادة السكانية.

يتكامل مـــع التعليم والثقافة والإعلام تطور- ولو تدريجي- فى ظل الاســـتقرار والسلام والتنمية وعلاقات خارجية مواتية نحو مجتمع ديمقراطى ينظم العلاقات بين الأفراد ومع الدولة ويوفر خدمات متقدمة، ويتيح حسن توجيه وتنمية طاقات الأفراد والتعبير عن مواهبهم بقوانين متماســـكة تطبق بحزم وتكفل حقوق وحريات الأفراد وأمنهم الشخصى والصحى والاجتماعى. وهكذا يتحول الصراع من أجل البقاء من عشوائية لا أخلاقية تعيسة أنانية ومدمرة إلى تنافس منظم ســـلمى ومتحضر وبناء لصالح الإنسان والمدنية، ويصبح الخيال حقيقة، والصراع من أجـــل البقاء كفاحاً لتحقيق الحلم.

دبلوماسية الأمير عبد القادر الجزائرى

مقاومة الأمير عبد القادر الجزائرى

قاومت جمهورية الجزائر الشقيقة وشعبها الأبى البطل قوات العدوان والاحتلال الفرنسى من عام 1830 حتى عام 1962 أى حوالى مائة واثنتين وثلاثين سنة، قدم خلالها شعب الجزائر تضحيات كبيرة فى الأرواح والأموال، ووصل الأمر إلى أن قوات الاحتلال قامت بإحراق قرى بأكملها، وتابعت جريمة الحرب إلى ملاحقة بعض الأهالى الفارين من القرى إلى رؤوس الجبال والكهوف، وإشعال النيران فى مداخل الجبال حتى يمكن قتل السكان الفارين الآمنين والقضاء عليهم، ثم إرهاب السكان الباقين للتسليم دون مقاومة وإجبارهم على التخلى عن فريضة الجهاد بإدخال الرعب إلى نفوسهم.

وقد قاد الأمير عبد القادر الجزائرى مجموعات من المجاهدين لرد العدوان واستعادة الثقه وعدم التهيب من المعتدين على شعب الجزائر البطل وأرضه الطاهرة ورفع لواء الجهاد الشجاع وإرسال رسالة قوية لجنود العدوان أن راية الجهاد سوف تستمر دون هوادة حتى تتحرر الأرض ويتحقق لشعب الجزائر النصر، وهو الأمر الذى تحقق بعد ذلك عام 1962.

لقد استطاع الأمير عبد القادر الذى تشير المصادر الإسلامية الموثوقة إلى أنه يمتد فى جذوره إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم وأن أسرته وفدت إلى الجزائر من المدينة المنورة فى سابق الزمان، استطاع أن يحشد الجهود ويحيى فريضة الجهاد ضد العدوان على شعبه وأرض بلاده، ويبث روح الأمل فى

سفير احمد زين

AhmedZein@live.com

نفوس جنوده، ويحقق انتصارات عديدة أبهرت قواته وقادة أعدائه على السواء فى معارك عديدة، وتراسل مع بعض قادة الدول الشقيقة مثل المغرب ومصر وغيرهما، وقام بعمل مصانع البارود وغيره من إعدادات معارك التحرير وصد العدوان، وبلغ من شدة إعجاب بعض قادة الاحتلال أن تمنوا رؤيته، ومن بينهم القائد دى ميشيل.

وقد وجد الأمير عبد القادر فرصة ذهبية لشرح جوهر الدين الإسلامى وسط خضم المعارك وأنه دين سلام وأمن للناس ولكنه دين يرفض العدوان ويعلى راية الجهاد وصد العدوان حتى يحار الأعداء فى فهم مضمون وأبعاد هذا الدين، ومن بين تلك الرسائل ما أرسله الأمير للقائد الفرنسى دى ميشيل ركز فيه على بعض المعانى ومن بينها:

أن الله عز وجل طمأن المؤمنين بأن لا يخشون من ضعفهم وأنهم بإيمانهم بالله والثقة بما عند الله فسوف ينصرهم الله بإيمانهم، يقول الله عز وجل (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقد صاغها الأمير فى عبارات أكثر توضيحاً لمن لايعرفون

دبلوماسية الامير عبد القادر الجزائرى

الإسلام بما يقرب الشـــرح الوافى بأن الله قد أمر المســـلمين بأن يؤمنوا بالله ويحافظوا على دينهم واتباع أوامر الله، وأوضح الأمير أن قوة المســـلمين فى إيمانهم، وذلك ليبين للقائد الفرنسى أن القوة العسكرية لاتهزم إرادة المظلومين والمعتدى علـــى أرواحهم وأرضهم وأن الشعب الجزائرى فوق الإعداد العسكرى لديه الاســـتعداد الإيمانى وأنه صاحب حق وأن المعتدى هـــو على باطل وأن الله ينصر الحق ويهزم الباطل، وأن هذا أحد أبرز جواهر الدين الإسلامى، وهذه الرســـالة من الأمير بمثابة أحد وجوه الدبلوماسية الإسلامية فى قلب المعارك الحربية وتقدم للمعتدى واحدة من أهم جواهـــر الدين الذى يعتنقه شـــعب تم الاعتداء عليه وعلـــى أرواح أبنائه وعلى أرضه وثرواته بمختلف أنواعها.

- أضاف الأمير فى رســـالته للقائد الفرنسى أن شـــعب الجزائر لايزعم أن النصر دائماً حليف المسلمين فى الحرب، لأن الحرب دول، اليوم لك وغداً لنا.

- وأكد الأميـــر الحقيقة الإيمانية للمســـلمين بأن الموت فى ســـبيل الله والوطن هو مبعث سرور شعب الجزائر البطل لأنه طريق الشهادة فى سبيل الله ودخول الجنة.

- وفى وســـط الانتصارات التى حققها الأمير عبد القـــادر، طلب قادة الاحتـــلال هدنـــة ووقف القتـــال وقد استجاب الأمير عبد القادر بعد التشاور مع قواته، على أساس الآية القرآنية (وإن جنحوا للســـلم فاجنح لها وتوكل على الله) وعلى أساس أن وقف الحرب مؤقتاً بادرة الخيـــر لوقف إراقة الدماء الذكية والتطلع للأمن وحفظ الأرواح.

- وقـــد طرح الأميـــر على القائد الفرنسى رؤاه كقائد مســـلم يهمه أن يبرز مفهوم الحق وتصوره بأســـلوب دبلوماسى فقال الأمير فى إحدى رسائله للقائد الفرنسى:

- لقـــد طلبت أيهـــا القائد هدنة ولكننى أضع شروطاً لهذه الهدنة وهى شـــروط تتفق مع إيمان شعب الجزائر وهى بالنسبة له مقدسة.

- أنه إذا لم يبق إلا نســـمة واحدة من شعب الجزائر فإن الجهاد لن يتوقف حتى يتم التوصل إلى نهاية الاحتلال.

- أنه يجـــب أن تعلن أيها القائد الفرنسى شروطك للسلام والتوصل لتلك الهدنة، ولسوف يعاونك الله فى تحقيق متطلبات السلام.

- لقـــد أكدت أيهـــا القائد على نفوذ وقوة بلادك فرنسا وقللت من قوة ونفوذ الجزائر ولكن إذا رجعت للقرون الأولى فســـوف يتبين لك قوة المسلمين وأنهم كانوا دائمى الانتصار فى النهاية بســـبب قوة إيمانهـــم وأن قوتهم عند الحق مستمدة من روح الله الذى ينصر المظلومين.

- وقد واصل الشـــعب الجزائرى البطـــل كفاحه عقب وفـــاة الأمير عبد القادر حتى تحقق له الاســـتقلال، وقد صدقت نبوءة الأميـــر عبد القادر للقائد الفرنســـى دى ميشيل بحجم تضحيات شـــهداء الجزائر الذى يفـــوق المليون شـــهيد فى ســـبيل الله وحماية الدين والنفس والعرض والأرض والاستقلال والحرية والكرامة، وفى خضم المعارك والحروب لم ينس الأمير عبد القادر أن يقدم نموذجاً للدبلوماســـية الإسلامية وشرح جوهر الإسلام فى رفض العدوان وأن الإسلام دين الســـلام والأمن وقوة الإيمان، الذى يفوق تصور الأعداء وأنه فى الوقت الذى يمكـــن أن تنهزم إرادة أمم أخرى عظيمة فـــى قوتها ومنعتها إلا أنه يمكن أن تنهار إرادتها وعزيمتها عند التغلب عليها من قوة أخرى معتدية فإن المسلمين لاتنهار قوتهم وعزيمتهم فى الحق مادامـــوا هم المظلومين وهم المعتدى عليهم ولأن عقيدتهم تخبرهم أن اللـــه ناصـــر المظلوميـــن مادامو ينتصـــرون لدينهم وإيمانهـــم بالله، وهو ما وقر فى قلـــوب قوات الاحتلال أنهم يواجهـــون قوة غير تقليدية، وغير معهودة مثل بعض الأمم الأخرى التى لم تنعم بعد بهذا الدين الحنيف.

- وتبدو رسالة الأمير عبد القادر للقائد الفرنســـى وقواتـــه وفى أحلك لحظـــات المعارك أنها دعـــوة للتفكر فى عقيدة الشـــعب المعتدى عليه وقد

معركة الزمالة، تحت قيادة الأمير عبد القادر يوم 16 مايو 1843.

كان الأمير بهذه الرسالة يقدم نموذجاً فريداً للدبلوماسية الإسلامية إلى القائد المعتدى، وأنه أمام خصم مسلم أقوى وأكبر من معتدٍ يتحصن بالسلاح والقوة النسبية والانتصار المؤقت، وأن شعب الجزائر بعقيدته الإسلامية شعب لايقهره ظالم معتدٍ وأن على المعتدى التفكير فى هذه الرسالة الدبلوماسية فى الكف عن الأذى ووقف العدوان على شعب أبى كريم، وهو ما تحقق لشعب الجزائر البطل عام 1962.

- إن الدول والكيانات التى تعتدى على المسلمين ظلماً وعدواناً، تسكرهم قوتهم الباغية عن حقائق وجوهر الدين الإسلامى الحنيف ولايتصورون حجم وأبعاد روح الإيمان بالنصر على خلاف مظاهر القوة الظاهرة، والنشوة الزائفة بانتصارات مؤقتة على مسلمين يملأ قلوبهم الإيمان بالله ووعده بالنصر المبين يقول الله عز وجل (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) صدق الله العظيم.

- سلام إلى أرواح شهداء الجزائر الأبرار خاصة وشهداء العرب والحرية عامة، فى كل حروب الظلم والعدوان سواء من قوة أجنبية أو غير أجنبية، وألا لعنة الله على الظالمين.

وفى هذه الأيام التى تمر بالجزائر الشقيق ندعو الله ثم نناشد شعب الجزائر العظيم أن يلهمه الله الحكمة وألا يستجيب لدعاوى نبذ أية فئة من الشعب واليقين بأن أرواح ما يزيد عن مليون شهيد وشهيدة ومنهم الشهيدة البطلة الشجاعة الجسورة الأبية الشهيدة حبيبة بنت بوعلى وصويحباتها الكرام اللائى قدمن أرواحهن فداء للوطن، أن يظل شعب الجزائر على وحدته ووئامه وهدوئه وحكمته وأن يصغوا إلى قياداتهم على مختلف المؤسسات الدستورية للدخول فى حوار وطنى بناء وهادىء وبعيد عن أى تدخل أجنبى أو اندساس لمحاولات الأعداء المتخفين وراء الحجب المتآمرة، وأن يثبتوا للعالم أجمع أنهم شعب كما ضحى بأرواح مليون شهيد، فإنه شعب يتحلى بخبرة السنين واستلهام أرواح الشهداء فى الحفاظ على الوطن وحدة واحدة وسيصل إلى عقد اجتماعى جديد يصوغه أحرار أبرار وحكماء وعقلاء الجزائر وأن الجزائر أمة واحدة لاتنفصم ولاتتجزأ ولاتمس حقوق الشعب الأبى ولا مؤسساته كلها بلا تفصيل ولاتمييز، وإن جيش الجزائر العظيم يحمى ويحمى دوماً الوطن والمواطن معاً وحدة واحدة لاتتجزأ على مر الزمان والله أكبر والنصر للجزائر العظيم وللوحدة الوطنية الجزائرية المنصهرة فى بوتقة واحدة.

استسلام الأمير عبد القادر، يوم 23 ديسمبر 1847.

المراجع:

- كتاب «الأمير عبد القادر الجزائرى» الذى أعدته وزارة الثقافة الجزائرية.
- كتاب «الجزائر للجزائريين» الذى أعده الأستاذ محفوظ كداش طبعة عام 2000.

تقدمها نادية الريس

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

استهلت الرابطة موسمها لهذا العام بمحاضرة ألقتها الزميلة الدكتورة نهاد سيف اليزل بعنوان (البروتوكول- والأعياد القومية) وذلك بالنادى الدبلوماسى النهرى بالجيزة.

وقد شمل اللقاء عدة نقاط أهمها:

- الفرق بين البروتوكول والإتيكيت- مبادىء البروتوكول (أمثلة).
- أسبقيات الجلوس فى موائد العشاء- السيارات- السلام.. إلخ.
- الملابس: لا يوجد لمصر زى قومى.
- طرق الاعتراض حين تجاوز الأسبقية (وعدم رد الإساءة بالإساءة).
- أصول وقواعد رفع العلم.. عدة أمثلة.
- حالة تنكيس العلم.

وقد دارت مناقشة واسعة عن قواعد البروتوكولات وأجابت الزميلة عن جميع الأسئلة التى طرحتها الزميلات الحاضرات، وتطرقنا لما يجب أن يكون عليه حفل الاستقبال الذى يقام للعيد القومى، مع وعد بلقاء آخر قريب.

ولا يفوتنى أن أتقدم باسم جميع الزميلات بوافر الشكر للدكتورة نهاد على هذا الجهد والوقت المفيد الممتع وآمل أن تكون الزميلات العاملات قد استفدن قدر الإمكان منه.

* سوف تعقد الجمعية العمومية لرابطة زوجات الدبلوماسيين يوم 24 نوفمبر القادم بنادى التحرير فى العاشرة صباحاً إن شاء الله.

هذا وسوف نناقش ميزانية العام لإقرارها، ثم تعقد انتخابات لانتخاب مجلس جديد لرابطة زوجات الدبلوماسيين على قانون رقم 149 لسنة 2019 ولائحة قانون 84 (الملغى) طبقاً للمادة السابعة من قانون 149 لسنة 2019 بما لا يتعارض مع القانون المذكور.

هذا وقد تم فتح باب الترشيح يوم 15 سبتمبر وتم إرسال الخطابات لسيادتكم بالبريد المسجل بعلم الوصول وأغلق باب الترشيح يوم 22 سبتمبر. وقد تقدم للترشح عشرة أسماء، خمسة من العاملين وخمسة من المعاشات، وتم تعليق الأسماء بالمقر (نادى التحرير)، كما تنص اللائحة فى اليوم التالى لغلق باب الترشح وأرسلت الأسماء للجهة الإدارية (وزارة التضامن).

وسوف يقام معرض التصوير الفوتوغرافى الرابع لزوجات وأبناء الدبلوماسيين بالتعاون مع المركز المصرى للعلاقات الثقافية الخارجية التابع لوزارة الثقافة فى العاشر من نوفمبر القادم بإذن الله.

إلى اللقاء مع أنشطة الرابطة فى الشهر القادم بإذن الله.

رئيس رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

نادية الريس

اللغة العربية بين لغات العالم فى القارة الإفريقية

تعد العربية من أقدم اللغات السامية، وأكثر لغات المجموعة السامية متحدثينَ، وإحدى أكثر اللغات انتشارًا فى العالم، يتحدثها أكثر من 500 مليون نسمة ويتوزع متحدثوها فى المنطقة المعروفة باسم الوطن العربى، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة، وهى من بين اللغات الأربع الأكثر استخدامًا فى الإنترنت، وكذلك الأكثر انتشارًا ونموًا متفوقةً على الفرنسية والروسية.

سفيرة د.عبير بسيونى

abassiouny@hotmail.com

اللغة العربية جمعت الدول العربيّة فى محفل «الجامعة العربية» الذى تأسس بالقاهرة 1946. عدد الدول العربيّة يبلغ 22 دولة، تتوزّع هذه الدول على قارتين، هُما: آسيا وإفريقيا، ممَّا يجعلُها فى منطقةٍ إستراتيجية مُتوسّطة للعالم القديم، وذلك أعطى هذه الدول أهميَّةً كبيرةً فى العصور الوسطى، ولها أيضاً أهميَّةٌ تجاريّة لوُقوعها وسط طُرق مهمّة لحركة الملاحة والتجارة، ففيها مصر صانعة قناة السويس، وهى تُطلّ على البحر الأحمر والبحر المتوسّط والمُحيط الأطلنطى. يعيشُ ثلاثة أرباع العرب فى الجانب الإفريقى، والباقون فى شبه الجزيرة العربية والعراق والشام، وكذلك فإنَّ مُعظم مساحة الدول العربيَّة هى في إفريقيا، فرُغم أنَّ للعالم العربى مساحةً شاسعة تبلغُ 13.4 مليون كيلومتر مُربّع، إلا أنَّ 78٪ منها تقعُ فى شمال وشرقى قارة إفريقيا.

اللغة العربية ذات أهمية كبيرة لدى المسلمين، فهى لغة القرآن، ولا تتم الصلاة فى الإسلام إلا بإتقان بعض من كلماتها. والعربية هى أيضاً لغة شعائرية رئيسية لدى عدد من الكنائس المسيحية فى الوطن العربى، كما كتبت بها الكثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية فى العصور الوسطى، فكان لها بالغ الأثر فى اللغة والدين والأدب اليهودى.

وفى عام 1960 اتخذت اليونسكو قراراً يقضى باستخدام اللغة العربية فى المؤتمرات الإقليمية التى تُنظَّم فى البلدان الناطقة بالعربية وبترجمة الوثائق والمنشورات الأساسية إلى العربية واعتُمد فى عام 1966 قرار يقضى بتعزيز استخدام اللغة العربية فى اليونسكو وتقرر تأمين خدمات الترجمة الفورية إلى العربية ومن العربية إلى لغات أخرى فى إطار الجلسات العامة. وفى عام 1968 تم اعتماد العربية تدريجياً لغة عمل فى المنظمة مع البدء بترجمة وثائق العمل والمحاضر الحرفية وتوفير خدمات الترجمة الفورية إلى العربية.

واستمر الضغط الدبلوماسى العربى، حتى تحقق النجاح عام 1973، وبعد إصدار جامعة الدول العربية فى دورتها الستين قراراً يقضى بجعل اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية للأمم المتحدة وباقى هيئاتها، ترتب عنه صدور قرار الجمعية العامة فى نفس العام يوصى بجعل اللغة العربية لغة رسمية للجمعية العامة وهيئاتها ومن بعدها أصبحت لغة رسمية.

والآن، اللغة العربية هى إحدى اللغات الست الرسمية فى الاتحاد الإفريقى: والأولى فى الاعتماد، العربية والإنجليزية والفرنسية والبرتغالية والإسبانية والسواحيلية. كما أنها اللغة الإفريقية الوحيدة المعتمدة بين اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة وهى العربية والصينية والإنكليزية والفرنسية والروسية والإسبانية. وفى أكتوبر 2012 عند انعقاد الدورة 190 للمجلس التنفيذى لليونسكو تقرر تكريس يوم 18 ديسمبر يوماً عالمياً للغة العربية، واحتفلت اليونسكو فى تلك السنة للمرة الأولى بهذا اليوم. ومنذ ذلك الوقت تم اعتماد اليوم العالمى للغة العربية كأحد العناصر الأساسية فى برنامج عملها لكل سنة.

وكانت اللغة العربية جسراً حضارياً مهماً للتواصل الحضارى مع إفريقيا. فانتشرت اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم، ولغة العلم، والمعرفة، والتجارة. وقد انتشرت هذه اللغة أو مكوناتها، فى إفريقيا، التى تأثّرت معظم لغاتها ولهجاتها أيّما تأثّر باللغة العربية والحرف العربى. ولفترة ليست بعيدة كانت اللغة العربية، اللغة الأكثر استخداماً فى كثير من الدول الإفريقية، كما أنّ الحرف العربى هو الحرف الذى اعتمدته معظم اللغات أو اللهجات غير المكتوبة. لكن مع دخول المستعمر الأوروبى إلى القارة الإفريقية، حصل تراجع فى استخدام اللغة العربية والحرف العربى فيها، فأول ما قام به هذا المستعمر بعد نهب الثروات، محاربة اللغة العربية، وتشجيع انتشار لغاته وثقافته بوسائل أهمها تعزيز اللهجات المحلية، للقضاء على أيّ أثر ثقافى عربى، ولعزل الشعوب الإفريقية عن محيطها الطبيعى للتفاهم مع بعضها البعض، وللحيلولة دون أيّ تقارب عربى - إفريقى.

وفى القرن العشرين لم يؤد خروج المستعمر إلى عودة اللغة العربية والحرف العربى، فقد أبقى الاستعمار على لغته وثقافته، وسعى للحفاظ عليها بشتى الوسائل. إلا أننا نشهد منذ فترة، عودة للاهتمام باللغة العربية فى عدد من الدول الإفريقية، رغم طغيان اللغة الإنجليزية فى عصر العولمة الثقافية.

ولعلّ من وشائج الاتصال العربي-الإفريقى ومن أهم مظاهر الثقافة العربية الرائجة فى إفريقيا نشأة الثقافة السواحيلية واللغة السواحيلية، وقد ظهرت هذه الثقافة فى القرن الثامن الميلادى، وتمركزت فى منطقة شرق إفريقيا وبعض الجزر المحيطة بها... والسواحيلى هو هجين من عربي- إفريقى، اقتبس كثيراً من الكلمات العربية، التى تمثّل 20٪ فى لغة التخاطب، و30٪ من السواحيلية المكتوبة، و50٪ من السواحيلية القديمة، ولقد كتبت السواحيلية أصلاً بالحرف العربى، مثل كثير من اللغات الإفريقية ذات المنبت المماثل. ولم يقتصر تفاعل وتأثير اللغة العربية على اللغة السواحيلية فقط، وإنما امتد إلى لغات أخرى بعضها يُتحدث به فى شرق إفريقيا مثل الصومالية التى هى من مجموعة لغات الكوشية، وتعدّ اللغة الرسمية التى يتحدث بها سكان الصومال، وقد كانت تكتب بالحرف العربى حتى وقت قريب. وفى وسط وغرب إفريقيا نجد لغة الهوسا، وهى لغة تشادية تنتمى لعائلة اللغات الأفروآسيوية، والتى سبق وكتبت بحروف عربية يتحدث بها نحو 28 مليون شخص كلغة أولى، و18 مليوناً كلغة ثانية، وأغلب متحدثيها موجودون فى النيجر، وشمال نيجيريا، وغانا، وتوجو، وبنين، بالإضافة إلى السودان، وتشاد، والكاميرون، وبوركينا

فاسو، كما يستخدمها ناطقون بلغات أخرى فى أغلبية إفريقيا الغربية، وخاصة بين المسلمين. والهوسا لغة رسمية فى شمال نيجيريا، وتعدّ اللغة الثانية بعد العربية من حيث عدد الناطقين بها فى إفريقيا. وفى أقصى غرب إفريقيا، نجد من بين اللغات الإفريقية التى كُتبت بحرف عربى لغة الولوف، وهى لغة قبائل الولوف الذين يشكّلون 26٪ من عدد سكان السنغال، و15٪ من سكان جامبيا وموريتانيا، وهى اللغة الثانية فى السنغال حيث يتحدث بها نحو 30٪ لأنها تعدّ لغة تجارة. هذا إلى جانب العديد من اللغات الإفريقية الأخرى التى كُتبت بالحرف العربى، مثل: التجرينية، والعفرية، والأورومية، وغيرها من بين 700 إلى 1000 لغة إفريقية محلية، بحسب تقدير علماء اللغة فى العالم. وقد مارست اللغة العربية تأثيراً ثقافياً واسعاً فى الميراث التاريخى والحضارى الإفريقى سواء من خلال تأثيرها وإسهامها فى اللغات السائدة كالصومالية وإنشاء لغات جديدة كالسواحيلية ووسيطة كالهوسا أو من خلال الدور الذى قامت به اللغة العربية باعتبارها أداة اتصال، حيث يقبل عدد كبير من الأفارقة على تعلّم العربية، فهى أكثر اللغات انتشاراً فى إفريقيا، إذ يتحدث بها نحو خُمس سكان القارة.

واليوم يُقدّر عدد اللغات الإفريقية بين 600 و1000 لغة. أغلبها كانت لغات شفوية، ليس لها تراث مكتوب، وأما اللغات المكتوبة منها، وهى حوالى ثلاثين لغة، فكانت كلّها تصطنع الحرف العربى فى كتابتها، وبذلك أصبح الحرف القرآنى العربى، قناة أخرى أساسية للتواصل بين الشعوب الناطقة بهذه اللغات المكتوبة. وقد ظلّ الأمر كذلك إلى عهد قريب جداً، أى إلى حين سيطرة الاستعمار على مختلف أنحاء القارة، فناهض الحرف العربى، وأحلّ بالقوة، حروفه اللاتينية، محل الحرف القرآنى، فأصبحت هذه اللغات تكتب باللاتينية بعد أن كتبت قروناً طويلة بالعربية.

وقد حاول الاستعمار بكل الطرق النيل من أواصر الرباط الوثيق بين الحضارة العربية- الإفريقية، ففى شرق إفريقيا وقع صدام عنيف بين البرتغاليين والمراكز التجارية والمدن والإمارات التى أسسها العرب، وخاض العرب والأفارقة كفاحاً مشتركاً لتحرير تلك الشواطئ فى منطقة شرق القارة من الغزو البرتغالى. كما عملت القوى الاستعمارية البريطانية والألمانية على تفكيك سلطنة زنجبار العربية عندما احتدم التنافس البريطانى الألمانى على شرق إفريقيا، والذى انتهى بفرض الحماية البريطانية على هذه السلطنة، وبعد انتهاء الحماية البريطانية قامت جمهورية تنزانيا من تنجانيقا وبقايا سلطنة زنجبار العربية. وحارب المستعمرون اللغة العربية وظهرت مشكلة اللاتعريب ومحاولة تغيير الهوية الثقافية لإفريقيا عن طريق عدة وسائل أهمها تقسيم القارة إلى شمال الصحراء وجنوب الصحراء (مع أن الصحراء لم تكن من قبل المد الاستعمارى فاصلاً إنما امتلأت دروبها بالتجار العرب والأفارقة)، وعمل الاستعمار على إضعاف الوجود الشمالى فى الجنوب بمنع العرب المسلمين من الشمال من دخول الجنوب. وسد الإيطاليون باستعمارهم لمناطق شرق إفريقيا المنافذ التى كان يستخدمها التجار العرب الذين كانوا يتوغلون داخل القارة حاملين معهم الإسلام والحضارة واللغة العربية. كما قضت إيطاليا فى طرابلس على تجارة القوافل الليبية إلى داخل القارة الإفريقية. وفى منطقة الكونغو وقع قتال عنيف بين الاستعمار البلجيكى من جانب والمعارضين له من العرب القادمين من شرق إفريقيا والوطنيين من جانب آخر. وكان ذلك سبباً فى النزاع البلجيكى العربى الذى نشب مع أواخر القرن التاسع عشر وصوره البلجيكيون كذباً وادعاءً باطلاً على أنه حملة لمناهضة تجارة الرقيق وأسفر بنجاح البلجيكيين المستعمرين إلى انتهاء الوجود العربى فى شرق إفريقيا، إلا أن أثر الحضارة العربية لم ينته باعتراف البلجيكيين أنفسهم. وعمل الاستعمار على تحجيم الامتداد المصرى إلى الجنوب، وقاوم المستعمر كل ملامح وآثار التواجد المصري- المسيحى (فمصر صاحبة أول كنيسة فى العالم المسيحى، وأول كنيسة إفريقية المنشأ) والمصري- الإسلامى بنشر اللغات والبعثات التبشيرية الغربية فى مناطق المستعمرات.

وكما أثرت الحضارة العربية فى الحضارات الإفريقية، قدمت إفريقيا الكثير والكثير للحضارة الإسلامية والعربية. على سبيل المثال.. لقد طوَّر المسلمون بإفريقيا طرازًا معماريًّا فريدًا للمسجد عُرف بالطراز التمبكتى، ولهذا الطراز تفرُّعات بمنطقة حوض فولتا فى شمال ساحل العاج وغانا وبوركينا.. وهى مطابقة لظروف الواقع والمناخ ومع المعمار العامّ للمدينة الإفريقية.. بعض تلك المساجد يتميز بوجود طقس طبيعيٍّ بارد بداخلها فى عزِّ الصَّيف! وللأفارقة أيضاً إسهامات مميزة فى اللغة العربية، فقد طوَّروا أنواعاً خاصَّة من الخط العربى عرفت بالخط السودانى أو التمبكتى، والخط السودانى الهوساوى، والخط الصحراوى.

وهكذا فإن الاستعمار على اختلاف مصادره وأشكاله حاول إضعاف الروابط العربية الإفريقية وطمس معالم تاريخ العرب فى إفريقيا، إلا أنه فى الوقت ذاته عزز من شعور العالم العربى والقارة الإفريقية بأنهما يواجهان مصيراً مشتركاً وتهديداً واحداً. ولهذا نجد أن العلاقة الحضارية الإفريقية- العربية تمتدُّ لأكثر من ألف عام، وهى علاقة التزام عقدى روحى، وآثارها الباقية فى الثقافة الإفريقية أكثر كمّاً وكيفاً. كذلك فإن المؤلفات التى كتبت باللغة العربية أو باللغات الإفريقية بالحرف العربى هى جميع تراث إفريقيا الفكرى. تضاف إلى هذا كله حقيقة أخرى هى أنّ العرب جزء أصيل من النسيج الإفريقى يمتد فى إفريقيا امتداداً طويلاً أرضاً وبشراً وثقافة، والعربية هى أكبر اللغات الإفريقية كلها، بل إنها أكبر من أية لغة أوروبية منفردة، وهى لذلك، تعدّ اللغة الإفريقية الحية والعالمية، وتكاد تكون الوحيدة المستعملة رسمياً فى المنظمات الإفريقية، إلى جانب اللغتين الفرنسية والإنجليزية. لذا، فالتحية والتذكير واجب للغة والثقافة العربية بالقارة الإفريقية.

خواطر ليلية

التنظير الغربى للصراع الحضارى

رغم اقتناعى التام بأن ما بين الإسلام والغرب ليس صراعاً حضارياً، إلا أن مناقشة الأطروحات الغربية بهذا الخصوص تعد أمراً مفيداً وضرورياً لفهم ما يدور حولنا من اتهامات، ومن محاولات للاحتواء، بل للتغيير تحت مسمى تجفيف المنابع، وهى المحاولات التى بدأت تتجه إلى أصول الدين الإسلامى الحنيف.

السفير أشرف عقل

ونعرض هنا لعدد من المدارس الفكرية التى لم يكن بعضها معادياً للإسلام، مثل «أرنولد توينبى»، فى حين كان البعض الآخر معادياً بصورة واضحة مثل «برنارد لويس وصمويل هنتنجتون وفرانسيس فوكوياما». وقد وظفت الكتابات الأمريكية الفكرية والسياسية هذه الأفكار فى أطروحات نظرية عديدة ترى معظمها أن المسلمين جيش عاطفى وغير عقلانى ومعاد للغرب، وهو ما نشير إليه فيما يلى:

أ - أرنولد توينبى Arnold Toynbee ونظريته فى الصراع

هو فيلسوف ومؤرخ إنجليزى ولد بلندن عام ١٨٨٩م وتوفى بها فى عام ١٩٧٥م. ويعد من أكبر المؤرخين فى العالم فى القرن العشرين. من أشهر أعماله كتابه الضخم «دراسة للتاريخ A Study of History » الذى ضم ٢١ حضارة، وكتاب «الإنسان وأمنا الأرض Mankind and Mother Earth».

يفسر توينبى نشوء الحضارات الأولى أو كما يسميها «الحضارات المنقطعة» من خلال نظريته الشهيرة الخاصة بـ«التحدى والاستجابة» التى يعترف بأنه استلهمها من علم النفس السلوكى، حيث يقول إن الفرد الذى يتعرض لصدمة قد يفقد توازنه لفترة ما، ثم قد يستجيب للصدمة بنوعين من الاستجابة: الأولى، سلبية وهى النكوص إلى الماضى لاستعادته والتمسك به تعويضاً عن واقعه المر فيصبح انطوائياً. والثانية، إيجابية وهى تقبل الصدمة والاعتراف بها، ثم محاولة التغلب عليها فيكون فى هذه الحالة انبساطياً. وهو ما ينطبق على العرب حيث تعرضوا لصدمة الحضارة فلجأوا إلى الماضى دفاعاً عن النفس.

وفى الواقع لا يعد توينبى معادياً للإسلام، رغم أنه من أوائل الذين أبرزوا طابع الصراع فى العلاقات الدولية، وكانت له نظرية مشهورة عن تعاقب الحضارات. وقد أنصف الحضارة الإسلامية فى كتاباته فهو يقول «إن الصراع موجود فى العالم وفى العلاقات الدولية منذ زمن طويل، وإن العالم الغربى هو الذى كان يقود هذا الصراع ويخلقه، على الأقل طوال الخمسة قرون الماضية، وإن أحداً لم يكن يبدأ بالعدوان عليه ولكن العكس هو الصحيح.

وعن العلاقة بين الإسلام والغرب يحدد توينبى العناصر التالية:

١ - أن الإسلام فى العصور الحديثة يقف فى موقف الضعف من الحضارة الغربية لسبب رئيس هو أنه لا يحوز القوة الاقتصادية ولا العلمية التى تمكنه من اللحاق بالغرب أو مواجهته.

٢- أن الغرب يشن هجوماً على كل القوى فى هذه العصور الحديثة لكى يخضع العالم كله، وليس العالم الإسلامى فقط، لهيمنته.

٣- أن الغرب أخضع معظم أجزاء العالم الإسلامى لسيطرته بأساليب وطرق عديدة.

٤- أن المسلمين واجهوا هذه الهيمنة بأسلوبين مختلفين:

- أولهما سلبى، وهو رفض الغرب وأنظمته وهيمنته رفضاً كاملاً، وعدم الاعتراف بأى شئ جديد والانطواء على الذات.

- والثانى إيجابى، ويتمثل فى الاستجابة الفعالة والاعتماد على مواصلة الهجوم بنفس أسلحته وأدواته. لذا أسرعت بعض القوى الإسلامية إلى الأخذ بالتحديث، والأخذ بالأنظمة الغربية والنقل عنها (تجربة محمد على فى مصر، وتجربة كمال أتاتورك فى تركيا).

والواقع أن توينبى قد انتقد التجربتين، لسبب رئيسى واحد هو أن أغلبية الشعب لم يحصل على ثمار التجربة، وإنما استفادت منها فئة قليلة، وعلى حد قوله، فإن الغالبية ليس لديها مجرد أمل فى أن تصبح عضواً فى الطبقة الجديدة.

وهنا يجب التركيز فى دراسات توينبى على أمرين:

- الأول: فكرة الصراع، والثانى: فكرة تعاقب الحضارات والتى تقوم على وحدة البشرية وتأكيد قيمة التاريخ وحضارات العالم كله، ومشاركتها جميعاً فى التفاعل والأخذ والعطاء. وهنا، فإنه ينتقد الفكر الغربى الذى يركز على التراث ويعتبر نفسه أذكى وأسمى من الآخرين، ويشير توينبى إلى أن الحضارة الأوروبية لم تكن هى الحضارة الفاعلة الوحيدة على المسرح الدولى، وإنما شاركتها الحضارات الأخرى فى القوة والنبوغ والتأثير.

والخلاصة، إن توينبى فيلسوف منصف للحضارة الإسلامية بالذات، لكن الأفكار الأمريكية التى أخذت منه فكرة الصراع، وجعلت منها أساس العلاقات الدولية، لم تنصف الحضارة الإسلامية، بل أتت بأفكار غربية جعلت المسلمين

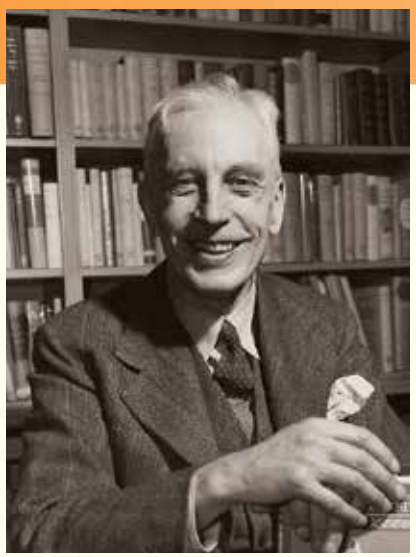

أرنولد توينبى

برنارد لويس

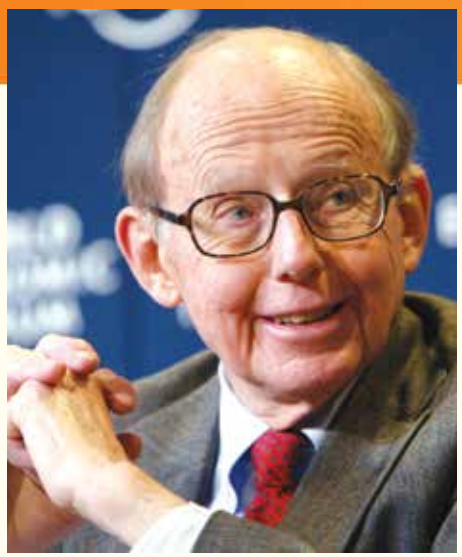

صامويل هنتنجتون

الآن يمرون بمحنة.

ب - نظرية برنارد لويس والأصولية الإسلامية

برنارد مـــؤرخ يهـــودى بريطانى أمريكى من مواليد ١٩١٦م بلندن توفى عـــام ٢٠١٨ م، لعـــب دوراً كبيراً فى تشكيل نظرة الغرب إلى الإسلام والشرق الأوســـط، وهو صاحب مخطط تقسيم الشرق الأوسط إلى دويلات متناحرة.

قدم تنظيراً صعباً وغير علمى للعلاقة بين الإســـلام والغرب، وقد حصل على جائزة مهمة فى الدراســـات الاجتماعية عن دراسته التى قدمها ونشرها بعد ذلك فى كتاب بعنوان «الأصولية الإسلامية». وتتلخص رؤيته فيما يلى:

- أن الصراع بين الإســـلام والغرب قديم، وقد استمر على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان، وتضمن سلسلة طويلة من الضربـــات والضربات المضادة بين الجانبين.

- أن الإسلام والمســـلمين كانوا هم المحرضون والدعـــاة دائماً إلى الحرب والجهاد، فالإســـلام عدوانى بطبيعته، على حين وصف الغرب بأنه دفاعى يرد بهجمات مضادة على نحو ما تجلى فى الحروب الصليبية .

- أن المســـلمين يمثلون الآن تهديداً ثلاثيـــاً للحضـــارة الغربية، سياســـياً وحضارياً وســـكانياً، وقـــد ركز برنارد لويس على الصراع الحضارى بوجه عام.

- أن المســـلمين يعتبرون الولايات المتحدة الآن عدوهـــم الأكبر، وأن هناك نزاعاً وشيكاً ســـيقوم بين الغرب وبين المســـلمين، ويضيف لويس قائلاً «إن معظم العالم المســـلم تسيطر عليه الآن حالة عامة من الكراهيـــة تجاه الغرب، أو أن أمريكا عندهـــم هى العدو الأكبر، والخصم الشيطانى للإسلام والمسلمين».

-أن المســـلمين، بزيهـــم ولحاهم وعمائمهـــم، يعيشـــون فـــى العصور الوســـطى، ويهددون الغـــرب، لذا تم تصوير القنبلة الباكســـتانية على أنها قنبلة إســـلامية، بما يعنيـــه ذلك من أن هناك عالماً مسلماً متحجراً يهدد إسرائيل والغرب.

- أن المســـلمين الآن يمثلون ثورة باعتبارهم أقلية مهمشـــة، ويتســـمون بالعنف ويحاربون الحداثة والمعاصرة، وهو يعبر عن خطورة الأصولية الإسلامية بقوله «إن ما يصعـــب علينا رؤيته هو كيف ســـتتمكن ديمقراطيـــات القرن الحادى والعشرين من العيش فى سلام مع قوى عقدت العزم على أن تبرهن أن الألف سنة الأخيرة لم تحدث.

ج - نظريـــة هنتنجتون عن الصدام بين الحضارات

هـــو مفكر محافظ وعالم سياســـة أمريكـــى ولد فـــى ١٩٢٧م وتوفى فى ٢٠٠٨ م، ويعد أحد أكثر علماء السياسة تأثيراً فـــى النصف الثانـــى من القرن العشـــرين، وعرف من خلال أطروحته «صراع الحضارات» التـــى جادل فيها بـــأن صراعات ما بعد الحـــرب الباردة لن تتمحور حول خلافـــات أيديولوجية بين الدول القومية، بل بسبب الاختلاف الثقافى والدينى بين الحضارات الكبرى فى العالم .

بعبارة أخرى، فإنه يرى أن الصدام بين الحضارات هو الذى سيحكم الشئون السياســـية فى العالـــم، وأن الخطوط الفارقـــة بين الحضـــارات هى خطوط القتال فى المستقبل، وأن الحرب العالمية الثالثة ستكون حرباً بين الحضارات .

د- نظرية فوكوياما فى نهاية التاريخ

ولـــد فرانســـيس فوكويامـــا فى عـــام ١٩٥٢م. وهو عالم وفيلســـوف واقتصادى وسياســـى أمريكى، ارتبط اســـمه بالمحافظين الجدد، ولكنه أبعد نفســـه عنهم فى فترات لاحقة، اشتهر بكتابه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» الصادر عام ١٩٩٢م والذى سار فيه على نفس الخط السابق حيث ذكر أن انتشار الديمقراطيات الليبرالية والرأســـمالية والسوق الحرة فى أنحاء العالم قد يشير إلـــى نقطة النهاية للتطـــور الاجتماعى والثقافى والسياسى للإنسان.

بمعنى آخر، فهو يرى أن الحضارة الأوروبية بفكرها ومؤسساتها هى نهاية التاريخ، وأنها متفوقة على كل الحضارات الأخـــرى، وأن المســـلمين الآن يقودون حملة للهجوم على هذه الحضارة وأنهم الأعداء للتقدم وللفكر الغربى .

والخلاصة، أن هذه الأفكار مغلوطة وليـــس لها أى أســـاس علمـــى، لكنها تجابهنا كعالم إسلامى، وتفرض علينا أن نواجهـــا، وأن نواجه كذلك المخططات التى بنيت عليها، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م .

مـثل إيـكاروس

أحمد خالد توفيق

الرواية تبدأ بالتحقيق فى جريمة قتل - القتيل هو المنتحر- الذى أودى بحياته، كما استند التحقيق بعد تشريح الجثة، فالتشويه الذى أصاب هذا الجسد، لا يقوم به إلا القتيل نفسه.. إذاً فهى حالة انتحار، وهكذا تبدأ الرواية، التى وإن بدت أنها عمل أدبى بوليسى، إلا أنها فلسفية ونفسية. عمل أدبى يقوم على نموذج قاس لبانوراما أو دراسة لحالة منتحر.. ربما كان نموذجاً لأمثاله من الشباب، الذين عاشوا وماتوا وهم ضحايا لمجتمع كان قاسياً فى التعامل معهم.

يقول الراوى: «أعرف أنه مات لأنه اقترب من الحقيقة أكثر من اللازم. لم يتحمل واحترق وذاب جناحاه مثل «إيكاروس» الإغريقى: إيكاروس الإغريقى هو دايدا لوس. وهو معمارى محترف من أثينا قام ببناء قاعة لمينوس - ملك كريت- بالقرب من قصره فى مدينة كنوس، لحجز الميناتور، وهو مخلوق نصفه إنسان ونصفه الآخر ثور، وهو ابن لاسيفاى ولثور أبيض. يدعى الثور الكريتى مينرس، قام بحجز أوكاروس ووالده فى تلك المتاهة وأعطى ابنته حبلاً كهدية حتى تعطيه لمينوس، وهو من ملوك أثينا الأسطوريين والذى وقعت فى حبه أريادى. وهو يعتبر فى ذات الوقت عدواً لمينوس فقتل الميناتور واستطاع الخروج من هذه المتاهة بمساعدة الحبل الذى أعطته له أريادى. أخذ قارباً للهروب وكان معه إيكاروس الذى سقط فى طريقهم فى البحر ومات غرقاً وقام هيرقل بتشييد قبر له.

نشأ محمود نشأة معقدة فهو ابن الريف الذى تدفعه ظروف أهله للانتقال إلى القاهرة. حياته مليئة بالتناقضات منذ مولده حتى عام 2020.. قصص متناقضة. يصف الكاتب شخصية محمود فيقول: «إن أى مؤرخ منصف وأمين سوف يجد صعوبة وعسرات فى معرفة شخصية محمود السمنودى.. إنه يمشى مرتبكاً فى الشوارع وسط الصخب والزحام».. كان صباه بالغ الشقاء بسبب معاملة رفاقه له فى المدرسة، بعد انتقال أسرته للمدينة.. معاملة شاذة واضطهاد. عانى كثيراً وهو صامت.. ويضيف الكاتب: «الصبية لا يغفرون لهذا النوع من الزملاء».

يستمر الكاتب فى رسم صورة محمود

سوسن رحمى

فيقول: «إنه كان مصاباً بشيخوخة مبكرة. مرض يسمى البيرجيريا».

كانت شخصيته تزداد «تفرداً وغرابة» مثل «إيكاروس» رحلة شاقة مر بها إنسان بدءاً من شدة الأب إلى الصراعات المختلفة التى عاش بداخلها فى المدرسة ثم خارجها «الفصام أصبح عاماً».

ينتقل الكاتب من وصف حالته الصحية ومرضه النفسى إلى عالم الأوكار والسلوك الجديد الذى أصبح يتبعه.

ها هو يختلط بالجماعات الإسلامية ويتعرف على أوكارهم وما تبعها من سلوكيات مختلفة تماماً وجديدة على المجتمع المصرى، فيما يخص الاحتفال بميلاد الأطفال أو اضطهاد من خالفهم فى العقيدة، خاصة الأفكار المتشددة الجديدة تماماً على المجتمع المصرى، ويعلق الكاتب فيقول: «مع الوقت تشعر إنك تراقب الآخرين طيلة الوقت. إن هذه الصفحات بمثابة رحلة عقل وسط ظروف كلها تخبط».

استعرض الكاتب صورة للفروق الاجتماعية وتباينها الفكرى والدينى والتقييم الفنى والدينى، مظاهر متباينة: العقاد ضالاً، طه حسين شيطان.. مرحلة جديدة بدأت تتغلغل داخل الجماعات الإسلامية.

يستمر الكاتب فى عرض الصراعات الداخلية. استعرض التيار الفكرى الذى يخضع له الشباب.. يتكلم عن صلاة الجماعة فيهمس: كانت أحياناً استعراضاً للتقوى السطحية والنفاق.. فهو يقدم الشاب الذى ينظر خلسة إلى مديره فى العمل حتى يطمئن على إعجابه به، ويتساءل: «هل كان راضياً عن أدائه للصلاة؟».

الحوار الداخلى يستمر فيتساءل: «هذه الصلاة للدين؟ الناس تعبد إلهاً خافيا هو الناس الآخرون».

بدأت الشكوك تزحف إلى نفسه من كثرة مشاهد النفاق.. الأعمال الفنية التى تعتمد على الميلودراما.. الشكوك زحفت إلى داخله، كانت تخنقه.. أسئلة بلا إجابة.

يفكر محمود فى هذه التغيرات فيرتجف وهو لا يصدق أن العالم يحوى كل هذه القسوة. اختفت الرحمة: حادثة تمزيق لوحاته للفن التأثيرى التى عرضها فى قاعة العرض الخاصة بالكلية. الفكر الدينى المتزمت والمغلوط الذى لا يعبر عن أية لمسة جمال.. أى معرض مخالف للشرع وكأن الدين يأمر بالقبح: «اتهموه أنه عبد شهوة».

ويتساءل: هل كان الفنانون رامبرانت ومانيه ولوتريك أصحاب التيار التأثيرى هم أيضاً طغاة».

استعرض الكاتب فى هذه الصفحات الصراعات التى نشبت فى البلاد. لمن السلطان؟ للإسلاميين؟

إن الصفحات التالية بمثابة بانوراما لكل المواقف السياسية التى أثرت على المجتمع وشكله لفترة وجيزة غير أن محمود بدأ يشعر أنه كان فى حلم طيلة

غلاف الرواية

ثلاثين عاماً منذ أيام الكلية. حلق ذقنه.

يستمر الكاتب فى عرض البانوراما السياسية التى امتزجت وتأثرت بغزو الأفكار الدينية، ثم يطرح سؤالاً: «هل يوجد مؤمنون حقاً؟ كل هؤلاء المنافقين يتصرفون كأنه لا بعث ولا حساب».

يستمر الكاتب فى رسم البانوراما الخاصة بانهيار الإنسانية وقد تعرضت لضغوط مختلفة: تقلبات سياسية، صراعات أيديولوجية ثم عودة شبح هتلر.

ينتقل الكاتب بالقارئ إلى باب خاص بالتطور، فينقل لنا محاضرة علمية، الدكتور، دكتور علوم أجنبى يتحدث عن نظرية التطور وداروين: «عملية التطور تستغرق ملايين السنين» وجودنا قصير جداً.. هكذا يغرقنا الكاتب فى تفاصيل خاصة بالمخلوقات الأولى مثل الديناصورات، ثم الثدييات، ثم ظهور الإنسان.

إن انقراض الأنواع حدث ثمانى عشرة مرة على مدى 25 مليون سنة.. جاء صوت من الصفوف يسأل: «هل تختفى الحياة تماماً بعد هلاك البشر؟» وكانت الإجابة: «الحياة تجد دائماً طريقاً.. وسوف يكون المستقبل لكائنات مثل الصراصير والفئران.. يعنى أن الصراصير هى التى سوف تحمل مشعل الحضارة كما نفعل اليوم بالضبط».

لقد كان الرجل من أتباع داروين.. صفحات ليست بالقصيرة امتلأت بالمناقشات والمعلومات والتكهنات العلمية، الخاصة بالإنسان كمادة. صفحات بعضها مظلمة وربما كانت قاسية على القارئ.

هكذا وصلنا تقريباً إلى منتصف الطريق فى قراءة هذا العمل ونجد أنفسنا نفكر فى إيكاروس، الذى وضع نهاية لحياته عندما عرف الحقيقة. غير أن العلم لم يؤكد المعلومات الخاصة بالتطور التى نشرها داروين. إن هذا العمل الأدبى الشاق الملىء بالألغاز يجعلنا نتساءل عن أسباب هذا المشوار الطويل للعقل وسط سيل المعلومات التى تجعلنا نبحث مثل إيكاروس عن الحقيقة.

ونعود لمحمود الغارق فى دمائه وحوله من يبحثون عن سبب موته.. سواء كان انتحاراً أو من فعل فاعل. ولكن لنتذكر أن المحقق أكد منذ السطور الأولى أن هذه الطريقة للقتل لا تأتى إلا من منتحر.

ستتلاحق الأسئلة عن الكون والفناء ومستقبل البشر الحاليين.. هل يستمر هذا النوع من البشر وسلالتهم حتى يوم الفناء الذى يعرف دينياً بيوم القيامة؟

الإجابة مبهمة وكئيبة وربما تكون هى التى أودت به إلى الانتحار - حوارات فلسفية اختلطت فيها نظريات داروين مع نظريات غيره من العلماء ويقول الكاتب: «كان محمود يؤمن بأن التطور حدث ويحدث».

ولنتأمل فى نوع آخر من الخلود هو خلود الأفكار.. وتحكم الفئران والصراصير فى العالم كما فعلت دوماً.

يعود الكاتب بنا إلى محمود الذى تم القبض عليه.. والذى يحدث نفسه فيقول: «لا أحب هذا الجو البوليسى».

ويسأل بصوت حاول أن يكون هادئاً:

- «هل لى أن أعرف سبب الاعتقال؟».

يعود بنا الكاتب إلى التكهنات العلمية الخاصة بنهاية العالم: النقلات سريعة ها هو محمود داخل طائرة متجهة إلى اليابان.. ولكن هذه النقلة سريعة، فهو ينتقل بنا إلى محمود داخل المصحة: إنه يحدث نفسه فيقول: «ربى قد تحملت آلام الماضى وقسوة الحاضر ووحشة المستقبل».. إنه يتعذب ويتألم وقد أنهك من ثقل حمل المعرفة التى تشمل كيانه: إنه معذب وقد أضناه معرفة كوارث العالم من حروب وظواهر طبيعية كالبراكين وغيرها. هذا إلى جانب القسوة التى تعرض لها داخل الأسرة فضعفت شخصيته وهو يتعرض إلى سخرية وقسوة أقرانه فى المدرسة، ثم مجابهة مواقف أصعب فى أقسام البوليس والاعتقال أحياناً أخرى.

تخترق الصفحات عنوان «الأبدى» وإذا بنا نفاجأ بسيرة أحد الرؤساء «الأبدى» واسمه منصور أحمد الدين. اسم غريب على الرواية وعلى القارئ وإذا به صورة لنموذج القائد أو رئيس دولة سواء كان إمبراطوراً أو رئيس جمهورية، صورة ديكتاتور مثل نابليون أو عيدى أمين. يبدأ الوصف بالعطر الذى يستعمله: «العطر الثمين الذى له نفس السلطة والسيطرة».

يقول الكاتب وهو يصف الأبدى: «نظرته حادة. وكان يحب هذه النظرة بالذات لأنها تشعره بقوته وكان يردد: أنا خالد أنا لن أموت أبداً».

ويستمر الوصف الخاص بالقائد الأوحد خلال صفحات ولم يختلف الوصف أو يأتى بأى جديد أو اختلاف عن أى ديكتاتور. النمط واحد والأهداف واحدة ولابد من مخبول حتى يتحمل مسئولية عدم الرضا والتذمر.. وكان محمود السمنودى طبعاً هذا المخبول: فكانت نهاية المسار: المصحة.

الصفحات تمتلىء بالتفاصيل الخاصة بعذاب محمود والكاتب يستمر فى الحديث عن الحرية: «للحقيقة ثمن ....» الحقيقة تحرق لكنها سرداب الأسئلة إلى الأبد.

صفحات غزيرة تمتلىء بالنقاش والتساؤلات وذكر أمريكا يتكرر.

إن القارئ يصل إلى نهاية هذا العمل الأدبى الفذ وهو مثقل بسيل من الأفكار والتساؤلات، وقد أنهك من كثرة التأمل والتفكير والتحليل لما يقرأ وما قرأ.

ويتبادر إلى الذهن هذا الاستنتاج: إن الإنسان بالغ البؤس والشقاء وقد تحمل الوجود فى هذا الكون الملىء بالصعاب والتقلبات، سواء كانت فكرية أو خاضعة لمظاهر الطبيعة ومطلوب منه أن يحسن الاختيار طوال مسار حياته. غير أنه مثقل بحرية الاختيار.. هذا إلى جانب الشر والقسوة التى يتسلح بها الإنسان فى معاملته لأقرانه من البشر.

سفير
فخرى عثمان

الملتقى الخامس لاصدقاء المرسم

تحت رعاية الدكتور زاهى حواس أقام عشرون فناناً وفنانة تحت رئاسة الفنانة فريدة درويش وســـامى عبد الله معرضاً جماعياً فى قاعة الفنون التشكيلية بمركز الهناجر بدار الأوبرا, وقد تم الإعداد لهذا المعرض الجماعى تحت عنوان «الملتقى الخامس لأصدقاء المرســـم», وكانت الدعوة لحضور حفل الافتتاح من قبل الفنان خالد جلال رئيس قطاع الإنتاج الثقافى بوزارة الثقافة والفنان محمد دسوقى مدير مركز الهناجر للفنون.

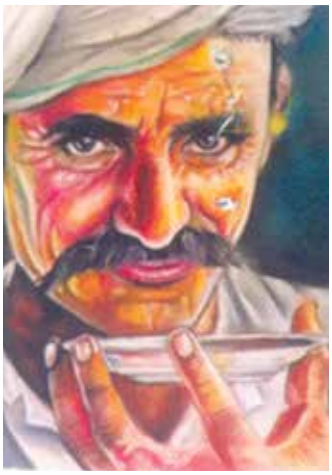

وهكذا غلفـــت جدران قاعة الهناجر الواســـعة بإبداعات مجموعة من المبدعين مـــن ذوى الاتجاهات والرؤى والأفكار المتنوعـــة المختلفة ولكل مذهبه ومدرســـته التى يؤمن بها ويفضلها على غيرها, ولكل أســـلوبه وألوانه المفضلة, وهكذا كونت اللوحات فى مجملها كبســـتان فـــى فصل الربيع الذى يحتـــوى على مجموعة مـــن الزهور والـــورود المختلفة فى أشكالها وألوانها ورحيقها بل وأنغامها التى شكلت سيمفونية لحنية تسعد حاستى الإبصار والاستماع وكل الحواس الخمس التى منحها الخالق المبدع للإنسان الذى خلقه وكرمه وأحاطه بكافة القيم الجمالية ليســـعد بها ويركع خاشعاً بعمق إيمانه بقدرات وطاقات الخالق الأوحد.

كل تقديرى لعازفى الأوتار المختلفة فى أنغامها وصداها.

الفنان سيد سعد الدين

أقام الفنان سيد سعد الدين معرضاً لأعماله الفنية فى (جاليرى آرت توكس) وهو إحدى قاعات عرض الفنون التشكيلية الجديدة الخاصة التى أضيفت إلى سابقاتها مؤخراً بحى الزمالك, وكان موضوع المعرض (دوائر فى الزمان). وقد سبق لى أن شاهدت غالبية معارضه السابقة, وتختزن ذاكرتى صدى إبداعه الفنى الجميل العميق, ومنذ تعرفت عليه شخصياً منذ أكثر من عشرين عاماً وجاء إبداعه اليوم تتويجاً لما سبق وحيث أراه دائماً حاملاً أدواته سابحاً فى الفضاء مبتعداً عن الأرض ليعبر بفرشاته التى تحمل محتواها من الألوان المتناغمة القليلة فى عددها ليصبها بدقة وهدوء على توال اللوحة وكأنه يعزف على أوتار إبداعه فى نشوة وسلام ليسجل المشهد الذى انتزعه من مخزون وجدانه لتكوين فقرات الرؤية وهى تتراقص فى أمان وسلام فى إطار الدوائر الهندسية المعمارية الرياضية الفلسفية الخيالية التى تمثل فى مجملها عن عمق وأبعاد العطاء الفنى الإنسانى الممتع. وقد رأيت فى كل لوحة تغلف جدران القاعة الأنيقة ما يستوقف المتلقى كثيراً ليتأمل بهدوء ويتابع ليستقبل المزيد من المتعة ويشارك الحركة سواء السريعة أو البطيئة لتستقبلها حواسه بكل سعادة واطمئنان وأمان.

إنه الشاعر الذى يجيد العزف على كل الآلات وبكل الألوان ليقدم سيمفونية مسموعة مرئية تلبى احتياج الإنسان.

تحياتى وتقديرى للفنان الصديق الرائع.

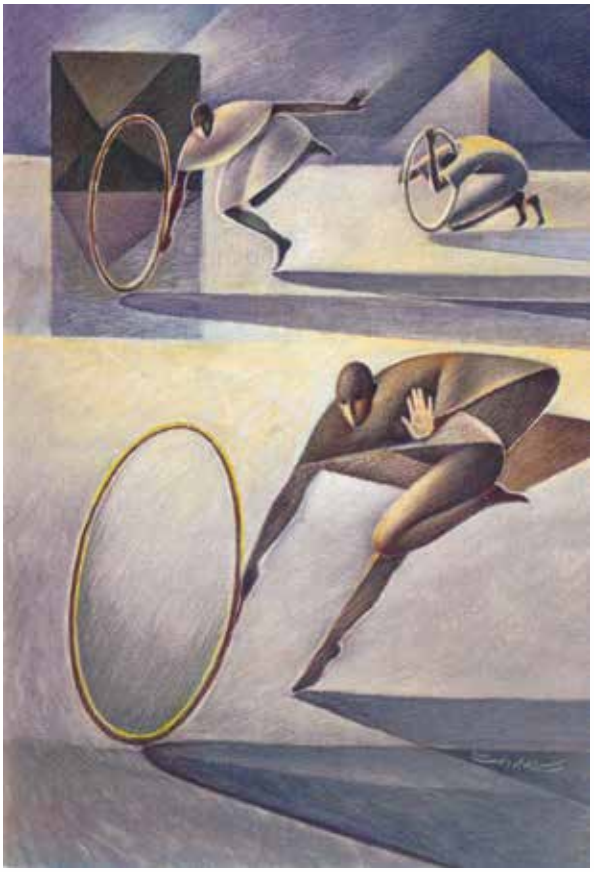

التعليم فى مصر من نموّ الحضارة حتى عصر الإنترنيت

تأليف: د. أحمد دويدار، الأمين العام الأسبق لاتحاد الجامعات العربية.

مؤلف هذا الكتاب هو أ.د. أحمد دويدار أمين عام اتحاد الجامعات العربية الأسبق، ومن قبل ذلك كان رئيساً لجامعة قناة السويس، بعد أن كان نائباً لرئيس الجامعة، وعميداً لكلية العلوم، وعضو هيئة التدريس بجامعة عين شمس، أيْ أننا أمام عالم مارس الحياة التعليمية على مدى ما يزيد على نصف القرن، غير مقتصر على وطنه كما هو شأن معظم العلماء، بل مطّلع بشكل أو بآخر على التجارب التطبيقية على مستوى العالم العربى بحكْم عمله، كما أنه عاصر حقباً من مراحل تراوح فيها التعليم بين النمو أو الجمود، التقدم أو التأخر، الأمر الذى جعله يؤمن بإحدى المقولات التى بلغتْ مرتبة الحكمة، تلك التى تقول:

« إذا أردت أنْ تهْدم مجتمعاً ما فابدأ بهدم التعليم، وإذا أردت أنْ تصلح مجتمعاً فابدأ بإصلاح التعليم».

ولهذا رأى أنه حيث إنّ تطوير التعليم فى مصر ينبغى أن يبدأ من المدرسة الإبتدائية حتى الجامعة، فإنه يبغى أن نتتبع تاريخ التعليم فى مصر ذات الكيان الضارب فى أعماق التاريخ. بل من أقدم الكيانات فى التاريخ؛ حتى نستطيع التعرف على إيجابيات التعليم وسلبياته، لنستطيع، من ثمّ، الاهتداء إلى الحلول، مستفيدين من تجارب الماضى وخبراته.

التعليم فى مصر القديمة

من هنا كانت البداية مع التعليم فى مصر القديمة فى مدارس طيبة ومنف، والمدارس الملحقة بالكليات الدينية الكبرى، ودور ورق البردى، ومتون الأهرام، وعلاقات المدرس بتلاميذه، وبيوت الحياة، والمراكز العلمية العليا، وتعليم البنات فى العصر الفرعونى، والتعليم فى العصر البطلمي(السكندري).

التعليم فى مصر منذ الفتح الإسلامي

حيث تعزيز الرغبة فى المعرفة، وتخريج علماء أسهموا فى بناء الحضارة الإنسانية عالمياً، وذلك أثناء العصور الوسطى التى كانت توصف بالمظلمة، وأضاء جنباتها علماء الإسلام فى شتى أنواع المعرفة، وحيث برزتْ منجزات ومكتشفات ومخترعات ونظريات أثْرتْ العلم الحديث، وكانت مادة التدريس فى الجامعات الأوروبية الحديثة فى مطلع عصر

د. يوسف نوفل

شاعر وناقد

أستاذ النقد الادبى بجامعة عين شمس

youssfnofal@yahoo.com

النهضة «الرينيصانص»، من أمثال: «الحسن بن الهيثم» وعلم البصريات، و«جابر بن حيان» وعلم الكيمياء، و«الرازي» «أبى الطب العربي»، والكيميائى فى الوقت ذاته، و«الخازن» ونظرية آرشميدس، وريادتهم فى علم الفلاحة والبساتين لدى أمثال: «ابن العوّام»، و«ابن البصال»، واكتشاف «ابن النفيس» للدورة الدموية، ودور «الزهراوي» فى الجراحة، وأمثالهم ممن يضيق المقام عن حصرهم، والدور التاريخى للأزهر الشريف فى جمعه بين العلم والدعوة، فى مراحل تطوره وتجدده المتنوعة.

الحملة الفرنسية على مصر

حيث أيقظ الإنسان المصرى من سباته حدث جلل كان بمثابة التنبه بعد الغفلة، والعلْم بعد الجهل، والصحوة بعد النوم فى ثبات عميق تحت استبداد مملوكى تركي؛ إذ شهد يوم الثانى من يوليو عام 1798 قدوم الحملة الفرنسية على مصر، ودون خوض فى تفصيلات الحدث، ونتائجه، فإن خير ما يلخص ذلك كله عنوان مقال لى نشرْته بالأهرام وقت احتدام الجدل حول مئويتيْ الحملة الفرنسية على مصر حيث اخترت عنواناً لمقالى: (لا للحملة الفرنسية. نعم لآثارها)، وهو العنوان الذى لفت نظر وزير الثقافة فى ذلك الحين، الأستاذ الفنان فاروق حسنى، وإعجابه.

المهم أن التعليم هنا شهد تطورات هائلة، بل قفزات ممتازة، على رأسها إنشاء المجْمع العلمى المصرى (الذى أتشرف بعضويته) فى الحادى والعشرين من أغسطس عام 1798، حتى قال «فورنير» عنه: «إنه مشروع لإرجاع العلوم إلى ضفاف النيل الذى أبعدتْ عنه منذ وقت طويل»، وكان كتاب «وصف مصر» ثمرة علمية حضارية مهمة.

التعليم فى مصر خلال القرن التاسع عشر

بدأتْ النهضة التعليمية فى عصر محمد على، وما تم إيفاده من بعثات، وإنشاؤه من مكتبات ومدارس إبتدائية، وتجهيزية «ثانوية»، ومدارس عليا، وترجمة، ورعاية صحية، بل العناية بالكتاب المدرسى منذ صدور قانون المطبوعات فى يونيو 1823، وإقامة الضبط والربط بالمدارس، وما إلى ذلك من منجزات، وتطوير، مما كان له أكبر الأثر فى إقامة صرح الحضارة العلمية فى مصر، قبل انتكاسة هزيمة محمد على أمام أوروبا، وتولى عباس،

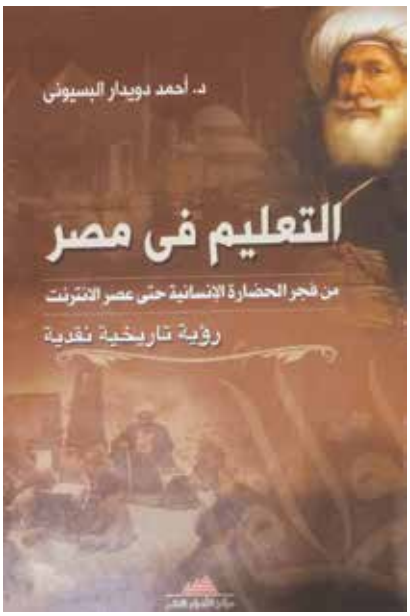

غلاف الكتاب

د. أحمد دويدار

فسعيد، ومنْ تلاهما من حكّام مصر.

التعليم فى مصر فى القرن العشرين

حيث انتصف القرن العشرون وبمصر ثلاث جامعات منذ إنشاء الجامعة الأهلية عام 1908، التى تحولت إلى جامعة حكومية باسم الجامعة المصرية عام 1925، ثم باسم فؤاد الأول عام 1940، ثم باسم القاهرة، ومنها ولدتْ جامعتان هما: جامعة فاروق (الإسكندرية) عام 1942، فجامعة إبراهيم (عين شمس) 1950، وبعد ثورة 1919، وبعد استقلال مصر، وصدور دستور 1923 صار التعليم إلزامياً مجانياً منذ العام الدراسى 1925/ 1926، يجاور التعليم الحكومى تعليم حر، وتعليم أجنبى، وفى عام 1953 صدر قانون يقسم المراحل التعليمية إلى ثلاث: إبتدائية، وإعدادية، وثانوية، ثم تحول الأمر إلى أن هجر التلاميذ مدارسهم إمّا إلى مراكز الدروس الخصوصية، أو إلى المدارس الخاصة بتنوعها الآخذ فى الازدياد، وذلك بسبب انخفاض مستوى التعليم فى المدارس الوطنية، قبل أن ينتقل الداء إلى بعض المدارس الخاصة، الأمر الذى جعلنا نرى من التلاميذ منْ لا يستطيع القراءة والكتابة، وارتفعت درجات الحاصلين على الثانوية العامة بشكل مبالغ فيه، ومجاف للمستوى التحصيلى، وهذا الواقع يحتاج إلى تشخيص مخلص صريح وجريء، وخطوات واقعية شفافة ذات أهداف مدروسة؛ وذلك مجابهة للأعراض المرضية التى طفحت على سطح الواقع الأليم.

أسباب انهيار التعليم العام فى النصف الثانى من القرن العشرين:

يصل الدكتور أحمد دويدار إلى حقيقة علمية صريحة لأسباب هذا التدهور ونلخصها فى:

(1) اختفاء المدرسة الإبتدائية؛ «لأن منظومة التعليم يمكن تشبيهها بالبناء المعمارى الذى يتوقف بناؤه على متانة أساساته، وأى عبث فى أساس البناء الذى هو التعليم الإبتدائى سوف يعرّض البناء كله للانهيار، وهو ما حدث فعلاً فى منظومة التعليم».

(2) إقحام طرق تعليم أجنبية فى التعليم المصرى، فى نقل آليّ، والتأرجح بين النظام الأمريكى، أو النظام الفرنسى، أو النظام الإنجليزى.

(3) وباء الدروس الخصوصية.

(4) الأمراض الاجتماعية.

(5) تكدّس الفصول بالتلاميذ.

ويقدم المؤلف مقترحات نوجزها فى خمس نقاط هى:

1 - عودة المدرسة الإبتدائية إلى ما كانت عليه من تميز.

2 - القضاء على الدروس الخصوصية.

3 - تحسين الخدمة الإدارية.

4 - التوسع فى بناء المدارس.

5 - تغيير سياسة القبول بالجامعات، حيث أصبح امتحان الثانوية العامة لا يمثل تكافؤ الفرص بين الطلاب، حيث تختلف طرق وأماكن ومستويات تلقى الدروس. الأمر الذى يوجب التفكير فى بديل مكتب التنسيق، أما البحث العلمى فلابد من البحث عن أسباب هجرة العقول النضجة الواعدة من الباحثين.

الجدّيّة والصّرامة والالتزام

ويكفى أن نتعظ مما حدث ويحدث من غش بامتحانات الثانوية العامة. بل الغش الجماعى، ومما يشبه شراء الشهادة بالحصول على مجموع يبلّغنا الجامعة عن طريق تلقين الدروس الخصوصية. لا البناء المعرفى الفعليّ، وهكذا يقدم الكتاب خبرات متراكمة. ليست صادرة، فحسب، من أمين عام اتحاد الجامعات العربية، ورئيس جامعة، وعميد، وعضو هيئة تدريس بالجامعة. بل لما اختزنته ذاكرته - مثله فى ذلك مثل مئات مثله - فى مراحل التعليم المختلفة تلميذاً فى المراحل المتتالية منذ كان فى السابعة من عمره فى مدرسة سماحة الأولية النموذجية، تلك المدرسة فى قرية سماحة بمركز أجا دقهلية، والتى افتتحها الزعيم سعد زغلول عام 1906 من فصلين، وفى تلك المدرسة - كمثيلاتها فى ذلك العهد البعيد - تعلم الطفل القراءة والكتابة، وزاول بعض الصناعات الخفيفة كصناعة الأسبتة من البوص والأحبال من نبات النيل والنخيل، وتجهيز صناعة المقاطف من سعف النخيل، وذلك على أيدى مدربين، وأهم من ذلك ما كانت تتسم به المدرسة من: الجدّية والصرامة والالتزام بالنظافة فى المدرسة، جدّية حتى فى حصة الألعاب.

هذا كتاب أضعه بين أيدى الراغبين فى تطوير التعليم، أو الحفاظ عليه، عساه يلقى بعض الضوء على ما خفى من زوايا، أو أركان، أو غاب عن الأذهان، والله المستعان.

نفسك أمانة لديك

نفس الإنسان أمانة لديه.. يستطيع أن يبلغ بها ومعها أعلى عليين ويستطيع - على الجانب الآخر- أن يهبط بها ومعها أسفل سافلين.. وهذا ما يذكرنا به أحكم الحاكمين «ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها» (الشمس 7 - 10).

سفير د. فتحى مرعي

فالإنسان قوام على نفسه يستطيع أن يزكيها ويطهرها من الدنس ويلزمها طاعة الله فى كل أمر جليل أو هين حتى تتعود على ذلك وتستقر فيه وتصبح عوناً لصاحبها على الالتزام بالطريق المستقيم.. وإذا رأت منه ميلاً عن هذا الطريق أو اعوجاجاً فى ظرف من الظروف أو فى لحظة من اللحظات رغبت إليه الخير وتنادت إليه أن التزم.. فإن لم يفعل أو لم يستجب لندائها لامته أو عنفته وظلت تلاحقه باللوم حتى ينفر مما فعله أو مما كان على وشك أن يفعله وصحح المسار.. وهذه هى النفس اللوامة التى أقسم بها رب العزة «لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة» (القيامة 1-2) أرأيتم أهمية النفس اللوامة؟ يقسم بها المولى عز وجل بعد قسمه بيوم القيامة.. أهمية النفس اللوامة تنبع من أنها تنقذ صاحبها من عذاب الجحيم وتحافظ عليه بعيداً عن الدنس وعن كل ما يغضب الله عز وجل وتدخل به ومعه جنة الخلد حيث يستقبلها ربها مرحباً بها يوم القيامة منادياً لها بالنفس المطمئنة «يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعى إلى ربك راضية مرضية، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى» (الفجر 27 - 30). أرأيتم حفاوة الاستقبال؟ لقبها ربها بالنفس المطمئنة واطمئنان النفس لا يتأتى إلا أن يكون الإنسان فى وفاق مع نفسه.. يطمئن لها وتطمئن له ويسيران بهمة ونشاط دائبين إلى كل ما يرضى الله وينأيان عن كل ما يغضبه.. ثم يقول لها ذو الجلال: ارجعى إلى ربك راضية عما أعد لك من صنوف النعيم ومرضية عنك منى.. وهو شرف لا يعادله شرف ثم «وادخلى فى عبادى» وكلمة عبد حين يستخدمها رب العزة فهى رفعة لمن نودى بها، ولها فى القرآن العظيم دلالات وسياقات «واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار، إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار، وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» (ص -45 47)، وإنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار، أى جعلناهم ذاكرين الدار الآخرة ومذكرين بها مثلما قال سبحانه لخاتم رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم «فذكر إنما أنت مذكر» (الغاشية 21)..

ويوم القيامة ينادى ذو الجلال والإكرام عباده الداخلين إلى الجنة بقوله جل شأنه «يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، الذين

آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون» (الزخرف -68 72)، وأنتم وأزواجكم تحبرون أى تنعمون وتتلذذون.

أما الذى لم يحكم نفسه ويلزمها الجادة وتركها تعبث به وتملى عليه ما تريد من أهوائها واندفاعاتها، فله شأن مختلف تماماً فى الدنيا والآخرة.. فى الدنيا يقول الناس عنه مشفقين أو متندرين عليه: إن فلاناً ترك نفسه على هواها أو أنه ترك لنفسه الحبل على الغارب فأصبح مجالاً للإشفاق أو للتندر.. ذلك أنه قد أصبح عبداً لنفسه ولأهوائها ونزواتها.. تتحكم هى فيه ولا يتحكم هو فيها ويستجيب لما تأمره نفسه به مهما كان فيه من إهدار لقيمته أو مركزه أو سمعته أو حتى شرفه.. وتصبح هكذا نفساً أمارة بالسوء «وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى» (يوسف 53) فترديه ويرديها وتخيب ويخيب معها «وقد خاب من دساها» فالإنسان إما حاكم على نفسه وإما تحكمه نفسه والإنسان الذى يحكم نفسه يبلغ بها الفلاح فى الدنيا والفوز فى الآخرة «قد أفلح من زكاها» أما الذى تحكمه نفسه وتتحكم فيه ويصبح عبداً لأهوائها ونزواتها فهو هالك لا محالة إذ يفقد كل شىء فى الدنيا ويصبح مرثية من المرثيات أو بكائية من البكائيات وفى الآخرة تضيع منه ومنها الجنة ويكون مثواه النار والعياذ بالله فيندم ويتحسر «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله» (الزمر 56)..

"التعليـــــم...

...الاستثمار الأمثل فى الحياة"

برنامج تمويل التعليم **EduInvest** يمنحك كل الدعم الذى تحتاجه للحصول على أفضل تعليم تتطلع إليه.
فهـو يشـتمل على ثلاث أنواع مـن التمويـل (**START-UP / LEVEL-UP STEP-UP**) تصـل قيمتهـا حتـى ١٠٠٪ مـن المصاريـف الدراسـية لمراحـل التعليـم المختلفـة: المـدارس، الجامعات والدراسـات العليا.

EDU INVEST
EDUCATIONAL LOAN

START-UP

في هذا البرنامج يقوم البنك بتمويل ٩٠٪ من مصاريف السنة الدراسية بينما تقوم أنت بسداد التمويل الممنوح لك على أقساط شهرية تصاعدية لمدة ١٢ شهر. وبذلك يكون سداد التمويل أمراً لا يشكل عبئاً مالياً عليك. هذا البرنامج هو الأنسب لتمويل جميع مراحل التعليم المختلفة (المدارس، الجامعات أو الدراسات العليا)

* تطبق الشروط و الاحكام

تـابعونـا على

اتصل على ١٩٥٥٥
aaib.com

البنك العربي الافريقي الدولي
arab african international bank

الثقة.. التميز

GIZA PYRAMIDS 24TH OCT - 1ST NOV 2019

#SQUASHBYTHEPYRAMIDS

BROUGHT TO YOU BY
CIB
A BANK TO TRUST

POWERED BY
WEST ORASCOM DEVELOPMENT

PRESENTED BY
IEVENTS EVENT MANAGEMENT

OFFICIAL MEDIA PARTNER
ON sport

DIGITAL MEDIA PARTNERS
FilGoal.com
cairo SCENE

UNDER THE AUSPICES OF
وزارة الشباب و الرياضة
MINISTRY OF YOUTH AND SPORTS
Egypt where it all begins

IN PARTNERSHIP WITH
PSA WORLD TOUR
DUNLOP
OFFICIAL BALL & RACKET